الجـن فـي الادب العربـي

وضـع

نهـاد توفيـق نعمـة

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية
في الجامعة الاميركيـة
في بيروت للحصول علـى
درجة "ماجستير فـي الآداب"

الجامعة الاميركية في بيروت
بيروت ، لبنـان
حزيران ، ١٩٦٠

البــــاب الاول

الجـــن
فـي الاساطيـر العربيـــة

مقدمـــــــــة

لا انسى منذ اربع سنوات خلت ، تلك المقابلة مع استاذنا الجليل ، الدكتور جبرائيل جبور حين جئت التمس موافقته على موضوعي في الجن ، وكنت حينذاك اشتعل شغفا للبحث فيه وانجازه في مدة سنة . "سنة " ! اجابني الاستاذ الخبير ، " لا تكفي . فالموضوع يتطلب اكثر من ذلك ، والبحث يستغرق وقتا طويلا ، ويتطلب جهودا يستوفي بها حقه من المطالعات والدراسات كي تختمر مادته في ذهنك لتتمكني من استيعابها واخراجها في اطروحة معتبرة ".

وعندما خضت البحث تبينت لي وعورة المسالك . فالمصادر لا تمدني باكثر من نتف متشتته هنا وهناك في متونها . ولا ينحصر الموضوع فـي نوع معين منها . فهو يرد في المصنفات الادبية والعلمية والتاريخية والدينية ... وكل منها يتناوله من وجهته . فكنت كلما رسمت لـي خطة اسلكها في تصنيفه اعترضتها ناحية جديدة من نواحيه فاعاود الكرة محاولة وضعها في قالب مفصل متلاحم اجمع اشتاتها واوفق بين متنوعاتها مسترشدة توجيهات استاذي الكريم ، الدكتور كمال اليازجي ، الذي غمرني بعنايـــة خالصة طوال سنين اربع ، وشجعني على المضي في العمل ، والصبـــر على عنائه . فهو بحث لم يطرق بعد مفصلا لاسترشد منحاه واتجنب سقطاته. فقد شققت المسلك فيه ، عرضت في اول باب منه الى تعريف الجن وانواعه

وطبقاته ، وميزت بينها ، مستهدفة ابراز خصائص كل منها ، ذاكرة ما زعمه العرب من امرها . ثم فرقت بين طباع الجن من خير وشرير وطائع ومطاع وتكلمت عن شوؤنهم وما نسب اليهم من اعمال . وارفقت به ما يتصل بهم من اساطير الطير والحيوان ، وقسمت البحث الى بابين ، جعلت ذلك في الاول منهما وخصصت الثاني بما يتعلق من امر هذه الارواح بالادب . وما ورد عنها في مختلف مراحله من الجاهلية حتى اواخر العصور العباسية وتطور العقائد فيها خلالها . وذكرت ما كان لها من اثر في الشعر والنثر وما قيل عنها في وحي الشعراء والفنانين ، وما استمده الادباء من وحي اساطيرها لقصصهم . ثم عرضت بكلمة للشعر الذى نسب للجن . وكان هدفي خلال هذه الفصول الالمام بكل ما يتصل بالجن وما ورد عنهم من اخبار عند العرب لاكون بحثا يشمل بقدر المستطاع معظم اخبارهم وما يتعلق بهم لاقدم الى القارئ مصنفا خاصا في اساطيرهم يتصف بطابع خاص ولون مميز .

ولا يسعني الا ان اقدم شكرى الى مرشدى الدكتور كمال اليازجي الذى اسرني بالجميل والى كل من اسدى الي مساعدة في دراستي .

او قرأه عنه ، وذلك في كتابه ـ الحيوان محظمه في الجزء السادس منه على الاخص ـ وهو يعرفه بقوله : " كل مستجن فهو جني وجان وجنين وجن . وكذلك الولد يقال له جنين قبل ولادته لكونه في البطن واستجنانه . وقالوا للميت الذى في القبر ـ جنين ـ لكونه مستورا مخفيا عن العين :

وقال عمرو بن كلثوم :

ولا شمطاء لم تدع المنـايـا   لها من تسعة الا جنينـــا

يخبر انها دفنتهم كلهم (١) . وكذلك قيل للمجنون مجنونا لاستتار موضع علته او على الاصح لعدم معرفتهم اسبابها ولعجزهم عن تشخيصها تشخيصا معينـا وقد يصـح القول لانهم كانوا يزعمون ان الجن ـ الارواح الخفيـة ـ هي التي تصـرع الناس فينتج لمن تصرعه الجنون بمعنى داء الجن كما يقال داء الكلـــب (٢) .

واورد ابو الفرج الاصفهاني في ذكر طويس المغني صوتا يشـرح فيه معنى الكلمة وهـو :

يا لقومـي قد ارقتني الهمـــوم   ففؤادى ممـا يجـن سقيــم

اندب الحب في فؤادى ففيـــه   لو تراءى للناظرين كلـــوم

قال يجـن بمعنى يخفي والجنة من ذلك والجن ايضا مأخوذ منه (٣)

---

١) الحيوان ٦/ ١٩١ .

٢) الحيوان ٦/ ٢٤٣ . ويرد البيت في الزوزني ١٧١ والشنقيطي ٨٧: (ولا شمطاء لم يترك شقاها ...) وعثرنا على البيت في ديوان الاعشى ٢٥٩ وهو منسوب للاعشى .

٣) الاغاني ٣/ ٤٣ دار الكتب وينسبه ابو الفرج لابن قيس الرقيات . يرد في الديوان في باب "الزيادات والشعر الذى ينسب اليه من المصادر" ص٣٢ .

وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته في مادة جن : "اصل الجن ستر الشيء عن الحاسة • يقال : جنه الليل واجنه • والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة • والجنة كل بستان يستر باشجار الارض • والجن يقال على الروحانيين المستترة عن الحواس بازاء الانس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين • فكل ملائكة جن ولكن ليس كل الجن ملائكة •(١)

فالكائنات التي لا يمكن روءيتها للعين البشرية هي جن اما البشر الذين يرون فهم الانس •

"عن ابن اسحق قال : العرب يقولون ما الجن الا كل ما اجتنى • وقال : ما سمى الله الجن الا لانهم اجتنوا فلم يروا وما سمي بني آدم انسا الا لانهم ظهروا فلم يجتنوا • فما ظهر فهو انس وما اجتنى فلم ير فهو جن(٢)

وقد جاء الكثير في تحديد الكلمة معظمه يفيد المعنى ذاته • وهو الخفاء والاستتار وقد جعلوا الجن احد الثقلين • "والثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض وقيل لشرفهما وكل شريف يقال له ثقيل وقيل لانهما مثقلان بالذنوب •(٣)

ويعرفه الدميرى بقوله : "الجن اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة ، لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة وهم خلاف الانس(٤)

---

١) المفردات في غريب القرآن ٩٧ • القاسمي ٥

٢) القاسمي ٥

٣) الدميرى ١/ ١٦٥

٤) الدميرى ١/ ١٨٥

وهذا القول مطابق لما ورد عند ابن سينا[١] في كتاب الحدود في وصفه الجن ولعله منقول عنه.

وابن منظور يجعل الجن ابن الجان[٢] . واما الدميرى والجاحظ وغيرهما فقد جعلوه من ذرية ابليس. واثبت الدميرى ذلك بقوله : " واعلم ان المشهور ان جميع الجن من ذرية ابليس وبذلك يستدل على انه ليس من الملائكة لان الملائكة لا يتناسلون لانهم ليس فيهم اناث . وقيل الجن جنس وابليس واحد منهم ولا شك ان الجن ذريته بنص القرآن . ومن كفر من الجن يقال له شيطان. ومن الحديث : لما اراد الله ان يخلق لابليس نسلا وزوجة القى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته[٣] يستدل من ذلك ان هذه الارواح غير المرئية المتشابهة في الخلق والتكوين والمختلفة في الصفة والاعمال تقسم الى فئتين ــ فئة ابرار وهم الملائكة ، وفئة قابلة للشر وهم الجن ، وهؤلاء ايضا يقسمون الى طائفتين : الخيرون الذى تابوا الى الحق ، والاشرار الذى لزموا الكفر .

ونقل ابن خلكان في تاريخه في ترجمة الشعبي[٤] واسمه عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار انه قال : " اني لقاعد يوما اذ اقبل حمال ومعه دن فوضعه ثم جاءني فقال : انت الشعبي ؟ فقلت : نعم ! فقال : اخبرني هل لابليس زوجة ؟ فقلت : ان ذلك العرس ما شهدته." [٥] ثم ذكرت قوله

---

١) مجلة المقتبس ١٩١٠ ص ١١٧ . تسع رسائل لابن سينا ص ٩٠

٢) لسان العرب مادة "جن" .

٣) الدميرى ١/ ١٩١ .

٤) وفيات الاعيان ١/ ٣٠٦.

٥) الحيوان ٦/ ١٦٩ والدميرى ١/ ١٩١.

تعالى : (افتتخذونه وذريته اولياء من دوني) [١] . فقال : انه لا تكون ذرية الا من زوجة . فقلت : نعم . فاخذ دنه وانطلق . قال : فرأيت انه مجتاز بي ".[٢]

ويستطرد في سرد اخبار ابليس وذريته حتى يأتي الى قوله : "قالوا : وقوله تعالى : (كان من الجن اى من طائفة من الملائكة) [٣] ويقال لهم الجن . وقال سعيد بن جبير والحسن البصرى : لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين وانه لاصل الجن كما ان آدم اصل الانس ".[٤] وتظهر غايته من سرد هذه الاخبار وهي اثبات ان الجن من نسل ابليس وابليس كان من الملائكة وانما سمي كذلك لانه ابلس (اى يئس) من رحمة الله فالجن اذا من الملائكة ولكن من العاصين منهم . ويبدو الاجتهاد متقلقلا في تحليل ذلك . وليس هدفنا نقد التأويلات بل الذى يعنينا من الامر تحرى الاخبار لمعرفة اصل الجن وما زعمه قدماء العرب من امره .

ومما كان شائعا ان الجن مخلوق من قبل آدم وهذا ليس بغريب ما دامت العقيدة الدينية في قصة الخليقة تنص ذلك [٥] .

ومما قال الشبلي في آكامه : "ان الله خلق الجن تسكن الارض قبل آدم بالفي سنة كما كانت الملائكة تسكن السماء وابوهم ساميا او سوميا ويقال شوميا — كما هو آدم ابو البشر . وساميا خلقه الله من مارج من نار . قال تبارك وتعالى (تمنّ قال اتمنى ان نرى ولا نرى وان نغيب في الثرى ويصير كهلنا شابا . فأعطي ذلك فهم يرون ولا يرون واذا ماتوا غيبوا في

---

١) سورة الكهف ١٨ اية ٥٠ . (٢) الدميرى ١/ ١٩١ .

٣) سورة المدثر ٣١ . (٤) الدميرى ١/ ١٩١ .

٥) سورة الاعراف ١١ . البقرة ٣٠ . الحجر ٢٨ .

الثرى ولا يموت كهلهم حتى يصير شابا ".(١) فيستدل من ذلك ان هنالك طائفتين من الجن ، جن يطوفون على وجه الارض، وجن مبعوثون يتغلغلون في باطن الثـــرى .

وليس باستطاعتنا ان نرى الفئتين منهم لان الله تعالى لم يعطنا المقدرة على ذلك باستثناء الانبياء والمختارين ، فهم يتمكنون من مشاهدتهم لان الله تعالى خصهم بهذا التفوق بالبصيرة . ولو كان تكوين الجن ولونهـم مما يعجز البشر على تلمسه باحساساتهم، غير ان الانبياء لا يعجزون عنـــه بقدرة من الله، لانهم يرون ما وراء المادة . فمن هنا يتبين ان الجـــن ارواح من جبلة خاصة وتكوين خاص وقدرة متميزة استحال تجسمها للعيـــن البشرية المجردة . وبناء على هذا وضعهم ابن حزم الفيلسوف بقوله، " هـــم اجسام رقاق صافية هوائية لا الوان لهم ، وعنصرهم النار كما ان عنصرنـــا التراب . وبذلك جاء القرآن (والجان خلقناه من نار السموم) .(٢) والنـــار والهواء عنصران لا الوان لهما وانما حدث النور في النار المشتعلة عندنـــا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل منه من الحطب والكتـــان والادهان وغير ذلـــك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر، ولو لم يكونوا اجساما صافية رقاقا هوائية لادركناهم بحاسة اللمس".(٣) وذلك للتمييز بين عنصري الملائكة والجان اذ ان الملائكة مخلوقة من النور .

---

١) آكـام المرجـــان ٩

٢) سورة الحجر آية ٢٨

٣) القاسمي ص ٣٧ .

وعرفه ابن سينا حسب ما وصلت اليه الاخبار منذ الجاهلية قائلا : "زعموا ان الجن حيوان هوائي مشف الجرم من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة". قال : "وهنا شرح الاسم اى بيان لمدلول هذا الاسم مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء أكان معدوما في الخراج ام موجودا ولم يعلم وجوده فيه."(١)

وقال ابو البقاء(٢) : ان الجن والشياطين هم النفوس البشرية المفارقة عن الابدان بحسب الخير والشر(٣) . واما جمهور ارباب الملل والمصدقين بالانبياء فقد اعرفوا بوجود الجن واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة واصحاب الروحانيات وسموهم : الارواح السفلية . وقال قوم : " ليسوا باجسام ولا حالة فيها بل جواهرها قائم بانفسها وبعضها خيرة محبة للخيرات وبعضها شريرة . ولا يعرف عدد انواعهم واصنافهم غير الله وانهم قادرون على الافعال ويسمعون ويبصرون ويعلمون الاحوال الجزئية ويعقلون الاحوال المخصوصة ولهم قدرة على روءية المحسوسات في حين ليس للبشر القدرة على روءيتهم او تحسسهم ." (٤)

ومهما حشدنا من تعريفات الجن فانها لا تفي — لتعارضها وتضاربها— باداء صورة واضحة محدودة اذ ان الجن ارواح غير محسوسة تختلف صورها باختلاف تصورات الناس وتخيلاتهم . وقد زعموا انها على ثلاثة اصناف . قال ابو القاسم السهيلي : "الجن على ثلاثة اصناف كما جاء في الحديث :

١) صنف على صور الحيات
٢) وصنف على صور كلاب سود
٣) وصنف على صور ريح طيارة او هفافة ذات اجنحة وهم لا يأكلون

---

١) دائرة المعارف : بطرس البستاني — مادة جن . (٢) المعروف بمحب الدين ابو البقاء العكبري نسبة الى عكبرا وهي بلدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ . ولد في بغداد سنة ٥٣٨هـ . وتوفي فيها سنة ٦١٦ هـ . فقيه حنبلي ونحوي ضرير . يعرفه ابن خلكان بانه لم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه . وكان الغالب عليه علم النحو . (٣) مقدمة عبقر ص ٦٠ .
٤) دائرة المعارف ، بطرس البستاني . مادة "جن".

ولا يشربون ، ان صح ان الجن لا يأكل ولا يشرب .

وزاد الرواة على اصناف الجن الثلاثة صنفا يحلون ويظعنون وهم السعالي واضاف آخرون صنفا آخر نصفه انسان ونصفه حيوان النسناس الذى يعرض للمسافرين ." (١) وهم يتطورون ويتصورون في صور الانس والبهائم فيتشكلون في صور الحيات والعقارب ، وفي صور الابل والبقر والغنم والخيل والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم ، كما ظهر احدهم في صورة شيخ نجدى عندما اجتمع العرب في الندوة في قريش ليتشاوروا في امر الرسول فاشار عليهم بقتله .(٢) والخبر شهير يرد في معظم المصادر القديمة .

فالجن انواع وطبقات متعددة كما تبينا ، وهم قادرون على التشكل ، وعلى القيام باعمال خارقة وهم يتميزون نسبة لهيئاتهم المتنوعة ولاعمالهم المتفرقة ويتخذون اسماءهم وفقا لها .

ويفرق الجاحظ بين جن وحن فيقول : ان الحن ضعفة الجن .(٣) وعلى هذا البناء تأتي طبقات الحن نظير طبقات الجن ولكنها اضعف منها .

وخلاصة القول في تعريف الجن انهم ارواح خفية كل ما ورد فيها يفيد معنى التخفي والتستر ، وهي قادرة على التشكل بصور مختلفة، وعلى القيام بالاعمال الخارقة التي يعجز عنها البشر ، ولكنهم اخطأوا في تحديدها

---

١) آكام المرجان ١٧ ، ٢٢٠ . محاضرات الراغب ٢ / ٢٧٠
٢) آكام المرجان ١٨ . السيرة ١ / ١٢٤
٣) الحيوان ١/ ٢٩١ .

لانهم لم يفرقوا بين نوع وآخر منها نتركوا لمن يهتم بالموضوع جمع اشتاتها من مختلف المصادر وضمها اصنافا وطبقات مميزين مفارقاتها ومشابهاتهـــا مؤلفين منها عالما قائما في حدود كائناته الروحية المتنوعة .

اشهـــر انـــواع الجـــن

سبق القول في تعريف الجن انهم اصناف وطبقات نضع الغول في طليعتها لذيوع شهرتها وتنوع الاساطير الواردة بها ووفرتها في المصادر العربية .

الغـــول

والغول بالضم احدى الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم . قال الجوهري : وهي من السعالى ، والجمع اغوال وغيلان وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول والتغول التلون .

قال كعب بن زهير بن ابي سلمى :

فما تدوم على حال تكون بها   كما تلون في اثوابها الغول (١)

والمقصود من ايراد هذا البيت بيان تلون الغول وتشكلها بهيئات وحالات مختلفة .

---

١) السيرة ٤/ ١٤٧ ، الدميرى ٢/ ١٦٧ ، القزويني ٢/ ١٥٣ ، ابن قتيبة ٦١ الشعر والشعراء .

وفي رواية البيت عند ابن قتيبة اختلاف في صوره : فما تدوم على العهد الذى زعمت كما تلوّن ... وهذا البيت من قصيدة البردة الشهيرة في مدحه الرسول ومطلعها : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .... ديوان كعب بن زهير ص ٨

"ويقال تغولت المرأة اذا تلونت ويقال غالته غول اذا وقع في مهلكة والغضب غول الحلم ".(١)

وفـــــي تلون الغول قال عباس بن مرواس السلمي :

اصابت العام رعلا غول قومهم   وسط البيوت ولون الغول الوان(٢) .

وقال امية بن ابي الصلت :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي   في قنان الجبال ارعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينك واحذر   غولة الدهــر ان للدهر غولا(٣)

فالغول يرغب في ايذاء الناس وترويعهم لذا شبه الشاعر حدثان الدهر بها . ولعل الشاعر يوردها بمعنى المهلاك بما هو مطابق لاوصافها . وقد صوروا الحرب ، ام البلاء ، غولا . قال الراجز :

الحرب غول او كشبه غول   تزف بالرايات والطبـــول

تقلب للاوتار(٤) والذحول(٥)   حملاق(٦) عين ليس بالمكحول

كان ابو شيطان واسمه اسحق بن رزين ، احد بني السمط سمط جعدة بن كعب ، فاتاهم امير فجعل ينكب عليهم جورا وجعل آخر من اهل بلده ينقب عليهم — اى يكون عليهم نقيبا—فجعل يقول :

---

١) (الدميرى ٢ / ١٦٧) .

٢) (الحيوان ٦ / ١٦١) .

٣) الحيوان ٦ / ٢٤٤ . الديوان ::

٤) الاوتار ومفردها الوتر— الثأر

٥) الذحول : الثارات

٦) حملاق : باطن اجفان العين

يا ذا الذى نكبنا ونقبا   زوجه الرحمن غولا عقربـــــا[١]

فدعا عليه بزواجه غولا لتنوب عنه بمعاقبته انتقاما منه لظلمه.

وتصور الغول بصور مختلفة وتتشكل بهيئات شاذة قبيحة وتتلون بالوان شتى لتتعرض للمسافرين في الفلاة فتأخذ جانبا من الطريق فيتبعها من يراها فيضل عن الطريق فيهلك.[٢]

قال عبيد بن ايوب في هذا الصدد.

وساخرة مني ولو ان عينها   رأت ما ألاقيه من الهول جنت

أبيت وسعلاة وغول بقفرة   اذا الليل وارى الجن فيه ارنت[٣]

واكثر ما توجد الغول والسعلاة في الغياض اذا ظفرت بانسان ترقصه وتلعب به كما تلعب الهرة[٤] بالفأرة.

وتزعم العامة ان الغول تتصور في احسن صورة الا انه لا بد ان تكون رجلها رجل حمار.

وخبروا عن الخليل بن احمد ان اعرابيا انشده:

وحافر العير في ساق خدلجة   وجفن عين خلاف الانس بالطول[٥]

فالشاهد هنا ان الغول مهما تشكلت بهيئات مختلفة تتميز دوما كون رجلهـــا رجل حمار. ويزعمون ان شق عين الغـــول بالطـــول.

---

١) الحيوان ٦/ ٢٤٢.   (٢) الاغاني دار الكتب ٤/ ١٢٧.

٣) الدميرى ٢/ ١٥٤، الحيوان ٦/ ١٥٤.   (٥) خدلجة : الضخمة الممتلئة.

٤) الحيوان ٦/ ١٥٨.

وغالب القول ان الغول انثى ، جاء في شعر الحكم بن عمرو في غرائب الخلق بيت اورده الجاحظ يثبت ذلك:

وتزوجت في الشبيبة غـــولا   بغزال وصدقتي زق خمر [١]

ويورد الجاحظ ابياتا لعبيد بن ايوب العنبرى يجعل فيها الغول ذكرا وانثى:

وحالفت الوحوش وحالفتني   بقرب عهودهن وبالبعاد

وامسى الذئب يرصدني مخشا   لخفة ضربتي ولضعف آدى [٢]

وغولا قفرة ؛ ذكر وانثـى   كأن عليهما قطع البجاد

فقد جعل الشاعر الغوليں اللذين صادفهما واحدا انثى والثاني ذكرا ولكن الغول انثى كما وردت معنا في معظم المصادر التي رجعنا اليها.

وزعموا ان الغول اصلها شيطان. قال بعضهم : " ان الشياطين اذا ارادوا استراق السمع تصيبهم الشهب فمنهم من احترق ومنهم من وقع في البحر فصار تمساحا ومنهم من وقع في البر فصار غولا" [٣].

وقد حكي عن بعض المتفلسفين ان الغول حيوان شاذ لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا لم يستأنس توحش في مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان. [٤] ولعل الدميرى يوردها بصيغة المذكر مسندا كلامه الى حيوان وهو مذكر لانه فيما تبقى يعتبر الغول مؤنثا في كلامه. ومن الغول نوع يظهر

---

١) الحيوان ٦/ ١٥٨

٢) آدى — قوتي

٣) الدميرى ٢/ ١٥٢

٤) مروج الذهب ٢/ ٧٠ ، الدميرى ٢/ ١٥٣.

في صورة نصف انسان ويسمى شقا.[١] ويظهر غالبا في صورة حيوان كالقط والقنفذ والنعامة والثعبان والسنور.

ويصعب علينا ان نبرز حقيقة الغول ونجسمها باشكالها المتنوعة بيد اننا نحاول اظهار ما تصورها به الناس قديما من هيئاتهـــا المتغايرة ولا سيما شعراؤهم:

قال شاعر[٢] واصفا امرأة علقها يشبهها بالغول كما زعم وربما كانت غولا احبها كما تخرف بعض الشعراء:

فمن لامني فيها فواجه مثلهـــا على غرة القت عطافا ومئزرا[٣]

لها ساعدا غول ورجلا نعامة ورأس كمسحاة اليهودى ازعرا

وبطن كاثناء المزادة رفعت جوانبه اعكانه وتكســـــرا[٤]

وثديان كالخرجين نيطت عراهما الى جؤجؤ جافي الشراسيف ازورا[٥]

وقال عنترة العبسي:

والغول بين يدي يخفى تارة ويعود يظهر مثل ضوء المشعل

بنواظر زرق ووجه اســـود واظافر يشبهن حد المنجـل[٦]

فهو يصورها لنا كضوء المشعل قطعة من نار ملتهبة ووجه اسود قد استدارت اللهبة حوله وتركته مظلما. اما عيونها فزرقاء وهذا ما نعتبره من الفنتزيا في تلوينها. ولكنه لم يلاحظ انيابها كما تنبه لها سلفه امرؤ القيس الذى قال:

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال[٧]

---

١) الحيوان ٦/ ٢٠٦ — مروج الذهب ١/ ٢٩٢. (٢) لا يذكر اسمه الجاحظ.
٣) كل ثوب تعطفت به. (٤) العكنة وهي طي البطن. (٥) الحيوان ٦/ ٢٤١.
٦) ديوان عنترة ص١١٨. (٧) الدميرى ٢٠/ ١٦٧. ديوان امرئ القيس ١٤١

فالغول كما تبينا من صورها قبيحة الهيئة غريبتها ، بعيدة عن المألوس من خلق سليبة التناسق بين التقاطيع وهيئاتها المختلفة المروعة تمثل تجسم ما يجهل ويستنكر في مخيلة الاعراب ويأخذهم من غريب شنيع . لذلك نراهم يرغبون في التخلص منها بقتلها ليرتاحوا من كابوس الوهم الذى يسيطر على عقولهم عندما يتهيأونها . وبما انها غريبة باشكالها واطوارها فلا بد ان يكون لطريقة قتلها فن خاص . فلا يجوز ان تضرب اكثر من ضربة واحدة محكمة لانهم كانوا يزعمون انها تموت بعد الضربة الاولى وتحيا من الضربة الثانية ومن الف ضربة بعدها . فهي تستزيد دوما بعد الضربة الاولى تنشد الحياة بالثانية فاذا جهل قاتلها السر في ذلك ثنى لها فانقذها من الموت وقويت عليه بحيلتها فتذهب بطولته ادراج الرياح فتسخر منه ولا حيلة له عليها من بعد .(١)

وورد شعر في هذا الموضوع في كتاب الحيوان يسنده الجاحظ لابي بلاء الطهوى وكان من شياطين الاعراب وينعته بانه يكذب وهو يعلم ويطيل الكذب ويحبره . والقصيدة ذاتها يوردها الدميرى مستشهدا بها فيمن رأى الغول من الانس وينسبها لتأبط شرا يزيد فيها البيت الاول وقد اضفته الى ما اورده الجاحظ .

---

١) وقد ذهبت طوائف من الهند الى ان الغول تظهر من طلوع الكوكب المعروف "بحامل رأس الغول" فهو يحدث عند طلوعه تماثيل واشخاص تظهر في الصحارى وغيرها فتسميه عوام الناس غولاء هذا ما جاء في مروج الذهب ٢/ ٧٠ . وفي مقدمة عبقر ان حامل رأس الغول كوكب يسميه الغربيون باسمه العربي "الغول" او رأس ميدوزا وفي اساطيرهم ان ميدوزا زاحمت مينرفا في جمالها — وهي الهة الحكمة — فانتقمت هذه منها وحولت شعرها الى ثعابين فصارت متى نظرت الى احد مسخته حجرا وقد قطع "برساو" رأس ميدوزا وحمله على ترسه . مقدمة عبقر ٢٨ .

الا من مبلغ فتيان فهـــم ... بما لاقيت عند رحا بطان[١]

شبيه الغول تسري او ظلام ... بسهب[٢] كالعباية صحصحان[٣]

فقلت لها : كلانا نقض[٤] ارض ... اخو سفر فنحى عن مكـــاني

فصدت وانتحيت لها بعضب ... حسام غير مؤتشب يمانـــــي

فقد سراتها[٥] والبرك[٦] منهـــا ... فخرت لليديـــن وللجران[٧]

فقالت : زد فقلت رويدا اني ... على امثالهـــــا ثبت الجنـــان

شددت عقالها وحططت عنها ... لانظر غدوة ماذا دهانـــــي

اذا عينان في وجه قبيح ... كوجه الهر مشقوق اللســــان

ورجلا مخدج[٨] ولسان كلب ... وجلد من فراء او شنـــــان[٩]

وهنالك طائفة من الاخبار فيمن رأوا الغول في اسفارهم وليسوا من العامة بل من الأخياره منهم عمر بن الخطاب قيل انه رأى الغول في سفره الى الشام قبل الاسلام فضربها بالسيف فقتلها • وهي قصص اسطورية خليقة حوادثها بالاجلال •[١٠]

---

١) الدميرى ٢/ ١٥٣

٢) سهب: ما بعد من الارض واستوى بطمأنينة

٣) الصحصحان: ما استوى من الارض

٤) ذى نقض: المهزول من نقضه السفر

٥) سراتها : ظهرها

٦) البرك : الصدر

(٧) الجران : باطن العنق

(٨) مخدج : الناقص الخلق

(٩) الحيوان ٦/ ٢٣٤

٩) شنان : جلد القربة الخلق

(١٠) الحيوان ٦/ ١٦٠

محاضرات الراغب ٢ / ٢٧٠

وذكر ثابت بن جابر الفهمي[١] انه لقي الغول وجرى بينهما حوار ثم ضربها فقتلها .[٢] وتعرضت ايضا لعلي بن ابي طالب فلم تقو عليه.

وكذلك يروى انها تعرضت لحمزة بن عبد المطلب ولابي بكر ولغيلان[٣] ولم تتمكن منهم جميعا . والمعروف عنها انها لا تتسلط على صحيح العقل .

ويظهر ان العرب تروعوا من الغول فلجأوا الى الوسول يرشدهم الى اتقائها . وروى عن الطبراني في الدعوات والبزار برجال ثقات من حديث سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة ... ان النبي صلعم قال : "اذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالآذان ..."[٤]

والحديث وارد باسنادات مختلفة كلها تفيد المعنى ذاته . والاستعاذة بالله او الروح القدس امر شائع في جميع المعتقدات والاديان ينجو بها الناس من الشرير .

ومجمل القول ان الغول نوع من الجن تتشكل في هيئات مختلفة مروعة مثلها العرب في اقبح الصور للدلالة على ما ترمز اليه من منكر مخيف . وهي لا تدوم على حالة واحدة فتضمحل كالسراب لذلك دعوها ايضا خيتعورا . قال الشاعر .[٥]

كل انثى وان بدا لك منها　　　　آية الحب حبها خيتعور[٦]

---

١) وهو تأبط شرا .

٢) الدميرى ٢/ ١٦٨.

٣) غيلان الدمشقي — ابو مروان . قال ابن قتيبة في المعارف ٢٤٤ : لم يتكلم احد قبله في القدر ودعا اليه معبد الجهني . صلبه هشام بن عبد الملك .

٤) الدميرى ٢/ ١٦٨.

٥) ولا يذكر الدميرى اسمه

٦) الدميرى ٢/ ١٧٠

وهي شيء متداول بين الناس ، لا وجود له،يخوف به الاطفال.

السعلاة

هي نوع من المتشيطنة مغايرة للغول ، وهي اخبثها وكذلك يقال السعلا تمتد وتقصر . والجمع سعالي وهي ترمز الى الصخابة والبذاءة والشناعة . ويقال استسعلت المرأة اى صارت كالسعلاة بمعنى بذية صخابة .

قال الشاعر:

لقد رأيت عجبا مذ امسا ... عجائزا مثل السعالي خمسا
يأكلن ما اصنع همسا همسا ... لا ترك الله لهن ضرسا (١)

وقال آخر:

ويأوى الى عطل بائسات ... وشعث مراضيع مثل السعالي (٢)

وانشد ابو عمرو:

يا قبح الله بني السعلاة ... عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا اعفاء ولا اكيـــات (٣)

فقد قلب السين تاء وهي لغة بعض العرب . قال الجاحظ: يقال ان عمرو بن يربوع كان متولدا من السعلاة والانسان . فلا بد له من ان يأتي بقبائح

---

١) الدميرى ٢/ ١٨ ، الحيوان ١/ ٤٨،٤٩ .
٢) الحيوان ١/ ٤٨،٤٩ .
٣) الدميرى ٢/ ١٨ و ٢٠ و ١٥٤ ، الحيوان ٦/ ١٦١ . الراغب في محاضراته ٢/ ٢٨١ .

طبعه من رداءة عرقه .

والسعلاة اسم الواحدة من نساء الجن اذا لم تتغول . وقد فرق بين الغول والسعلاة عبيد بن ايوب حيث يقول :

وساخرة مني ولو ان عينها رأت ما الاقيه من الهول جنت

ازل وغول وسعلاة بقفرة اذا الليل وارى الجن فيه ارنت (١)

فقد جعل الغول صنفا والسعلاة صنفا على حده .

وقال السهيلي : السعلاة ما يتراءى للناس في النهار والغول ما يتراءى للناس بالليل .(٢)

اما الشبلي في آكامه ، فانه يجعلها نوعا منفردا من الجن معتمدا على اقوال الرواة . قال : " وزاد على اصناف الجن الثلاثة بعض الرواة ، صنفا يحلون ويظعنون وهم السعالي .(٣)

وكما شبهوا المرأة اذا تلونت وتبذلت بالغول لتلونها وتشكلها ، كذلك شبهوها بالسعلاة تارة لصخابتها وبذائتها ، وطورا لحدة طرفها وذهنها وسرعة حركتها ورشاقة قدها .

قال الاعشى :

ورجال قتلى بجنبي اريك ونساء كانهن السعالي (٤)

---

١) الحيوان ٦/ ١٦٠

٢) الدميري ٢/ ٣٠

٣) اكام المرجان ١٨

٤) الحيوان ٦/ ١٦٠ ؛ يرد البيت في الديوان ص ١٢ : (وشيوخ حربى بشطي اريك)

وللسعلاة طبائع تماثل فيها الغول : فهي تعترض ايضا للمسافرين وتوقع بهم وتحب ايقاع الضرر بالانس، وقد تهوى احد الناس فتتزوجه . وهنالك من يزعم ان بعض العرب من نسلها . واكثر ما توجد في الغياض، فاذا ظفرت بانسان تلعبه وترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر[1].

ويحكى ان السعالي توقد نارا حوالي المسافرين تخوفهم بها . قال عبيد ابن الابرص:

لله در الغول اى رفيقة لصاحب قفر خائف متقتر

ارنت بلحن بعد لحن واوقدت حوالي نيرانا تبوخ وتزهر[2]

ولعله قصد بالغول السعلاة اذ ان الشائع كان ان السعلاة تتراءى في النهار والغول في الليل . فلا زعمه باطلا فيما رأى . اذ انه لتوهمه اختلطت عليه المشاهد فما درى ليله من نهاره وما فرق بين غوله وسعلاته . وربما قصد في شعره الغول والسعلاة دون تمييز اذ ان بعض المصادر لا تفرق بينهما[3].

وقال الدميري : رأيت رجلا من بلاد اصفهيد[4] ذكر ان عندهم من هذا النوع كثير وذكروا ان الذئب ربما يصطادها بالليل يأكلها . فاذا افترسها ترفع صوتها وتقول: ادركوني ؛ فان الذئب قد اكلني . وربما تنادي : من يخلصني

---

١) الدميري ٢ / ٢٢، ١٥٤
٢) الحيوان ٦ / ١٦٥ وترد "تلوح وتزهر" . الدميري ٢ / ١٥٤ .
٣) الحيوان ٦ / ١٥٨ .
٤) الدميري ٢ / ١١٤ .

ومعي مائة دينار يأخذها ؟ والقوم يعرفون كلام السعلاة ولا يخلصها احد فيأكلها الذئب.(١)

وكما اعتصم العرب عند ظهور الاسلام بالصلاة والاستعاذة بالله من شر الغول ، كذلك فعلوا ازاء السعلاة . وروى عن اعرابي انه قال : " كانت لي لهوة فيها تمر فكانت تجيء السعلاة فتأخذ منه فشكوت ذلك الى رسول الله صلعم . فقال : اذهب فاذا رأيتها فقل : باسم الله ، اجيبي رسول الله قال : فأخذها . فحلفت انها لا تعود . فارسلها وجاء الى النبي . فقال : ما فعل اسيرك ؟ قال : حلفت الا تعود . قال : كذبت وهي معاودة للكذب. قال : فاخذها مرة اخرى فحلفت الا تعود . فارسلها ثم جاء رسول الله. فقال : ما فعل اسيرك ؟ قال : حلفت الا تعود . قال كذبت وهي معاودة للكذب قال : فاخذها وقال : ما انا بتاركك حتى اذهب بك الى رسول الله. فقالت: اني ذاكرة لك شيئا آية الكرسي . اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره . فجاء الى النبي . فقال : ما فعل اسيرك ؟ فاخبره بما قالت له فقال : صدقت وهي كذوب". (٢)

والمقصود من هذه القصة ان يرشدوا الناس الى تلاوة اية الكرسي في القرآن الكريم لاتقاء الارواح الشريرة وقد جعلوا النصيحة على لسان السعلاة لتكون ابلغ وقعا في النفوس واعجب ديباجة .

---

١) الدميرى ٢/ ٢٠

٢) الدميرى ٢ / ١٦٨

يتبين لنا مما ورد في السعلاة انها تشبه الغول في جميع أطوارها ولكنها تختلف عنها في شيء واحد وهو عجزها عن التلون والتحول كما تفعل اختهـــا .

العفريت والمارد

يجمع بين العفريت والمارد نسب قريب . فهما من فصيلة واحدة . ولكن الاعمال التي تخصص بها كل منهما هي التي تميز بينهما .

العفريت هو المارد القوى من الشياطين والتاء فيه زائدة فيجوز ان يقال عفر . وقرأ ابو رجاء العطاردى وعيسى الثقفي عفريه وكذلك رويت عن ابي بكر الصديق وقرأت فرقة عفر . وكل ذلك لغات .

قال وهب بن منبه اسم هذا العفريت كوذا وقيل ذكوان . وقال ابـــن عباس هو صخر الجني .(١)

فالعفريت كما تبين هو الخبيث المارد من الشياطين . وهو نوع من الجن . والجن الخبيث هو الشيطان وقد اورد الجاحظ : الجن اذا كفر وظلم وتعدى وافسد قيل شيطان وان قوى على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق السمع قيل مارد . فان زاد فهو عفريت فان زاد فهو عبقرى .(٢)

---

١) الدميرى ٢ / ١٠٧

٢) الحيوان ١/ ٢٩١

في ديوان ذي الرمة
[illegible]
[illegible]

قال ابن عباس: "كان سليمان النبي لا يبدأ شيئا حتى يكون هو الذى يسأل عنه . فرأى ذات يوم وهجا قريبا منه فقال : ما هذا ؟ قالوا: هذا عرش بلقيس . [فقال : يا ايها الملأ . ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين ؟ (قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك)[1]]

فالعفريت رشيق في العمل سريع التلبية يحقق الرغائب بأسرع من طرفة عين يستطيع ما لا يستطيع غيره من الجن .

وهو جسور عنيد قوى لا يسترق السمع الا جهارا في اضوأ ما يكون البدر . شهد عليه ما قاله الحكم بن عمرو في قصيدته في غرائب الخلق :

ونفوا عن حريمها كل عفر   يسرق السمع كل ليلة بدر .[2]

المارد

المارد هو من شياطين الجن . فالجني اذا كفر وظلم وتعدى وافسد قيل شيطان وان قوى على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق السمع قيل مارد فان زاد فهو عفريت.[3] فالمارد يقع متوسط القدر بين شيطان وعفريت . وهو عامل شر قوى . ويقال مريد[4] ويراد به مؤذيا شريرا عاصيا . ويقال لكل عاص جبار منيع مارد . وكل هذا منسوب لطبائع هذا الجن . ويقال ايضا في المثل : تمرد مارد وعز الابلق للرجل العزيز المنيع[5] . والمثل للنزاء الملحة .

---

١) الدميرى ٢/ ١٠٧، الحيوان ٦/ ١٩٠ ، ١ـ٦ ، سورة النمل ٤٠

٢) الحيوان ٦/ ٨٠ ، ٦/ ٢٢٠.   (٣) الحيوان ١/ ٢٩١

٤) ابن منظور مادة مرد .   (٥) جمهرة الامثال للعسكرى ١٧٩، مثيلها في العامية "يا جبل ما يهزك ريح ".

ومارد حصن دومة الجندل ، والابلق حصن تيماء . وكانت الزباء ارادت هذين الحصنين فامتنعا عليها فقيل تمرد مارد . وتدعى الحصن الاول بهذا الاسم نسبة للشيطان المارد الذى له قدرة فائقة في العصيان والامتناع .

وحكي ان الله تعالى لما سخر الجن لسليمان حضرت بين يديه طائفة بقدرة ربه فرأى المردة منها يهمون بالفساد والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالاعمدة فصفد المردة وفرقهم بالاعمال المختلفة القاسية من عمل الحديد والنحاس وقطع الاحجار والصخور والاشجار وابنية الحصون وامر نساءهم بغزل القز والابريسم* والقطن ونسج البسط والنمارق . وامر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل والجفان كالجواب وقدور راسيات فاتخذوا له قدورا من الحجارة كل قدر تأكل منها الف نسمة . وشغل طائفة منهم بالطحن وطائفة بالخبز ، واخرى بالذبح ، واخرى بالغوص في البحار لاستخراج الجواهر واللآلي ، وطائفة لحفر الآبار والقنى ، وشق الانهار ، وطائفة لاستخراج الكنوز من تحت الارض ، وطائفة بالمعدنيات واستخراجها من المناجم ، وطائفة برياضة الخيل ، وهكذا شغل كل طائفة بامر صعب ليقل فسادهم ويكونوا قوة لملكه .(١)

يتبين لنا من هذا الخبر ان المارد هو الجبار من الجن الذى يقوى على الاعمال الشاقة الصعبة الكبيرة لذا سخرهم سليمان الحكيم عن الفساد في القيام بالاعمال الثقيلة المعجزة وذلك لعلمه بمقدرتهم التي حولها عن الشر والفساد .

---

١) الدميرى ٢/ ١٥٦

* الابرسيم : الكتان : حرير [illegible] معرب ابرسيم بالفارسية . المعجم [illegible]

عبقـــر

عبقر مكان في البادية ينسب اليه جن يعرفون به. ولا تتفق المصادر في تعيين موضعه بالضبط. فياقوت يشير الى اكثر من مكان واحد معروف بهذا الاسم؛ يقول: "هو موضع في اليمن كان يسكنه الجن، لعله كان قديما وخرب. كان ينسب اليه الوشي، فلما لم يعرفون نسبوه الى الجن. ولعله جبل في الجزيرة يقال له عبقر. ويشير ايضا الى مكان بنواحي اليمامة"[١].

ولكنه لا يعين موقعه، فنظل غير مسترشدين اليه تماما. ويقول الجوهري في الصحاح: "هو موضع تزعم العرب انه من ارض الجن. وقد نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه او جودة صنعته وقوته"[٢].

قال لبيـد:

ومن فاد من اخوانهم وبنيهم　　　كهول وشبان كجنة عبقر[٣]

ويقال في المثل: "كأنهم جن عبقر"[٤] اذا ابدعوا في العمل وتفوقوا به. كذلك قيل لكل فائق او شديد عبقري.

---

١) معجم البلدان ٤/ ٧٩

٢) الصحاح مادة عبقر ١/ ٣٥٨

٣) البيت وارد في الصحاح منسوب للبيد وكذلك في البستان وقد عثرنا عليه منسوبا للاعشى في ديوانه ٢٤٣ مع اختلاف في الصدر:

وخاض خياض الموت من دون جاره　　　كهول ...

٤) البستان مادة عبقر

ويزعم البعض ان كلمة عبقر مؤلفة من مقطعين منفصلين كل منها يفيد معنى منفردا بنفسه ،فعب معناه البرد ،وقر معناه البرد ايضا ركبا تركيبا مزجيا في كلمة واحدة عبقر كما هي يعطينا مثلا من بحز ويعد هذا ما يشرحه الميداني في المثل : "ابرد من عبقر وجبقر".

قال : "وقيل هما البرد ... وقيل انما هي عب وقر ومعناهما البرد كما قيل عب شمس وعب ههنا ضوء الصبح . وقال خلف الاحمر: يقال لولد الدهقان عبقر بمعنى البارد الثقيل لان العرب كانت تستبرد لغة الفرس وتستثقل اولادهم.[1]

وفي الحديث في صفة عمر بن الخطاب: "فلم ار عبقريا يفرى فريه"

وقال اعرابي : "ظلمني والله ظلما عبقريا".[2]

حتى الظلم اذا اتى محكما قيل فيه عبقريا. نستدل من كل ما ورد من قول في عبقر انه نوع من الجن فاق في مآتيه عن اترابه حتى نسب كل جليل فائق اليه ونحن نستعمل كلمة العبقرية للدلالة على النبوغ والمهارة والابداع والاختراع.

---

١) مجمع الامثال للميداني ١٧٢

٢) الحيوان ٦/ ١٨٩

الغدار والخابل والباجس

وهم نوسان ثلاثة من طائفة المتشيطنة من الجن. الغدار وهو نوع خاص منها يوجد بأكناف اليمن وربما يوجد بتهائم مصر واعاليها يلحق الانسان فيدعوه الى نفسه فيوقع به شرا فيذعر الانسي ويخر مغشيا عليه وربما لم يكترث لشجاعة نفسه.(1)

وقد وردت فيه اخبار بعيدة عن الحشمة تغاضينا عن ذكرها.

والخابل وهو من الجن الذي يخلب الناس، وقد يكون غولا او عفريتا او اى نوع آخر من الجن ممن يصرع الانسان انتقاما منه او حبا به واسرا له فيخلبه ليستلكه. وكانوا يزعمون انه هو الذي يسبب الصرع او الجنون. لذلك كانوا يداوون المصروع بالرقي والتعويذة لطرد الخابل او الروح الشريرة منه.

قال الجاحظ: "وهم يزعمون ان المجنون اذا صرعته جنية والمجنونة اذا صرعها جني كان ذلك بداعي العشق والهوى. وان الشيطان يعشق المرأة منا وان نظرته اليها من طريق الاعجاب بها اشد عليها من حمى ايام وان عين الجان اشد من عين الانسان.(2) فالخابل او الخبل اسم للجن الذي

---

1) القزويني ٢/ ١٥٤

2) الحيوان ٦/ ٢١٧

يخبلون الناس بأعيانهم دون غيرهم • وقال الشاعر: [١]

تناوح جنان بهن وخبّـل [٢]

كأنه اخرج الذى يخبلون الناس ويتعرضون لهم ممن ليس عنده الا العزيف والنوح • وفصل ايضا لبيد بينهم حيث قال:

أعاذل لو كان النداء [٣] لقوتلوا ولكن اتانا كل جن وخابل [٤]

والخابل ايضا هو الذى يخبل الشعراء • قال اعشى سليم:

وما كان جني الفرزدق قدوة وما كان فيهم مثل فحل المخبل
وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل [٥]

اذا كانوا يزعمون ان بكل شاعر جنا ينطق الشعر على لسانه • ولعلهم لاحظوا ذلك الذهول والشذوذ البادى في طبيعة الشعراء الذى هو ميزة من مظاهر نبوغهم الفني فنسبوه للخبل • وقد شاعت العقيدة في الاسلام ان آكل الربا يتخبطه الشيطان لما ورد في الآية (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) [٦] • هكذا ينال كل شرير جان جزاء آثامه وهي عقيدة شائعة في معظم الاديان، وتلبس الشيطان للخاطيء، وما ذلك الا لمكافحة الشر وكف ايدى البغاة • [٧]

---

١) اوس بن حجر
٢) الحيوان ٦/ ١٦٥ •
٣) النداء = المخالفة
٤) الحيوان ٦/ ١٩٥
٥) الحيوان ٦/ ٢٢٦ • ديوان اعشى سليم ٢٨٣
(٦) سورة البقرة ٢٧٥
(٧) تراجع Mythologie Generale pp. 246-247.

والهاجس هو الجن الذى اختص ان يوسوس للانسان لتنتابه الخواطر المقلقة والافكار المزعجة فتنقل عليه الهموم وتلازمه فيصبح شبه مخبول ٠

ويحكى انه كان للاعشى هاجس [١] ٠ يوسوس له فيسلبه الطمأنينة والراحة ٠ وزعموا ان الهاجس كان يهمس في آذان الناس ما يشوشهم ، اما فيمـــا يتعلق بامورهم او فيما يتعلق بامور غيرهم فيتصرفون تصرفا عصبيا متسرعـــا يسيئون به لانفسهم او لسواهم ٠ وهم يفكرون تفكيرا زائغا مبنيا على ما يوسوسه لهم هاجسهم من ظن ووهم بحيث يجور بهم عن طريق الحق ٠ ولعل سورة الناس قد نزلت حرزا لهم من شره ٠ فمن يتلو (اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) [٢]، فقد طرد هاجسه عنه ٠

التابع والرئي

التابع من ولد ابليس كما يعرفه الدميرى قال : وروى ان الله تعالى قال لابليس : لا اخلق آدم ذرية الا ذرأت ٠ [٣] لك مثلها فليس من ولد آدم احد الا وله شيطان قد قرن به ٠ [٤] ٠ ويسمى التابع ايضا قرينـــا لانه يخلق مع الانسان منذ يخلق ويقترن به ٠ ويكون ذكرا او انثى فللذكر من الانس جني تابع وللانثى جنية تابعة ٠ والتابع يوحي لمتبوعه حيث يرافقه في جميع مراحل حياته وينطقه بلسانه وينبئه الامور بتكهناته فهو مصدر بوادره

---

١) بلوغ الارب ٢/ ٣٦٨

٢) سورة الناس

٣) جعلت لك ذرية ــ اولاد

٤) الدميرى ٢/ ٣٦٨

وتصرفاتها كلها • وقد شاع انه كان لكل شاعر تابع يوحي اليه شعره • وكذا
قالوا ان لكل نبي تابعا يوحي اليه نبوته • كما يستدل من القصة التالية •
قيل : " روى انه خرج ركب من ثقيف الى الشام وفيهم امية بن ابي الصلت •
فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا ليتعشوا بعشاء اذ اقبلت عظاية (١) حتى دنت
منهم فحصبها احدهم بشيء في وجهها فرجعت ، وكفتوا (٢) سفرتهم ثم قاموا
يرحلون ممسين • فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيب مقابل لهم تتوكأ على عصا
فقالت لهم : ما منعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية ؟
فقالوا ومن انت ؟ قالت : انا ام العوام ، امت (٣) منذ اعوام ، اما ورب العباد
لتفترقنّ في البلاد • وضربت بعصاها الارض ثم قالت : بطيء ايابهم ، نفرى
ركابهم ، فوثبت الابل كأن على ذروة كل منها شيطان ما يملك منها شيء
حتى افترقت في الوادى • فجمعناها في آخر النهار وفي الغد لم نكد • فلما
انخناها لنرحلها اقبلت العجوز ففعلها بالامس واعدنا الكرة • وجاءت في
اليوم الثالث وفعلت ففعلها في اليومين ونفرت الابل • فقلنا لامية : ايـن ما
كنت تخبرنا به عن نفسك ؟ (٤) فقال : اذهبوا انتم في طلب الابل ودعوني •
فتوجه الى ذلك الكثيب الذى كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه
الى واد فاذا فيه كنيسة وقناديل • واذا رجل مضطجع معترض على بابها ،
ابيض الرأس واللحية • فلما رأى امية قال : انك لمتبوع فمن اين يأتيك صاحبك ؟

---

١) العظاية : دويبة ملساء تسمى شحمة الارض •
٢) كفت : ضم الشيء الى بعضه •
٣) امت : فقدت زوجي
٤) لانه كان يدعي النبوة • الاغاني دار الكتب ١٧/١١٩ و ٢١/١٢١ •
ابن سلام • طبقات فحول الشعراء ٢٢٠ - ٢٢٤ • ابن خلكان ١/٩٩

قال : من اذني اليسرى . قال : فبأى الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجن ، كدت والله ان تكونه فلم تفعل . ان صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل اذنه اليمنى ويأمره بالبياض . فما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز ، فقال : صدقت . وليست بصادقة . هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ اعوام وانها لن تزال تصنع ذلك بكم ان استطاعت. فقال امية : وما الحيلة ؟ فقال : جمعوا ظهركم[1] . فاذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سبع من فوق وسبع من اسفل باسمك اللهم، فلن تضركم . فرجع امية اليهم وقد جمعوا الظهر ، فلما اقبلت قال لها ما امره به الشيخ ، فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت : قد عرفت صاحبكم ، وليبيضنّ اعلاه وليسودنّ اسفله ، فاصبح امية وقد برص في عذاريه واسود اسفله. فلما قدموا مكه ذكروا لهم هذا الحديث ، فكان ذلك اول ما كتبه اهل مكة : " باسمك اللهم في كتبهم ".[2]

فهذه القصة شاهد لما كانوا يزعمون من أن للانبياء المصطفين ـ تابعا يوحي اليهم . فاذا كانت دعوتهم صادقة يأتيهم من اذنهم اليمنى ، وان كانت باطلة فمن اليسرى ، ويأمرهم بالبياض من اللباس وليس بالسواد . وامية بن ابي الصلت[3] شاعر كان قد قرأ الكتب الدينية وادعى النبوة ولكن نبوته

---

١) ظهركم : الركاب التي تحمل عليها الاثقال يعني الابل

٢) الاغاني ٤/ ١٢٥ / ١٢٦ . دار الكتب

٣) عاصر النبي وتوفي اثناء الدعوة ما يقارب ٦١٨م راجع الاغاني دار الكتب ٤/ ١٢٠ / ١٣٢ . بلوغ الارب ٢ / ٢٥٢ .

لم تتحقق لذا كانت دعوة تابعه له من اذنه اليسرى • وامره بالسواد من اللباس شعارا له وليس بالبياض منها ، الذى هو في زعمهم شعار النبـوة الحقـــة •

والتابع يحاكي ما تسميه الشعوب الجرمانية في اساطيرهـا "فيلجيا" وهذا اللفظ يفيد لغويا المعنى ذاته وهو تابع او قرين وقد زعموا انه روح ثان يشترك مع روح الانسان وكذلك يمكنه الانفصال عنه واتخاذه اشكالا مختلفة • وقد عللوا الاحلام بانها ليست سوى اطوار او مغامرات هذه الروح التابعة التي كانت تنفصل عن الجسم في رقدته لتخوضها ثم لا تلبث ان تعود اليه• ولكن فكرة الروح في عرف التعليلات المسيحية اللامادية تختلف اختلافا كليا عن مفهوم الروح التابع فيما يسمونه "فيلجيا" • بيد ان الشعوب الجرمانية التي اعتنقت الديانة المسيحية ظلت متأثرة بتراثها الميتولوجي نميزت التابع في نوعين : تابع ابيض وتابع اسود • فالتوابع السوداء الشريرة لم تذعن للمسيحية اما التوابع البيضاء الخيرة فقد آمنت بها وانخرطت في سلكها •(١) وقد تكون هذه الفكرة موروثة عن معتقدات آرية قديمة حملها الجرمان معهم من الشرق الى الغرب ، كما تأثر بها العرب من شعوب الحضارات الشرقية القديمة كالبابلية والاشورية والفارسية •

هذا ما يبدو مماثلا لما علله الاسلام في امر التوابع والانبياء • فان الاشرار منهم عارضوا الرسول وارادوا صده عن دعوته الخيرة ، واما الابرار منهم فهم الذين اوعزوا اليه بالارشاد والصلاح • يمكننا اذا ان نقسم التوابع

---

(١) Mythologie Generale p. 247.

الى معسكرين : التابع الصالح وهو الملاك والتابع الشرير وهو الشيطان .

وروى البخارى ومسلم والنسائي عن ابي هريرة ... ان النبي محمد (صلعم) قال : ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة يريد ان يقطع علي صلاتي فذعته (بالذال المعجمة والعين المهملة) اى خنقته ، واردت ان اربطه في سارية من سوارى المسجد ، فذكرت قول اخي سليمان . وقال (صلعم) لا يسمع مدى صوت المؤذن جسن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة .(١)

فالتابع الخبيث هنا يريد ان يعكر على الرسول صفاء ايمانه ويصده عن صلاته ولكن الرسول تمكن منه بقدرة الله تعالى .

وروى مسلم عن سالم بن عبد الله بن ابي الجود — وليس له في الكتب الستة سواه — عن ابن مسعود ان النبي قال : ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينة من الجن . قالوا : واياك يا رسول الله ؟ قال : واياى ، الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير ... .

واجمعت الامة على عصمة النبي من الشيطان وانما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته واغوائه . فاعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان . واما عصمته (صلعم) من الكبائر فمجمع عليها وكذلك سائر الانبياء .(٢)

ومن الذين كانت توحي اليهم توابعهم : العرافون والسحرة . نورد قصة حفر بئر زمزم الشهيرة برهانا لذلك . قيل : " بعد ان حفر عبد المطلب

---

١) الدميرى ١/ ١٨٨

٢) الدميرى ١/ ١٨٨

زمزم نذر ان يذبح احد بنيه عند هبل • وضربوا القداح فوقعت القرعة على عبد الله فجاء به ابوه ليذبحه بين اساف ونائلة ؛ فمنعه اهل قريش وارادوا فداءه باموالهم خوفا من ان يقتدى به اهل قريش فلا يبقى منهم احد • واشاروا عليه ان ينطلق الى الحجاز ، فان به عرافة لها تابع فان امرت بذبحه ذبحه وان امرت بامر فيه فرج قبله • فانطلقوا فوجدوها بخيبر وعرضوا عليها الامـــر • فقالت لهم ؛ ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فاسأله • فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهـم ؛ قد جاءني الخبر • كم الدية منكم ؟ قالوا ؛ عشر من الابل ، وكانت كذلك • فقالت ؛ فارجعوا الى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ، ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت على صاحبكم تزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم • (١) ففعلوا كما قالت لهم وظلوا يضربون القداح حتى بلغت الابل مئة • وافتدى الغلام وهكذا فتي الامر •

وترد اخبار كثيرة تتعلق بالتوابع اخترنا اشهرها اذ انها كلها تفيد الفكرة ذاتها فيما يتعلق بهذا الموضوع •

اما توابع الشعراء فالحديث عنها طويل ولذلك افردنا لهم بابا خاصا في هذه الاطروحة •

اما الرئي فهو جني يخص من يراه من الانس فيحبه ويتعطف عليه ويخدمه ويخبره ببعض الاخبار • قال الجاحظ ؛ " اذا الف جني انسانا تعطف عليه وخبره ببعض الاخبار ، ووجد حسه ورأى خياله ، فاذا كان عندهم كذلك

---

(١) السيرة ١/١٦٢

قالوا : مع فلان رئي من الجن.(١) وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لحي بن قمعة ، والمأمور الحارثي وعتيبة بن الحارث بن شهاب من ناس معروفين من ذوى اقدار ، من بين فارس رئيس وسيد مطاع . فمن حسنت بصيرته في الامور ومن كان له هيبة وسلطان،ومن خدمه الحظ في تحقيق امانيه قالوا: هذا كله من فضل رئيه.

ولكن منهم من ادعى ان معه رئي من الجن وسيلة اعتداد وافتخار او خداع واكتساب فعرض نفسه للسخرية او الهجاء. قال جبيها، الاشجعي في امثال هؤلاء :

اقام هوى صفية في فؤادى	وقد سيّرت كل هوى حبيب
لك الخيرات كيف منحت ودى	وما انا من هواك بذى نصيب
اقول وعروةُ الاسَدِىَّ يرقي	اتاك برقية المُلِقِ الكذوب
لعمرك ما التثاؤب يا ابن زيد (٢)	بشاف من رقاك ولا مجيب
لسير الناعجات (٣) اظنّ اشفى	لما.من طبيب بغي الذهوب(٤)
	لما بي من طبيب بني الذهوب

فالشاعر ينفي هنا ما يزعمه الراقي في امر ملكه الرئي الذى يخوله من شفاء صرعى العشق. فالابل اجدى منه في تطبيبه لانها توصله الى محبوبه .

وممن ادعوا ان معهم رئيا من الجن الذين كانوا يتعاطون العيافة ، والزجر،

---

١) الحيوان ٦/ ٢٠٣
٢) هو عروة الاسدى
٣) الناعجات: البيض من الابل السريعة ومفردها ناعجة
٤) الحيوان : ٦/ ٢٠٥

والخطوط والنظر في اسرار الكف، وفي مواضع قرض الفأر ، وفي الخيلان في الجسد ، وفي النظر في الاكتاف والقضاء بالنجوم ، والعلاج بالفكر .
ومما اورده الجاحظ في هذا الصدد قوله : " وقد كان مسيلمة يدعي ان معه رئيا في اول زمانه ولذلك قال فيه الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه :

ببيضة قارور وراية شادن   وخلة جني وتوصيل طائر (١) (٢)

فاصحاب الرئي منهم من اخلص لهم رئيهم فآمن الناس بنبوغهم فيما خصهم به، ومنهم من اوهموا الناس بمصادقته لهم وخدمته اياهم، فنالوا الاستخفاف والتكذيب فيما ادعوه ، اذ ان الرئي لا يختار ايا كان من البشر بل هو يخص بالهاماته متفوقيهم ليس الا .

الهاتـــف

يستدل من معنى الكلمة الصفة الخاصة التي عرف بها الجن . فهو الذى يهتف بالناس فيسمعون صوته ولا يرونه . وقد يتجسم لهم بعد هتافه بهيئات مختلفة . فيضللهم عن حقيقته ويبعد عن اذهانهم احتمال قرنه بهتافه السابق . وهذا من باب تعظيمهم للامر الذى يهتف به فيلقون على الهتاف سترا من العجب والغموض والغرابة في حقيقة مصدره تكبيرا لما يهتف به وتعظيما لاثره في نفوسهم . وقد جعلوا لكل حادث عظيم هتافا سابقا منذرا

---

١) توصيل : ريش الطائر
٢) الحيوان ٦/ ٢٠٦ .

بوقوعه قبل حينه، فمن ارض قاحلة عمرت وازدهرت، ارشدهم لعملها والى خيراتها البكر المكنونة في جوف ثراها هتاف من الجن ، ومن ماء غائرة اهداهم الى نبشها ، ومعركة منصورة حثهم على خوضها ، ونبي منتظر بشرهم بمجيئه قبل ولادته، الى ما هنالك من عظيم الحوادث الاخرى .

فمن جملة ما اتى في هذا الباب ما اورده الهمداني في اكليله عن اليمن السعيدة قال : "وروى اهل ضهر[1] ان واديهم كان غامرا لا ينتفع منه اهله في قديم الزمان الا بالمرعى ، فسمعوا هاتفا من الجن يقول بالحميرية والعربية " وى لا ميك بو بو لمن فضح ونفح وسماء مفلح " تفسيره : فضح نشط من الكرم ، ونفح : قطع عضاهه ، وفلح : غرس الكرم والتنابيت[2] العجيبة وفلح الارض شقها .[3] ففلحوها وزرعوها فكثرت خيراتها وازدهرت وعمرت وعادت عليهم بالخصب والغنى . ويتذبذب الهتاف على تموجات الاثير من اليمن الى الحجاز ليأمر عبد المطلب بحفر زمزم .

" عن الغافقي انه سمع علي بن ابي طالب ... قال عبد المطلب : اني لنائم في الحجر اذ اتاني آت فقال : احفر طيبة . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد ، رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر بره . قال : فقلت : وما بره ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه . فجاءني فقال : احفر المضنونة، قال فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت الى

---

١) جبل في اليمن .

٢) النبات وكل ما هنالك من مزروعات .

٣) الاكليل ج٨ ٦٤ .

مضجعي فنمت فيه • فجاءني فقال : احفر زمزم • قال ، فقلت: وما زمزم؟ قال : لا تنزف ابدا ولا تذم ، تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل ". (١) قال ابن اسحق(٢): فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث ابن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها حتى اخرج الماء • وقد نذر ان يذبح ولده عند اساف ونائلة (٣) فافتى النذر بمئة ناقة سبق الخبر عنه في باب التوابع من هذه الاطروحة صفحة ٣٢ •

ولا ينحصر انباء الهواتف بالحوادث السعيدة فهي تنبىء بالشقاء ايضا اذ انها صنف من اصناف الجن وهم على نوعين : خيرين ومنكسين كذلك الهواتف فان منهم من يميل الى تبشير الناس واسعادهم ومنهم من يروم ايذاءهم واتعاسهم • ومما يروى من هذا القبيل ما يورده الميداني في تفسير المثل: " الحمى اضرعتني للنوم ". قال ابو عبيدة : يضرب هذا المثل في الذل عند الحاجة ينزل • قال المفضل: اول من قال هذا رجل من كليب يقال له مرير ، ويروى مرين • وكان له اخوان اكبر منه يقال لهما مرارة ومرة • وكان مرير لصا مغيرا وكان يقال له الذئب • وان مرارة خرج بصيد في جبل لهم فاختطفته الجن • وبلغ اهله الخبر فانطلق مرة في اثره حتى كان بذلك المكان فاختطف• وكان مرير غائبا فلما قدم بلغه الخبر فاقسم لا يشرب خمرا ولا يمس

---

١) السيرة ١/ ١٥٠

٢) اول من كتب السيرة والذى نقلها عنه ابن هشام •

٣) صنمان كانا يعبدان في الجاهلية •

مضجعي فنمت فيه • فجاءني فقال ، احفر زمزم • قال ، فقلت، وما زمزم؟
قال : لا تنزف ابدا ولا تذم ، تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث
والدم ، عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل •". [1] قال ابن اسحق [2]
فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه
ابنه الحارث ابن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها حتى
اخرج الماء • وقد نذر ان يذبح ولده عند اساف ونائلة [3] فانتهى النذر
بمئة ناقة سبق الخبر عنه في باب التوابع من هذه الاطروحة صفحة ٢٣ •

ولا ينحصر انباء الهواتف بالحوادث السعيدة فهي تنبيء بالشقاء ايضا
اذ انها صنف من اصناف الجن وهم على نوعين : خيرين ومنكسين كذلك
الهواتف فان منهم من يميل الى تبشير الناس واسعادهم ومنهم من يروم
ايذاءهم واتعاسهم • ومما يروى من هذا القبيل ما يورده الميداني في تفسير
المثل: " الحمى اضرعتني للنوم" • قال ابو عبيدة : يضرب هذا المثل في الذل
عند الحاجة ينزل • قال المفضل، اول من قال هذا رجل من كليب يقال
له مرير ، ويروى مرين • وكان له اخوان اكبر منه يقال لهما مرارة ومرة • وكان
مرير لصا مغيرا وكان يقال له الذئب • وان مرارة خرج يصيد في جبل لهم
فاختطفته الجن • وبلغ اهله الخبر فانطلق مرة في اثره حتى كان بذلك المكان
فاختطف • وكان مرير غائبا فلما قدم بلغه الخبر فاقسم لا يشرب خمرا ولا يمس

---

١) السيرة ١/ ١٥٠

٢) اول من كتب السيرة والذى نقلها عنه ابن هشام •

٣) صنمان كانا يعبدان في الجاهلية •

رأسه غسل حتى يطلب باخويه • فتنكب قوسه واخذ سهما ثم انطلق الى ذلك الجبل الذى هلك فيه اخواه• فمكث فيه سبعة ايام لا يرى شيئا • حتى اذا كان في اليوم الثامن اذ هو بظليم فرماه فاصابه• واستقل الظليم حتى وقع في اسفل الجبل• فلما وجبت الشمس ابصر بشخص قائم على صخرة ينادى :

يا ايها الرامي الظليم الاسود　　　تبت مراميك التي لم ترشد

فاجابه مرير :

يا ايها الهاتف فوق الصخرة　　　كم عبرة هيجتها وعبرة

بقتلكم مرارة ومـــــرة　　　فرقت جمعا وتركت حسرة

فتوارى الجني عنه هويا من الليل • واصابت مرير حمى فغلبته عيناه، فاتاه الجني فاحتمله وقال له : ما انامك وقد كنت حذرا ؟ فقال : الحمى اضرعتني للنوم • وذهبت مثلا • وقال مرير :

" الا من مبلغ فتيان قومي　　　بما لقيت بعدهم جميعا

غزوت الجن اطلبهم بثأرى　　　لاسقيهم بها سما نقيعا

فيعرض لي ظليم بعد سبع　　　فارميه فاتركه صريعـــــا "(١)

ومن غريب امر هذه الهواتف المتجنية انها تنذر الانسان بالويل احيانا لقساوته وهي تؤنبه احيانا على تقلمه ضعفا؟ خلق الله وتنذره بالويل وتعاقبه معاقبة قاسية جزاء شره• فاننا نعجب عند ما نراها تحمي الظباء وتحذرها

---

١) مجمع الامثال للميداني ١/ ١٢٨•

من شر القانصين فتحملهما على الفرار وتقيهما من الهلاك .

يروى عن المريمي قال : كنت اقنص الحمر ، فخرجت ذات يوم فبنيت قوخا في الموضع الذى ترد فيه للشرب . فلما وردت شددت سهما فاذا انا بهاتف يقول : " يا منهلة ، حمرك ! فنفرت الحمر كلها . فانصرفت ومعي جارية يقال لها مرجانة وحماران ، فشددتهما من وراء الجبل ونوقت سهمي وجلست ارقبهما . فلما طلعت الحمر لم اجنح الى تليث فرميتهما فصرعت حمارا منهما ثم قلت :

قد فقدت حمارها منهله اتبعتها سيحلة منسلة (١)

كذنب النحلة يعلو الحلة .

قال : فاجابني مجيب :

قد فقدت حمارها مرجانه اتبعتها سبحانة خسانه (٢)

في قبضة عسراء من سريانه

فقالت الجارية : يا مولاى قد مات والله احد الحمارين . وكان كذلك . (٣)

وحادثة اخرى من هذا القبيل يرويها الشبلي في آكامه : " قال عبد الله بن محمد : حدثني هشام بن محمد عن ايوب بن خوط عن حميد بن هلال او غيره قال : كنا نتحدث عن الظباء ماشية الجن فاقبل غلام ومعه

---

١) السهم السريع

٢) السهم النابي الذى لم يصب هدفه

٣) اكام المرجان ١٠٦ .

قوس ونبل فاستتر بارطاة وبين يديه قطيع من ظبي وهو يريد ان يرمي بعضه نهتف به هاتف لا يرى :

ان غلاما عسر اليدين يسعى بلبد او بلهزمين *

متخذ الارطاة * جنتين ليقتل التيس مع العنزين

فسمعت الظباء فتفرقت ".(١)

ففي الرواية الاولى نرى الهواتف تحذر الظباء فتنجو من نبال العريمي ولكن العريمي لا ينجو من عقاب الجن فهي تهدف نباله الى حماريه فتقتلهما نكاية به ، وتنال منه كما اراد ان ينال منها ، ولكنه هو اظلم لانه بادئ بالتعدى . وبما ان الظباء — كما كانوا يزعمون — هي ماشية الجن ، فكان من البديهي ان تثار هواتفها لحماية ما يخصها .

"والاعراب لا يصيدون يربوعا ولا تنفذا ولا ورلا(٢) من اول الليل ، وكذلك يكون عندهم من مطايا الجن ، كالنعام والظباء . فان قتل اعرابي تنفذا او ورلا من اول الليل ، او بعض هذه المراكب لم يأمن على محل ابله ، ومتى اعتراه شيء حكم بانه عقوبة من قبلهم . قالوا : ويسمعون الهاتف عند ذلك بالنعي وبضروب الوعيد ".(٣)

واننا لو لجأنا الى اساليب البحث العلمي لحملنا التمحيص على نفي هذه الاقاصيص المختلفة لاننا نلاحظ فيها كثيرا من عناصر الاختلاق . فقد

---

١) آكام المرجان ١٢٠ * لهزمين : الجبل او الأكمة

٢) دابة تشبه الضب لكنها اعظم جرما * الارطاة : نوع من الشجر [illegible]

٣) الحيوان ٦/ ٤٦

تكون الاولى منها في تفسير المثل : " الحمى اضرعتني للنوم " مبتدعة لتأويله كما يبتدع كثير من القصص في كتب الادب لتفسير الامثال . واما الثانية فقد يكون تحريم صيد الغزلان في بعض المواضع داعيا الى وضعها . واما الثالثة فاننا نلمس فيها العناصر القضائية الاسلامية القياسية التي تنطبق عليها نواميس الجن التشريعية كما تنطبق فيها مبادىء الانس ولعلها موضوعة لتدعيم مادة قانونية . ومهما يكن من امر فانها تمثل ما زعمه الاقدمون في اساطيرهم من امر تلك الهواتف وما شاعت به خرافاتهم من هذا القبيل ، ولو كانت على وجه الشبه . وليس من الطبيعي ان تنقطع الصلة قطعا باتا بين عصر وعصر فتطور الحياة يحمل الكثير من معالم التراث القديم الذى لا يزال يظهر في شتى مراحله ، مهما شطت به ركب العصور . واساطير الهواتف كثيرة في كتب الادب القديمة عرضنا نماذج منها نظنها كافية لتكوّن في ذهن القارىء صورة واضحة عن ماهيتها وعملها الخاص . اما فيما يتعلق من امرها بالادباء والشعراء فلها شؤون خاصة يأتي الكلام عنها في فصل ادب الجن من هذه الاطروحة .

وخلاصة القول في الهواتف انها ارواح حاضرة دوما لتعلن انذارات بامور خطيرة قبل حدوثها . وقد تكون هذه الامور خيرا وبركة او ويلا وتبابا ولكنها هامة . فالهواتف في زعم العرب تعلم بها قبل وقوعها فلا تكتمها عنهم في الحين المناسب لاعلانها وهكذا كان لكل حدث هام عندهم صلة بعالم الارواح الخفية .

العامـــــــر

العامر صنف من اصناف الجن ، زعموا انه كان يقيم في اماكن معينة معظمها في الفيافي المقفرة او اعالي قمم الجبال او اغوار الوديان او في البيوتـات المهجورة والقبور الموحشة او في سقوف البيوت وربما تسكن مواضع مطروقـــة كورد ماء مثلا او مرعى معروف فتجتنب هذه الامكنة وتتقى على اعتبار انهـا مسكونة بمعنى ان العمار من الجن يحلون فيها فيخشى شرهم لانهم قـــد يعترضون الناس احيانا ويوقعون بهم وقد يخطر لهم في بعض الاحيان ان يحسنوا مصانعتهم ، وعلى كل الاحوال لم يكن الناس ليرغبوا نزول هذه الاماكن توجسا من عمارها • وزعم بعضهم انه رآها وسمع هتافها فنقـل الى قومه اخبارها وزادهم يقينا من وهمهم • "قال ابن الاعرابي : نزلت باعرابي فاستطبت ماء، فسألت عن مكانهم فقال : هو كثير الجن قلت او ترونهم ؟ قال : نعم مكانهم في ذلك الجبل • واومأ بيده الى جبل يقال له سواج وقد ادعى عدة من العرب انهم رأوا خياما واناسا ثم فقدوهم من ساعتهم "• (١)

وكان من زعم انه يكلم العمار ويخبر عن مفاوضته الجن • منهم " ابوحية النميري فانه كان اجن من جعيفران وكان اشعر الناس • وكان يكلم العمّار ويخبر عن مفاوضته الجن• (٢) وترد اخبار كثيرة في هذا الباب اغلبها مصنوع لغايات دينية او عصبية او غيرها ، ولكنها دخلت عقول الناس في زمنهـــا وقبلوها لانهم كانوا يعتقدون بصحة وجود العمار ويصدقون الاخبار التي ترد هم عنهم ويؤمنون بما يهتفون لهم به من ارشادات وانباءات • ومعظم هذه الاساطير

---

١) محاضرات الادباء ٢/ ٢٨٠ و ٣٧٠•

٢) البيان والتبيين ٢/ ٢٣٠•

موضوع في العصر الاسلامي لذا نراه مصطبغا بصبغة دينية ولكنه لا يضلل عن حقيقة ما كان عليه العرب من ايمان ومعتقدات قبل الاسلام • لذا قلنا ان هذه الاساطير ذات صبغتين : جاهلية واسلامية وهما باديتان للعين جليا • وهذه واحدة منها وردت في معظم المصادر التي اطلعنا عليها • "في معجم ابن قانع والطبراني في ترجمة كردم بن السائب الانصاري قال: خرجت مـع ابي الى المدينة في اول ما ذكر النبي (صلعم) بمكة فآوانا الليل الى راع فلما انتصف الليل جاء الذئب فاحتمل حملا من الغنم فوثب الراعي وقال : "يا عامر الوادي ! اوذي جارك • فنادى مناد : يا سرحان ارسله• فجاء الحمـل يشتد عدوا حتى دخل في الغنم • وانزل الله على رسوله •"[1] (وانه كـان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)[2] •

يتضح لنا ان العرب في جاهليتهم كانوا يخافون الجن ويهابون عمّارها ويستعيذون باسيادها خوفا من ان يحل بهم مكروه منها • وكانت هذه الوساوس ترهقهم فشعروا بوحشتهم وقلقهم الى حاجة من له قدرة عليها ليمنعها عنهم ويمنعهم منها • حتى كان للامة رسول يقودها الى الشاطئ الامن حيث تكتنفها رحمة البارى الوحيد الذى تخضع لقدرته جميع الكائنات من مرئية وغير مرئيـة • قال الدميرى : "عن امير المؤمنين : عمر بن الخطاب انه قال ذات يوم لابن عباس: حدثني بحديث تعجبني به • قال : حدثني ابو خزيم بن فاتك الاسدى

---

١) الدميرى ١/ ٢٤١
٢) سورة الجن آية ٦

انه خرج يوما في الجاهلية في طلب ابل له قد ضلت فاصابها في أبرق العزاف ، وسمي بذلك لانه سمع فيه عزيف الجن قال : فعقلتها وتوسدت ذراع بكر منها ثم قلت : اعوذ بعظيم هذا المكان وفي رواية بكبير هذا الوادى واذا بهاتف يهتف بي ويقول :

"ويحك عذ بالله ذا الجلال منزل الحرام والحلال

ووحد الله ولا تبـــــال ما هول ذا الجني من الاهوال" (١)

والاثر الاسلامي في هذا الخبر واضح ·

الشـــق والدلهـــاب والنسنـــاس

الشـــق

هو نوع من المتشيطنة صورته كنصف آدمي · وزعموا ان النسناس مركب من الشق والانسان · وهو يظهر للانسان في اسفاره ويوقع به شرا وقد يقتله · (٢) وذكروا ان علقمة بن صفوان بن امية خرج في بعض الليالي فانتهى الى موضـــع يعرف بحومان فاذا قد تعرض له شق فقال علقمه :

اني مقتول وان لحمي مأكول اضربهم بالهذلول

ضرب غلام بهلول ·

فقال علقمة :

يا شق اقبل ما لي ولك عهد علي بغضلك (٣)

---

١) الدميرى ١/ ١٩٠

٢) القزويني ٢/ ١٥٥

٣) ويرويه الدميرى ٢ـ٦٤ "اغمد عني منصلك ، تقتل من لا يقتلك" · وكذا الراغب ٢/ ٣٢٠ ·
والهذلول : السهم الخفيف السريع

فقال الشق :

عبيت لك نفســــي   فاصبر لما قد حم لك ·

فضرب كل منهما صاحبه فقتله فوقعا ميتين · وهو مشهور ان علقمه بن صفوان قتله الجن والله اعلم · واما شق وسطيح الكاهنان فكان شق شق انسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان انما كان يطوى مثل الحصير ·[١] وربما دعي شقا على سبيل النعت كونه نصف مخلوق آدمي · والشق الجني نصفه انسان والنصف الآخر منه حيوان يبدو بصور مختلفة ·

الدلهاب

هو نوع آخر من المتشيطنة يوجد في جزائر البحار وهو بصورة انسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر · وذكر بعضهم ان الدلهاب اذا تعرض لمركب في البحر واراد اخذ احدهم فحاربوه فصاح بهم صيحة خروا منها على وجوههم فيأخذهم ·[٢] وهو من جان البحار كما زعم العرب في اساطيرهم ·

النسناس

النسناس يشبه الشق في تكوينه ولكنه بحرى · زعموا انه خلق في صورة

---

١) الدميرى ٢/ ٤٦ ، الحيوان ٦/ ٢٠٤ ·

٢) القزويني ٢ / ١٠٥ ·

الناس مشتق منهم لضعف خلقهم • يثب على رجل واحدة ، له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ، ومتى ظفر بالانسان قتله • وجاء في القزويني انه امة من الامم لكل واحد منهم نصف بدن ونصف رأس ويد ورجل كأنه انسان شق نصفين يقفز قفزا شديدا على رجل واحدة • وهو يوجد في جزائــــر بحر الصين وقيل انه خلق باليمن يصطادونه• وقيل انه من نسل ارم بـن سام اخي عاد وثمود وليست لهم عقول يعيشون في الآجام على ساحــــل بحر الهند • والعرب يصطادونهم ويأكلونهم• وهم يتكلمون بالعربية ويتناسلون ويتسمون باسماء العرب ويقولون الاشعار • وفي تاريخ صنعاء ان تاجرا سافر الى بلادهم فرآهم يثبون على رجل واحدة يصعدون الشجر ويفرون من الكلاب خوفا من ان تأخذهم وسمع واحدا منهم يقول :

فررت من خوف الشراة شدا ... اذ لم اجد من الفرار بدا

قد كنت قدما في زماني جلدا ... فها انا اليوم ضعيف جدا

وقيل ايضا النسناس ياجوج وماجوج وقيل خلق على صورة الناس ، اشبهوهم في شيء وخالفوهم في شيء وليسوا من بني آدم • وزعموا انهـــم جي من عاد عصوا نبيهم فمسخهم الله نسناسا •(١) وكل هذه اقاويل في النسناس تدل على ما كانوا يزعمونه في امر هذه المخلوقات الغريبة التي صوروها في اساطيرهم •

---

١) الدميري ٢ / ٣٠٧ و ٣٠٨ •

المسخ

زعموا ان المسخ مخلوق في صورة شنيعة تختلف عن صورته الاصلية التي كان بها اصلا • حكم عليه ان يتلبس شكله الممسوخ جزاء اثم ارتكبه • واقدم ما يرد من اخبار المسخ عن العرب ما روى عن اساف ونائلة • وهما صنمان مسخا حجرين عند الكعبة ليكونا عبرة يتعظ بها الناس• "فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معهما • وكان احدهما بلصق الكعبة والآخر موضع زمزم • فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة الى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما ".(١)

"وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم — هو اساف بن بغي ونائلة بنت ديك فزنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين".(٢)

ومثل هذه العقيدة قد شاع عند مختلف الشعوب القديمة في اقدم العصور الوثنية وبقيت راسخة في ايمان اليهود والنصارى • اقدم ما وصلنا منها ما ورد في سفر التكوين عن صادوم وعامورة عندما مسخ الله تعالى امرأة لوط عامود ملح حين التفتت وراءها وكان الرب قد نهاها عن ذلك فخالفت مشيئته(٣) • ويذكر الجاحظ هذا الخبر وفيه بعض التحريف بقوله: " ولم ار اهل الكتاب يقرون بان الله تعالى قد مسخ انسانا قط خنزيرا ولا قردا

---

١) كتاب الاصنام ١٨•

٢) السيرة ١/ ٨٤

٣) سفر التكوين ١٩/ ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦•

الا انهم قد اجمعوا ان الله تبارك وتعالى قد مسخ امرأة لوط حجرا حين التفتت.(١) فجعلها مسخا حجرا وليس ملحا وفقا لما نقله عن الاعراب فيما كانوا يزعمونه من امر المسوخ الآثمين .

ولكن الدميري يخالف في هذا الرأي فانه يورد خبرا عن عيسى مثبتا فيه عقيدة اهل الكتاب من يهود ونصارى في ان الله يمسخ الانسان حيوانا . قال : "ذكر اهل التفسير واصحاب السير ان عيسى عليه الصلاة والسلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا : قد جاء الساحر ابن الساحرة . وقذفوه وامه . فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله تعالى خنازير . فلما رأى ذلك ، يهوذا وهو رأس اليهود واميرهم ، فزع من ذلك فجمع اليهود واستشارهم في امر عيسى عليه الصلاة والسلام فاجتمعت كلمة اليهود على قتله".(٢)

ولعل هذه الاخبار تنوقلت بين الاعراب فنسجت ديباجات متنوعة وتلونت بعقائدهم واصطبغت بصبغاتهم المحلية فجرى فيها هذه الاختلافات في الاقاويل .

وقد تأثر العرب بعقائد الشعوب القديمة التي احتكوا بها كما يتأثر غيرهم من الشعوب في ذلك فنقلوا عنها اخبارا كثيرة واقتبسوا منها شعائر دينية متفرقة جعلوها رمز عباداتهم في الجاهلية ومعتقداتهم فيما بعدها . ولو بدا فيها شيء من الاختلاف عن الاصل بيد انها لم تفقد

---

١) الحيوان ٦/ ٧٩

٢) الدميري ١/ ٢٧٦

عندهم المطابقة في الجوهر • فقد زعموا في تأويل قول بعض شعرائهم:

كلاهم ان جرهما عبادكا   الناس طرف وهم تلادكا (١)

ان ابا جرهم من الملائكة الذين كانوا عصوا في السماء فانزلوا الى الارض كما قيل في هاروت وماروت• فجعلوا سهيل (٢) عشارا مسخ نجما وجعلوا الزهرة (٣) المرأة بغيا مسخت نجما ه وكان اسمها اناهيد (٤) • وتقول الهند بالكوكب الذى يسمى عطارد شبيها بهذا • (٥) •

فقد زعموا ان النجوم مسوخ آدميين كفروا واثموا فحل بهم ما حل • وهذه الاخبار في النجوم وعلاقاتها بالبشر والآلهة ونصبها في السماء على هذه الحال جزاء معاصيها قبل تحولها مسوخا كثيرة متنوعة عند مختلف الشعوب القديمة من شرقية وغربية اقدم ما طالعناه من شأنها ما ورد في الاساطير البابلية والاشورية •(٦) وكان للعرب ميل خاص في جعل معظم حيواناتهم مسوخا • فقلما تكلموا عن حيوان الا وجعلوه مسخا • قال الحكم بن عمرو:

مسخ الضب في الجدالة قدما   وسهيل السماء عمدا بصغر

فانهم يزعمون ان الضب وسهيل كانا ماكسين عشارين مسخ الله — عز وجل — احدهما في الارض والآخر في السماء • والجدالة معناها الارض • يقال ضربه فجدله اى الزقه الارض اى الجدالة "•(٧) يبدو من ذلك ان العرب كانوا

---

١) الطرف المستحدث من المال والتلد الموروث
٢) اسم نجم من الكواكب   (٣) اسم نجم من الكواكب
٤) اسم فارسي   (٥) الحيوان ١٩٧/٦
٦) يراجع La Mythologie Generale من صفحة ٤٢ — ٦٣ • (٧) الحيوان ١٥٥/٦ •

يقاسون ظلما من الجباة فقد اليسوهم مذهبهم في المسخ اذ قالوا : "ان الله عز ذكره قد مسخ كل صاحب مكس وجابي خراج واتاوة ، اذا كان ظالما وانه مسخ ماكسين احدهما ذئبا والآخر ضبعا"(١) . وقوام هذه البدع في اخبار المسخ خبر ابليس في قصة الخليقة الذى دخل في جوف الحية حتى كلم آدم على لسانها ووسوس اليه حتى حمله على العصيان ودفعه الى الخطيئة ، فطرد من الجنة وحرم من نعيمها . "وقد عاقب الله الحية لانها ادخلته في جوفها بعشر خصال ، قالوا : فلذلك ترى الحية ابدا اذا ضربت لتقتل كيف تخرج لسانها تلويه كما يصنع المسترحم من الناس باصبعه اذا ترحم او دعا ، لترى الظالم عقوبة الله تعالى لها ."(٢) انها كانت اصلا في صورة جمل فلاطها الله تعالى بالارض وجعلها في الصورة التي هي عليها ."(٣)

وبناء على ما ورد من امر الحية صيغت اخبار المسوخ المختلفة في معاقبة الخاطئين . " فقد زعموا ان الضب مسخ ، والاربيان(٤) مسخ والكلب مسخ والفأر مسخ (٥) . فالضباب كانتا امتين مسختا ، والاربيانة (٦) كانت خياطة تسرق السلوك فمسخت وترك عليها بعض خيوطها لتكون علامة لها ودليلا على جنس سرقتها . والفأرة كانت طحانة . وزعموا ان الابل خلقت من اعنة الشياطين(٧) .

---

١) الحيوان ٧٦/٦ ، ٢٩٧/١ . (٢) الحيوان ٧٤/٦ .
٣) سفر التكوين ٣= ١٤/١٩ . (٤) الاربيان: نوع من السمك . (٥) الحيوان ٧٦/٦ .
٦) نوع من سرطان بحرى . (٧) الحيوان ٢٩٧/١ .

وكما مسخت الانس كذلك تمسخ الجن والشياطين فقد قالوا ان "الكلاب كانت امة من الجن مسخت والذئب احق بان يكون شيطانا لانه وحشي وصاحب نقار ، غدار يضرب به المثل في التعدى [١] . والخاز باز [٢] وجوز به الجوهرى ان يكون من جن الذباب .

ويورد الدميرى في حياة الحيوان الكبرى طائفة لا تحصى من هذه الاخبار فهي تأتي لكل حيوان تقريبا ولكل طير وحشرة بخرافة غريبة تعلل تكوينه او ميزته وخلقه . وكذلك يفعل القزويني في "عجائب المخلوقات" .

ولقد كانوا يتطيرون من قتل هذه البهائم ويتشاءمون من رؤيتها في منامهم . ولهم في الاقاصيص عنها شؤون غريبة . وكانوا يتقون قتلهـــا ويتجنبون ايذاءها مع القدرة على ذلك ، ويخدمونها خوفا من ان يحـــل بهم من قدرة جانها مكروه لانه متلبس بها . روى الجاحظ : " ان رجـــلا رأى جانا بشكل حية في قعر بئر ، لا يستطيع الخروج منها . فنزل على خطر شديد حتى اخرجها ثم ارسلها في يده فانسابت وغض عينيه لكيـــلا يرى مدخلها كانه يريد الخلاص من التقرب الى الجن". قال المازني : فاقبل عليه رجل فقال له : كيف يقدر على اذاك من لم ينقذه من الاذى غيرك؟ [٣]

وكانت هذه الخرافات والاوهام شائعة مسيطرة على عقول الناس حين ظهر الرسول فكان لا بد من معالجتها في الاصلاح الاجتماعي الجديـــد ودعي الرسول الى ابداء رأيه فيها فقال : الحية فاسقة والفأرة فاسقـــة

---

١) الحيوان ١/ ٢٩٧، ٢٩٢ ، ٢٩٨ . الحيوان ٦/ ٤٧ .
٢) الدميرى ١/ ٢٦٢ هما اسمان جعلا اسما واحدا بني على الكسر . (٣) الحيوان ٦/ ٤٧ .

والعقرب فاسقة ، وفي مسند الامام احمد عن ابن مسعود انه قال : "من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا بالله ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا ." (١) وقال ابن عباس : "ان الحيات مسخت كما مسخت القرود من بني اسرائيل . وكذا رواه الطبراني عنه ، عن رسول الله وكذا رواه ابن حبان : "واما الحيات التي في البيوت فلا تقتل حتى تنذر ثلاثة ايام يقول (صلعم) : ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتم منها شيئا فآذنوه ثلاثة ايام". وعند الحنفية ينبغي الا تقتل الحية البيضاء لانها من الجان . وقال الطحاوي : "لا بأس بقتل الجميع والاولى الانذار ." (٢)

وكذلك استطير من الكلاب والحمام . "روى الاشعث عن الحسن قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : اقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام ." قال : وقال عطاء : "من قتل كلب الصيد اذا كان صائدا اربعون درهما وفي كلب الزرع شاة ." (٣)

وكانوا يزعمون ان العاهات الجسمية في الانسان انما هي لطم من الشيطان . لذا كانوا يدعون صاحبها بلطيم الشيطان . "وكان من الخطباء عمرو بن سعيد وهو الاشدق ، ودعي بلطيم الشيطان لتشادقه في الكلام . وقال آخرون بل كان افقم مائل الذقن لذلك قال عبيد الله بن زياد حين اهوى الى عبد الله بن معاوية : يدك عني يا لطيم الشيطان ويا عاصي الرحمن . وقال الشاعر :

---

١) المصدر ذاته .
٢) الدميري ١/ ٢٥٦ .
٣) الحيوان ١/ ٢٩٢ .

وعمرو لطيم الجن وابن محمد | باسوأ هذا الامر يلتبسان(١)

وقد وجدنا متسعا ملائما في هذا الباب لنورد قصيدة الحكم بن عمرو الشهيرة في غرائب الخلق ، وهي تتضمن خرافات كثيرة متنوعة من اخبار الجن وانواعها ولا سيما في اخبار المسخ وهي تحدثنا عما كان شائعا من اساطير في هذا المورد عهد الجاهلية .

ان ربي لما يشاء تدبيـــر | ما لشيء اراده من مفرّ
مسخ الماكسين ضبعا وذئبا | فلهذا تناجلا ام عمرو
بعث النمل والجراد وتفى | بنجيع الرعاف من حي بكر
خرقت فارة بانف ضئيـل | عرما محكم الاساس بصخر
فجرته وكان جيلان(٢) عنه | عاجزا لا يرومه بعد دهر
مسخ الضب في الجدالة قدما | وسهيل السماء عمدا بصغر
والذى كان يكتني برغـال | جعل الله قبره شر قبـر
وكذا كل ذى سفين وخرج | ومكوس وكل صاحب عشـر
منكب لحافر واشراط سوء | وعريف جزاؤه حر جمـر
وتزوجت في الشبيبة غولا | بغزال وصدقتي زق خمر(٣)
بنت عمرو وخالها مسحل الخـ | ير وخالي هميم صاحب عمرو
ولها خطة بارض وبـــار | مسحوها فكان لي نصف شطر
ارض حوش وجامل عكنان | وعروج من الموبـل دثر(٤)

---

١) البيان والتبيين ١/ ٢١٥ . (٢) غيلان محرف . (٣) مهر المرأة .
٤) الابل الكثيرة العظيمة .

سادة الجن ليس فيها من الجند … ن سوى تاجر وآخر مكر[١]

ونفوا عن حريمها كل عفـــــر … يسرق السمع كل ليلة بدر

في فتو من الشنقناق غـــــر … ونساء من الزوابـــع زهـر

تأكل الفول ذا البساطة صبـــا … بعد روث الحمار في كل فجر

جعل الله ذلك الروث بيضـــــا … من انوق ومن طروقة نسـر

ضربت فردة[٢] • فصارت هبـــا • … في محاق القَمير آخر شهر

تركت عبدلا نمال اليتامـــــى … واخوه مزاحم كان بكـــرى

وضعت تسعة وكانت نزورا[٣] … من نساء في اهلها غير نزر

غلبتني على النجابة عرســــي … بعدما طار في النجابة ذكرى

وارى فيهم شمائل انــــس … غير ان النجار صورة عفر

وبها كنت راكبا حشـــرات … ملجما قنفذا[٤] ومسرق وبــر

كنت لا اركب الارانـــب للحيـ … ض ولا الضبع انها ذات نكر

تركب المقعص[٥] المجيف ذا النعـ … ظ[٦] وتدعو الضباع من كل حجر

جانبا للبحار اهدى لعرســـي … نلفلا مجتنى وهضمة[٧] عطـــر

واحلي هرير من صدف البحـ … ر واسقي العيال من نيل مصر

ويسني المعقود[٨] نفتي ويحلي … ثم يخفى على السواحر سحرى

واجوب البلاد تحتي طبي … ضاحك سنه كثير التمـــرى

---

١) الذى يكرى دابته (٢) مرّة • (٣) قليلة الولد (٤) يدر محرفة الوبر ايضا دويبة من نوع الهر • (٥) الذى ضرب فقتل مكانه •
٦) الانتشار (٧) الطيب والبخور (٨) يحله

مولع دبره خوابة مكو[١] وهو بالليل في العفاريت يسرى

يحسب الناظرون اني ابن ماء ذاكر عشه بضفة نهـــر

رب يوم اكلت من كبد الليـ ث واعقبت بين ذئب ونمـــر

ليس دائم لمن يبيت بطينا من شواء ومن قلية جزر

ثم لاحظت خلتي في غدو بين عيني وعينها السم يجرى

ثم اصبحت بعد خفض ولهو مدنفا مفردا محالف عســر

اترانى مقت من ذبح الدبـ ك وعاديت من اهاب بصقر

وسمعت النقيق في ظلم الليـ ل فجاوبته بسـر وجهـر

ثم يرمى بي الجحيم جهارا ني خمير وفي دراهم قمـر

فلعل الاله يرحم ضعفـي ويرى كبرتي ويقبل عذرى[٢]

الشيطـــان

في بعض الاصول ان لفظ شيطان عبراني بمعنى مخاصم او مضاد . ثم اطلق على روح شريرة غير مرئية تدعو الى المعاصي والآثام ، كذا في المرشد . وقال الراغب عن ابي عبيدة : الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات . قال وقد يسمى كل خلق ذميم للانسان شيطانا ونقلـه السيد الزبيدى عنه في تاج العروس في شرح جواهر القاموس[٣] اما الثعلبي فانه يجعل الشياطين طائفة من خبثاء الجن فقط وليس من الحيوانات والانس

---

١) حجر الارنب ونحوها . (٢) الحيوان ٦/ ٨٠ .
٣) القاموس ٥٠ .

قال : "الشياطين هم العصاة من الجن وهم ولد ابليس والمردة اعتاهم واغواهم وهم اعوان ابليس ينفذون بين يديه في الاغواء كأعوان الشياطين . قال الجوهري: كل عات متمرد من الجن والانس والدواب شيطان ."(١)

وافادة المعنى عند واحدة تعني الروح الشرير الخبيث العاتي المتمرد من الجن الذي يحث البشر على ارتكاب المعاصي . وتجعله بعض الاصول الاخرى عربيا وانما اختلف في نونه فجعلها البعض زائدة واعتبرها آخرون اصلية . اما اللفظة فمنهم من زعم انها عبرية ومنهم من زعم انها عربية . جاء في الآكام: "الشيطان ، نونه اصلية :

ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاغلال

ويقال ايضا انها زائدة . فان جعلته فيعالا من قولهم شيطن الرجل صرفته وان جعلته من تشيطن لم تصرفه لانه فعلان . وقال ابو البقاء: الشيطان فيعال من شطن يشطن اذا بعد ويقال فيه شاطن وتشيطن وسمي بذلك كل متمرد لبعد غوره في الشر وقيل هو فعلان من شاط يشيط اذا هلك فالمتمرد هالك بتمرده ويجوز ان يكون سمي بفعلان لمبالغته في اهلاك غيره (٢)

ومهما يدا من فروق في تحليل اللفظة فان مدلولها يبقى واحدا . ويظهر ان الكلمة الفرنجية Satan مأخوذة من الاصل السامي فان الغرب

---

١) آكام المرجان ٧ ، ٨

٢) المصدر ذاته

قد تأثر جدا بمعتقدات الشرق الروحانية التي تسربت اليه منه. ويثبت معظم المستشرقين ان العقيدة بالشيطان مردها الى اقدم الشعوب الآرية من هندية وفارسية وغيرها وتفننوا في تأويلاتها وبدعها .[١] وحذا العرب حذوهم في اجتهاداتهم بالشر ومصدره وتفصاوته ومسؤولية الانسان في ارتكابه وكذا اجمعوا على نسبته للشيطان الذى هو مصدر كل شر على وجه البسيطة .
ولكن الشيطان يخضع لنظام يحدد له اعماله وليست الشياطين كلها واحدة فانها تتميز باشكالها وانواعها واختصاصاتها. فقد جعلوا ابليس زعيم هذه الطائفة من الارواح الآثمة المتمردة فهو قادر على كل شر وله تخضع الشياطين. وميزوا بينهم فئات قالوا : "ان العدد والقوة في الجن والشياطين النازلة الهند والشام وان عظيم شياطين الهند يقال له "تنكوير" وعظيم شياطين الشام يقال له "دركذاب". [٢] وزعموا ايضا ان لكل انسان شيطان يحضر له حين يولد . فلذا وجب على الاهلين ان يتلوا آيات مقدسة يستعيذون بها من الشرير ويساعدون المولود على طعن الشيطان في عينه باصبعه ليقوى عليه ويطرده عنه ساعة مولده". [٣] وقيل ايضا : " ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك [٤] لمة . فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله". [٥] وبما ان الخير والشر في نزاع دائم لذلك نجد الشيطان لا يسكن عن طرد الملاك الذى يوحي للانسان

---

١) تراجع La Mythologie Generale pp. 311-312 (٢) الحيوان ٦/ ٢٣١
٣) آكام المرجان ١٧٨ (٤) يقصد به الروح الخيرة . (٥) آكام المرجان ١٧٩.

بالخير والتقوى . فهناك شيطان يسمى "خنزيب" تفرد بحفظة القرآن ينسيهم ما حفظوه من القرآن ".(١) وآخر يسمى "المذهب" قد وكل بضعفة النساك واغنياء العباد يسرج لهم النيران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم ويريهم العجب اذا ظنوا ان ذلك من قبل الله تعالى ".(٢)

روى ان بعض العباد نزل به ضيف واقام عنده اياما لم يرق صومعة العابد احد وكان يرى كل ليلة عند الافطار منارة ومسرجة وخوانا عليه طعام فتعجب الضيف من ذلك وسأل العابد عنه فاعرض عن جوابه. فالح عليه فقال : " اعلم ان هذا منذ مدة يأتيني شيطان يريد ان يحملني الى الشر وانا اعلم انه من الشيطان من اول يوم فعند ذلك اطفأ السراج ".(٣) .

وهنالك طائفة من الاخبار فيمن تعرض لهم الشيطان ولم يلق عندهم وطرا . فالشيطان هو العامل على كل خطيئة والحاض على كل اثم يرتكبه الانسان من كبائر وصغائر انما هو ما يوسوسه له في نفسه ويزينه له في عينه ويهمسه له في اذنه . فكل ما يصدر عن الانسان من تصرفات رديئة نبعثها الشيطان : فالميسر والخمر — الكذب والغش — الاحتيال والسرقة — الكفر والانغماس في الرذائل — الظلم والغضب وكل ما هنالك من رذائل خلقية ملقاة على عاتقه اللعين . "قال مرة ابو الوجيه العكلي : "وكان ذلك حين ركبني شيطاني" قيل له : واى شيطان تعني ؟ قال : الغضب(٤) .

---

١) الحيوان ٦/ ١٩٤ . (٢) الحيوان ٦/ ١٩٤، الدميرى ٢/ ١٥٥ .

٣) الدميرى ٢/ ١٥٥ . (٤) الحيوان ١/ ٣٠٠ .

وقد سموا كل حية شيطانا لسمها وروغها ولزعمهم انها سمحت لابليس ان يدخل فيها حين حمل آدم على العصيان لوصية ربه .

وانشد الاصمعي :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج (١) شيطان بذى خروع قفر (٢)

ونسبوا الشيطان الى اماكن فقالوا : شيطان الحماطة (٣). يريدون تخصيصه بالقوى الشريرة المتناهية والقبح الشديد .

وقالوا : " العجلة من الشيطان" ونسب هذا الكلام عن ابن عباس للرسول انه قال : "الاناة من الله عز وجل والعجلة من الشيطان". (٤) اذ ان العجلة في الاعمال كثيرا ما تعود على فاعلها بالخراب . وكانوا يقتلون الكلاب السوداء منها خاصة لزعمهم انها شياطين . عن ابن الزبير عن جابر قال : "امرنا رسول الله (صلعم) بقتل الكلاب حتى ان المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : عليكم بالاسود البهيم ذى النكتتين على عينيه فانه شيطان "(٥)

واعجب ما قرأناه في هذا الباب ما تصوره الاقدمون في وصف الشيطان بتكوينه . فقد سكبوه بدعة في القبح وجعلوا من غرابة هيئاته رموزا لما تخيلوه في الرذائل والشرور . قال وهب بن منبه : "لما ارد الله تعالى ملكه ، امر الريح الصرصر حتى حشرت اليه شياطين الدنيا فرآهم سليمان على صور عجيبة ، منهم ممن كانت وجوههم على اقفيتهم ويخرج النار من فيه ، ومنهم من كان يمشي على اربعة ، ومنهم من كان له رأسان ، ومنهم من كانـت

---

(١) تعمج : تلوى . (٢) الحيوان ١/ ٣٠٠ (٣) الميداني ، الامثال ١٧٤ ، الحيوان ١/ ٣٠٠ . اما المكان فلم نعثر عليه في معجم البلدان . (٤) آكام المرجان ١١٢ . (٥) الحيوان ١/ ٢٩٢ .

رؤوسهم رؤوس الاسد وابدانهم ابدان الفيلة ، فرأى سليمان شيطانا نصفه صورة السنور وله خرطوم طويل . فقال له : ما عندك من الاعمال ؟ قال : "عندي عمل الغناء وعصر الخمر وشربه وازين الشرب والغناء لبني آدم" فامر بتصفيده . ثم مر به آخر قبيح الشكل جدا فقال له : من انت ؟ قال : انا الهلهلال بن المحول فقال له : ما عملك ؟ قال : سفك الدماء فامر بتصفيده . فقال : يا نبي الله ، لا تقيدني فاني احشر اليك جبابرة الارض واعطيك العهد والميثاق ، وختم على عنقه واطلعه . ومر به آخر في صورة قرد له اظافر كالمناجل وهو قابض على العود . فقال له : من انت ؟ قال : انا مره بن الحارث . فقال له : ما عملك ؟ فقال : انا اول من وضع هذا البربط وحركها فلا يجد احد لذة الملاهي الا بي . فامر بتصفيده ."(١)

وذكروا ان العامة تزعم ان شق عين الشيطان بالطول ، وما اظنهم اخذوا هذين المعنيين الا عن الاعراب . وخبروا عن الخليل بن احمد ان اعرابيا انشده :

وحافر العير في ساق خدلجة (٢) وجفن عين خلاق الانس في الطول (٣)

مثلها عين الشق والغول والسعلاة فانها بالطول ايضا وقد مثلوا فيه السماجة فقالوا : " اسمج من شيطان على قيل "(٤) . فصعقتهم سماجته عندما تصوروه على قيل .

---

١) الدميري ٢/ ١٥٨

٢) خدلجة : الضخمة الممتلئة

٣) الحيوان ٦/ ٢١٤ .

٤) الميداني ، الامثال ٢٤٠

وما وقفوا عند هذا الحد في تشنيعه لانهم وجدوا ان الصورة ما زالت جامدة لا حياة فيها فنفخوا فيها روح العجرفة والكبرياء لتكون معبرة حية تنم عن شنائع المزايا الخلقية الممقوتة فقالوا : "يا ظل الشيطان"(١). كأن الظل منه يكفي لوصف المتكبر الضخم الثقيل . كما قال الحجاج لمحمد بن سعد ابن ابي وقاص: بينما انت يا ظل الشيطان اشد الناس كبرا اذ صرت مؤذنا لفلان ."(٢) وكذا نسبوا كل قبيح من مشوه الخلقة من الناس للشيطان . فقالوا: "لطيم الشيطان."(٣) . كأن الشيطان بلطمه اياه اكسبه شيئا من فظاظة هيئته . "وجاء في الاثر النهي عن الصلاة في اعطان الابل لانها خلقت من اعنان الشياطين."(٤) . بقي عليهم ان ينطقوا الشيطان — ولكن كيف؟ فانهم جعلوه تأتاء فأفاء به اشنع عاهات العي". قال الاصمعي : " اذا تعتع اللسان في التاء فهو تمتام واذا تعتع بالفاء فهو فأفاء . وانشد لرؤبة بن العجاج :

يا حمد ذات المنطق التمتام   كأن وسواسك في اللمام
حديث شيطان بني هنـــام."(٥)

فتراهم اذا ارادوا نعت شيء بالقبح شبهوه بالشيطان اذ ليس ابلغ من الشيطان جدا في هذه الصفة فهو اقبح من القبيح . ولم تنحصـــر تشبيهاتهم بالانسان والحيوان بل تعدوها الى النباتات والاشجار . فصوروا

---

١) الحيوان ٦/ ١٧٨ .   (٢) الحيوان ٦/ ١٧٨ .(٣) الحيوان ٦/ ١٧٨ .
٤) الحيوان ٦/ ٢٢٣ .   (٥) البيان والتبيين ١/ ٣٧ .

كل كريه غريب شاذ مضر منها لعضو من اعضائه. قالوا: "ان روءوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه".(١) ولعلهم ارادوا بذلك تفسير ما ورد في الآية: (انها شجرة تخرج من اصل الجحيم طلعها كأنه روءوس الشياطين)(٢) ومهما يكن من امر فان الشيطان لا يكون الا اقبح من القبح ان تصور في بشر او شجر.

ومن غرائب ما ورد في اطوار الشيطان "انه يأكل ويشرب بشماله"(٣) "ويمشي في نعل واحدة".(٤) ولا يحب الجلوس الا ما بين الظل والشمس. "وعن ابن المسيب وغيره انه كان يقول: مقيل الشيطان بين الظل والشمس".(٥) ويسر جدا اذا ذبح الديك(٦) فله في غرائبه شوءون ولكنه لا يقدر على التشكل كما تقدر عليه سائر اصناف الجن، فهم يتطورون ويتشكلون في صور الانس والبهائم ويتصورون في صور الحيات والعقارب وفي صور الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفي صور الطير كما سبق القول عنهم في ذلك " اما الشياطين فلا قدرة لهم على التشكل والانتقال في الصور".(٧) فهم يلزمون هيئة واحدة معينة، وإذا تخيل واحدهم في شكل مخالف لاصله فان الله تعالى قد احدث فيه هذا التغيير بقدرته . واما ان يتشكل الشيطان بنفسه كما تفعل الغول او السعلاة فهذا ليس من امكانه لان جوهره غير قابل لهذا وغير مخلوق عليه. ولكن هذا العجز منه في استحالة التنوع في مظاهره لا يعوقه في بدع الفتن وخلق الشرور وحمل الانسان على المعاصي فهو ابدا حاضر لهذه الغاية فانه قادر على تشكيل ما يبرزه

---

١) الحيوان ٦/ ٢١١. (٢) سورة الصافات آية ٦٢-٦٥. (٣) آكام المرجان ٣١.
٤) آكام المرجان ١٩١. (٥) آكام المرجان ١٩١. (٦) الحيوان ٢/ ٣٥٤.
٧) آكام المرجان ١٩.

للانسان في صورة بديعة مغرية حتى يتمكن منه ، فهو عدو الانسان اللدود دأبه ايذاؤه ، فانه لو امكنه ان يمنع عنه نور الشمس لما تأخر ، ولكن الرحمن الرؤوف ارسل ملائكة الحق يحاربونه دوما ويصدونه عن فعله . "روى عن الزبير عن ابي عمرو الشيباني عن ابي بكر الهذلي قال : قلت لعكرمة ، ما رأيت من يبلغنا عن النبي — انه قال لامية [1] : آمن شعره وكفر قلبـــه". فقال : هو حق ، وما الذى انكرتم في ذلك ؟ فقلت له — اى الزبير — انكرنا قولـــه :

والشمس تطلع كل آخر ليله   حمراء مطلع لونها متورد [2]

تأبى فلا تبدو لنا في رسلها   الا معذبة والا تجلـد

فما شأن الشمس تجلد ؟ قال : والذى نفسي بيده ما طلعت قط حتى ينخسها سبعون الف ملك يقولون لها : اطلعي ، فتقول : فيأتيها شيطان جني يستطيل الضياء يريد ان يصدعها عن الطلوع فتطلع على قرنيه فيحرقه الله تحتها ، وما غربت قط الا خرت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان يريد ان يصدها عن السجود فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحتها ، وذلك قول النبي : "تطلع بين قرني شيطان" [3] . فلا يجوز في هذه الحال ان ينكر هذا الجميل على الشيطان وان اراد به كفرا وعصيانا لانه يجلد الشمس وتأخيرها عن مطلعها ومغربها قد ادماها تتلون الفضاء بروا حمرتها فعرض نفسه للحرق ولـــم يحرم بني الانسان من التمتع بجمال شروقها وغروبها ما دامت تشرق وتغيب .

---

1) امية بن ابي الصلت (الاغاني ٤/ ١٢٦ـ١٣٢ ، دار الكتب ، ابن خلكان ١/ ٩٩
2) يرويه الشبلي في آكامه ١٨٨ : ... " حمراء يصبح لونها متورد ، ليست بطالعة لهم في رسلها — الا معذبة والا تجلد " ديوان امية بن ابي الصلت ص ٢٥
3) الاغاني دار الكتب ٤/ ١٣٠ ، الآكام ١٨٨ ، الحيوان ٦/ ٢٢٣ .

فلنعد عما لا يستحقه الشيطان من افضال الى حقيقته الرديئة فهو عدو الانسان المؤدى به الى الهلاك، وند الملائكة الابرار الملهمين الخير والصلاح ولنعذ بالله من طغيانه مسترشدين بنور الدين والتقوى اللذين يعصماننا من اغوائه وتضليله. كذا امر الرحمن : (ان الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا) [١] . فهذا امر منه سبحانه تعالى لجميع عباده . "فقيل : كيف نتخذه عدوا ونتخلص منه . قال : اعلم ان الله تعالى جعل لكل مؤمن سبعة حصون . فالحصن الاول من ذهب وهو معرفة الله تعالى . وحوله حصن من فضة وهو الايمان به تعالى وحوله حصن من حديد وهو التوكل عليه جل جلاله . وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عنه. وحوله حصن من فخار وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بهما . وحوله حصن من زمرد وهو الصدق والاخلاص له تعالى . وحوله حصن من لؤلؤ رطب وهو ادب النفس". [٢] فمن حمى نفسه داخل هذه الحصون فلن يقوى عليه الشيطان ولو حاول اختراق بعضها فانه يخذل ويعود عليه طمعه تبابا .

واخبار مكايد الشيطان كثيرة في كتب الادب والدين والتاريخ وغيرها من المصادر القديمة ؛ يضيق المجال عن تلاوتها اذ ليس بها سوى ما يشهد لما بيناه في حقيقة امر الشيطان ووصفه وما تصوره العرب

---

١) سورة فاطر ٦

٢) الدميرى ١٩٢ .

من امره . اما ما ورد عنه عند سائر الامم فكثير ومتنوع وغريب .[١] وليست الشهرة العالمية من الامتيازات الوحيدة التي يتمتع بها هذا الروح الشرير بل له كثير غيرها . فهو مخلوق من قبل آدم و "يتوالد نسله توالد اسرع واكثر من سائر الكائنات لان طبعه من النار والنار اذا وجدت الحلفاء اليابسة تكثر توالدها فلا تزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة ".[٢] وهو يعمر طويلا قد تفنى الخليقة ويبقى الشيطان.

ومن طرائف ما انشدوا قول اعرابي لامرأته:

"الا تموتين انا نبتغي بدلا ... ان اللواتي يموتن الميامين
ام انت لا زلت في الدنيا معمرة ... كما يعمر ابليس الشياطين".[٣]

وقد دار الجدل وطال بين الفقهاء والفلاسفة في امر الشيطان ولماذا وجد وهل لله غاية خاصة مع بني الانسان من تكوينه؟ واصطبغت مزاعمهم منها بصبغات دينية فلسفية ومنها بصبغات اسطورية خرافية تبين انشغال الناس قديما وحديثا في تعليل وجود الشر في الدنيا .

ابليس واولاده

ابليس علم للشيطان ويقصد به في كتب الوحي زعيم الشياطين ورئيس الارواح الشريرة . اما اسمه فقد اختلف في تفسيره ؛ فمنهم من قال ان

---

١) تراجع Asiatic Mythology ص ٢٥/ ٦٤/ ٧١/ ١٠١/ ١٢٢/ ١٢٥/ ١٤٠/ ١٤١/ ٢١٥/ ٢١٩/ ٢٢٢ . وتراجع ايضا: Mythologie Generale ص ٣١٠/ ٣١١ .

٢) الدميرى ١/ ١٦٢ . (٣) الحيوان ٦/ ١٧٠ .

الكلمة عربية قابلة للتصريف "واشتقاق ابليس من الابلاس فأنه ابلس اى يئس من رحمة ربه • وابلس الرجل ابلاسا فهو مبلس اذا يئس ، وهذا يدل على ان ابليس انما سمي بهذا الاسم بعد لعن الله تعالى اياه".(١)
"وروى ابن ابي الدنيا وغيره عن ابن عباس قال : كان اسم ابليس حيث كان مع الملائكة عزرائيل وكان من الملائكة ذوى الاجنحة الاربعة ثم ابلس بعد • وعن ابي المثنى قال : كان اسم ابليس نائل فلما اسخط الله تعالى سمي شيطانا • وعن ابن عباس : لما عصى ابليس كفر وصار شيطانا وعن سفيان قال : كنية ابليس: ابو كدوس". (٢) وقال النووى : "ابليس كنيته: ابو مرة • (٣) وقال آخرون "ان ابليس اسم اعجمي لا يتصرف للعجمة والتعريف". (٤) "وانه معرب ذياقوليس باليونانية ومعناه موقع الخلاف او مبعد الانسان عن سبيله". (٥) وربما تكون الكلمة العربية مشتقة من وصف ابليس وما ورد عنه في كتب الدين على سبيل المجاز والرمز • واختلفوا ايضا في حقيقة اصله وجوهره• فمنهم من زعم " انه كان من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن وكان اسمه بالعبرية عزرائيل وبالعربية الحرث وكان من خزان الجنة وكان رئيس سماء الملائكة الدنيا وسلطانها وسلطان الارض • وكان من اشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما ، وكان يوسوس ما بين الارض والسماء فرأى بذلك لنفسه شرفا عظيما وعظمة ، فذلك الذى دعاه الى الكبر فعصى

---

١) الدميرى ١/ ١٩١ ، آكام المرجان ٨•
٢) آكام المرجان ٨
٣) الدميرى ١/ ١٩١
٤) اكام المرجان ٨
٥) القاسمي ٤٩ •

وتقر تمسخه الله شيطانا ".[1] وذلك عندما سجد جميع الملائكة لآدم عداه.[2]
قال بعض الطياب في ذلك :

عجبت من ابليس في كبره — وخبث ما ابداه من نيته
تاه على آدم في سجدة — وصار قوادا لذريتـــــه[3] .

واعترض آخرون بقولهم " ليس من الملائكة لان الملائكة لا يتناسلون لان ليس فيهم اناث . وانما ابليس مخلوق من نار ابى ان يسجد لآدم وهو من طين احقر منه جبلة ، وانه لمن الظلم الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير".[4] .
فمن اجل ذلك عصى مشيئة ربه فلعنه الى ابد الابدين ومسخه شيطانا والزمه الجحيم . وجاء ايضا ان ابليس اب الجن وكلهم من ذريته . وفي الحديث: لما اراد الله ان يخلق لابليس نسلا وزوجه القى عليه الغضب فطارت منـــه شظية من نار فكونت منها امرأته.

"وروى عن محمد بن الحسن عن مجالد الهمداني او غيره قال :
كنا عند الشعبي جلوسا ، فمر جمال على ظهره دن خمر فلما رأى الشعبي وضع الدن وقال للشعبي : ما كان اسم امرأة ابليس؟ قال : ذلك عرس ما شهدناه .[5] . وقيل ان زوجه كانت تدعى طرطبة وقال النقاش: بل هي حاضنتهم ".[6]

وزعوا ايضا ان ابليس متوالد في ذاته فان الله تعالى خلق له من

---

1) الدميرى ١/ ١٩١ . (٢) الدميرى ٢/ ١٩١، وتراجع سورة ص من آية ٧١ـ٨٨ .
٣) البيان والتبيين ١/ ٩٥ . (٤) الدميرى ١/ ١٩٢ .
٥) الحيوان ٦/ ١٦٦، الدميرى ١/ ١٩١ . (٦) الدميرى ١/ ١٩٢ .

تحتضنه اليمنى ذكرا ومن اليسرى انثى • وقد باض ثلاثين بيضة ، عشرا في المغرب، وعشرا في المشرق، وعشرا في وسط الارض، يخرج له كل يوم من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة ثم خرج من كل بيضة منهـــا جنس من الشياطين كالغيلان والعقارب والقطارب والجان واسماء كثيـــرة مختلفة وكلهم عدو لبني آدم•(١)

وقالوا : ان الجن قسمان ، خيرون واشرار • فاما الاشرار فهـــم الذين من ذريته والابرار يعني الملائكة فهم من غير طينته مخلوقون من نور وليس من نار • اما ابليس فهو اب الجن من الشياطين كما ان آدم اب الانس • واولاد ابليس الذين خلقوا في البدء خمسة : ثبر ، والاعور ، ومسوط ، وداسم ، وزلنبور ، جعل كل واحد منهم على شيء من امره• وقيل ان لابليس ابنة تدعى لبينى (٢)، وجاء في الآكام ان له بنت تدعى مدخ وقيل هي بنت ابنه•(٣) •فاما ثبر او بيره كما وردت في بعض المصادر ، فهو صاحب المصائب يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود — ويضيف اليها الشبلي — والدعوى الى الجاهلية • واما الاعور فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه في اعينهم • واما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمـــع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر فيذهب الرجل الى القوم فيقول لهم : قـــد رأيت رجلا اعرف وجهه وما ادرى ما اسمه حدثني بكذا وكذا • واما داسم

---

١) الدميرى ١/ ١٩١

٢) مقدمة عبقـــر ٥٦ •

٣) آكام المرجان ١٠٠ •

فيدخل بين الزوجين فيوقع بينهما البغضاء ، واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزال اهل السوق متخاصمين ."(١)

ويختلف ما اورد الدميرى في وصف اولاد ابليس عما سبق ، فانه يجعل من ذرية ابليس "لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ."(٢) – ولعله اراد به الشيطان الذى يوسوس للطاهرين ، والمصلين الانقياد ليحملهم على الكفر – "وهو صاحب الصحارى ومرة وبه يكنّى".

"وزلنبور وهو صاحب الاسواق ، يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة . وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب ، والابيض (٣) وهو الذى يوسوس للانبياء عليهم السلام ، والاعور وهو صاحب الزنا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى دخل معه ووسوس له فالقى الشر بينه وبين اهله فان اكل ولم يذكر اسم الله اكل معه واذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى ورأى شيئا يكرهه وخاصم اهله فليقل : داسم ! داسم ! اعوذ بالله منه . ومطوس .(٤) وهو صاحب الاخبار فيأتي بها فيلقيها في افواه الناس ولا يكون لها اصل ."(٥)

نرى ان الدميرى اضاف اليهم لاقيس ولم يعين لنا وظيفته بينما نراه زاد في تنميق اعمال اخوته وكذلك اضاف الابيض الذى خصه بتجربة الانبياء .

---

١) القزويني ٢/ ١٤٩ ، آكام المرجان ١٧٦ .

٢) الدميرى ١/ ١٩١ . (٣) وهو الشيطان الابيض المعروف في الاساطير الفارسية . تراجع **Asiatic Mythology p.p. 52-56.**

٤) والارجح مسوط مما اورده الجاحظ والقزويني والشبلي . (٥) الدميرى ٣/ ١٩١ .

وحرف اسم مسوط لمطوس ولكن هذا لا يؤثر شيئا فيما يتعلق بمساوئهم فانهم ما زالوا من ضلع ابليس اشرارا كأبيهم يعاونونه في نشر المفاسد والبلاء بين الناس لأن ابليس وحده لا يكفي لانجازها ، بل يلزمه في ادارة اعماله الكثيرة موظفون اخصائيون ينفذون بامانة واخلاص ما نيط بهم فلم يجد اخلق بهذه الامور من ذريته الذين هم من طينته ليقيمهم عليها ويبقى امينا من حسن تدبيرهم لها ودوام طاعتهم له .

وكان لا بد له من عرش بمثابة ديوان يصدر منه اوامره ويوزع اعماله لضبط ادارته وتصريف شؤون دولته . فكان له عرش كبير متناهي الحدود مبني على الماء . روى عن جابر بن عبد الله عن النبي " ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فاعظمهم فتنة ادناهم منه مجلسا فيجيء احدهم فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما صنعت شيئا . ثم يجيء احدهم فيقول : فرقت بينه وبين اهله فيقول : نعم ، انت ابني . فيدنيه منه ."(١) .

والغاية من جعلهم عرش ابليس على الماء ان يثبتوا لنا ان الشر والطغيان والفساد والكذب والمعاصي بانواعها باطلة واهية الاساس مزعزعة البناء لا يصمد الا الخير الذى هو الحق لانه ثابت الدعائم راسخ الاساس.

وبما انهم جعلوا لحياة ابليس نظاما مرتبا معينا كان لا بد من تأمين حاجاته فيها . " روى عن ابي امامة عن رسول الله ان ابليس لما

---

١) القزويني ٢ / ١٥٥ .

نزل الى الارض قال : يا رب ، انزلتني وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا . قال : الحمام . قال : فاجعل لي مجلسا . قال : الاسواق ومجامع الطرق . قال : فاجعل لي طعاما . قال : ما لم يذكر اسم الله عليه . قال : فاجعل لي شرابا . قال : كل مسكر . قال : فاجعل لي مؤذنا . قال : المزامير . قال : فاجعل لي قرآنا . قال : الشعر . قال : فاجعل لي خطا . قال : الوشم . قال : فاجعل لي حديثا . قال : الكذب . قال : فاجعل لي مصائد . قال : النساء . (١)

واضاف المجوس الى اعماله ايضا توزيع السموم بين المخلوقات . فكل نبته سامة وكل دابة سامة وكل حيوان سام قد نال من ابليس الذى دعوه اهرمن — حصته من هذه المادة القاتلة لتكون عدة على مناهضة صاحب الخير . (٢)

وقد يرغب الواقف على اخبار ابليس في مشاهدة صورته فلا نحرمه من هذه المتعة على اننا لا نجد له رسما في المصادر العربية لذلك نستعيض برسمه الفارسي كما صوره شعراء الفرس الذين نظموا في الخرافات فهم يصفونه بلون اسود وعينين تقذفان نارا ورائحة كبريتية وقرون وذنب واظافر معوجة ، وحافرين مشقوقين . (٣) ولعل الحجاج كان يحتفظ بين وثائقه برسم عزبي له حين قال "ليحيى بن سعيد بن العاص : انك تشبه ابليس . فاجابه : وما ينكر ان يكون سيد الانس يشبه سيد الجن" . (٤)

---

١) القزويني ٢/ ١٤٩ . (٢) الحيوان ٦/ ٤٥٩ . (٣) Asiatic Mythology pp. 52-56.
القاسمي ٤٩ . (٤) الحيوان ٦/ ١٧٠ .

وهو جواب بليغ .

ووردت اخبار كثيرة واقاصيص عجيبة يطول الشرح بها ، نورد التالية منها : " ذكر ان مزدك ادعى النبوة في زمن قباد ، ملك الفرس وجعل الاموال والابضاع مشتركة بين الناس . فتبعه خلق كثير لا يحصى ولا يعد فاحتال ابن كسرى الخبر وقتل مزدك واصحابه ، اثني عشر الفا في يوم واحد وهرب منهم كثيرون واختفوا في البلاد . فاذا مات منهم ميت دفنوه وقعدوا مترصدين اول ليلة من دفنه فيأتيهم ابليس ، لعنة الله عليه ، على صورة الميت يقول : جئتكم لاودعكم ، فاعلموا ان دين مزدك حق . حتى لو مات احدهم فجأة وكان عنده وديعة قالوا : اصبروا فانه يأتينا للوداع فنستخبره عن الوديعة ".(١) فالمراد بهذه القصة ابطال دعوة مزدك والغاء مبادئه الاجتماعية التي جاء ينشرها بين اتباعه فجعلوا ابليس يؤيده بها ليبينوا وهاء اسسها ويجعلوا صاحبها من الذين يؤازرهم الشيطان لا الروح القدس.

انساب الجن

للجن اصول وانساب . فهم كما يتميزون انواعا وطبقات كذا ينتظمون قبائل واقوام تتفاوت حسبا ونسبا . وقد سبق لنا ان اشرنا في تعريف الجن

---

١) القزويني ٢/ ١٥٢

الى انهم خلقوا من قبل آدم بالغي سنة • وهم يعودون الى ساميا او شاميا الذى هو ابوهم كما ان آدم اب الانس • ثم فسقوا وعصوا فارسل لهم الرحمن نبيا يدعى يوسف [١] يرشدهم الى الحق ويلويهم عن الضلال فما افلح فحاربوه وقتلـــوه • وارسل الله ابليس مع طائفة من الملائكة ليعينه عليهم فخان مليكه اذ وجد لنفسه شرفا عظيما في مكانته هذه فحدثته نفسه ان يتفرد بحكم هذه الارواح ويتملص من سلطة ربه فتمرد فلعنه الرب وحرمه مما كان يتمتع به من مكانة عالية في نعيم الجنة ، اما الجن فقد اجلاهم عن الارض وطردهـــم الى اقاصي جزائر البحار • وتتنوع الاخبار عنها وتتضارب الاخبار فيهم الى ان تظهر الدعوة الاسلامية فنراهم يظهرون مرة اخرى على مسرح الدنيا وفودا وفودا ليؤمنوا ويتوبوا الى ربهم عن طريق القرآن الذى انزله البارى على نبيه محمد • ولكن فئة منهم لم تؤمن وهم الشياطين فكانوا يسترقون السمع اى يصغون خفية الى آيات الله البينة — ليدحضوها ويضللوا الناس عما تبينـه لهم من حق • ويوسوسوا في صدور العباد ليحولوا بينهم وبين الايمان • فرجمهم البارى بشهب احرقهم وقمت يدهم عن الفساد ولذا يقال — الشيطان الرجيم •

ويرد كثير من هذه الاخبار في مختلف المصادر القديمة : في السيرة وعند الجاحظ والطبرى والدميرى وغيرهم ممن تناول البحث في هذا الموضوع • ويقر جماعة من العلماء والفلاسفة بصحتها ويجادلون من انكرها مثبتين صحتها ببراهينهم

---

(١) آكام المرجان ٣٤ •

وحججهم . وعلى هذا السبيل اتوا على ذكر انساب الجن مطبقين عليهم ما الفوه من نظم اجتماعية قام تيانهم عليها . فكما كانوا يخضعون في حياتهم لنظام قبلي كذا جعلوا الجن قبائل مماثلين لهم في ابدانهم وفقرهم . زعموا ان بني مالك وبني شيصبان بطن من الجن القفار . "فاما ضلع بني مالك — وهو منزلهم — فكان يحل به الناس ويصطادون ويرعون كلأها . واما ضلع بني شيصبان[1] فلا يصطاد صيدها ولا يرعى كلأها وربما مر عليها من لا يعرف مالها فاصابوا من كلأها او من صيدها فاصابهم شر من انفسهم واموالهم . ولم يزل الناس يذكرون كفرها ولا يريدون اسلام هؤلاء".[2]

وكان بنو قريظة ايضا من قفار الجن ولكنهم كانوا لا يدخلون بيتا فيه فرس عتيق[3].

وبنوا الصيعر يحلون في قفار وادى حضرموت فرقة منهم تنقلب ذئابا ايام القحط . "واذا اراد احدهم ان يخرج من مسلاخ الذئب الى هيئة الانسان وصورته تمرغ بالارض واذا به بشرا سويا . وقيل ان في وادى حضرموت قبائل لها احوال عجيبة منها ان الرجل منهم يمر في الهواء ليلا من حضرموت وقد انقلب في هيئة طائر كالرخمة والحدأة حتى يبلغ ارض الهند".[4]

وبنو هنام وهم ايضا من قفار الجن . جاء ذكرهم في مطلع ارجوزة لرؤبة بن العجاج يمدح بها مسلمة بن عبد الملك قال[5]:

---

١) وترد سيصبان . (٢) القزويني ١/ ٢٤٧ ، الحيوان ٦/ ٢٣١ .

٣) الدميري ٢/ ٨٢ . (٤) مقدمة عبقر، ص ٤٦ نقلا عن المقريزى في اخبار وادى حضرموت العجيبة ص ١٩—٢٠ . (٥) البيان والتبيين ١/ ٣٧ .

يا حمد ذات المنطق التمتام   كأن وسواسك في اللمام

حديث شيطان بني هنـــام (١)

وبنو زوبعة الجني وهم اصحاب الرهج والقتام والتثوير (٢) ومن هذه القبائل ايضا آل العذام الذين كانوا بارض الشام ٠ (٣) وكان منهم شصار رثي خنافر الحميرى ٠ وبنو اتيش الذين تنسب اليهم الابل الاتيشية ٠

ومن الجن المؤمنين اهل نصيبين الذين وفدوا على الرسول ليؤمنوا بدعوته ٠ قال ابن اسحق : "ثم ان الرسول انصرف من الطائف راجعا الى مكة حتى يئس من خبر ثقيف حتى اذا كان بنخلة (٤) قام في جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ٠ وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن نصيبين — وهي قاعدة ديار بكر — فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين ٠" (٥) ولكن الدميرى يجعلهم تسعة (٦) ويذكر الشبلي اسماءهم قائلا : انهم كانوا يهودا فاسلموا (٧) مسندا خبره لابن دريد وابن اسحق ٠ قال واسماؤهم فيما ذكر لي : حسا ومسا وشاصر وماصر وابن الازب وانين والاخضم ومنشئ وماشي والاحقب وساق ونجدهم اكثر من تسعة رب كان اسمان منها علما لواحد ٠

واما اعيان الجن الذين آمنوا فمنهم هامة بن الهيم او ابن هيم

(١) همام صوابه في الديوان ٠ (٢) الحيوان ٦/ ٢٤١ ٠ (٣) الامالي ١/ ١٣٤ دار الكتب ٠ (٤) هو احد واديين على ليلة من مكة يقال لاحدهما نخلة الشامية والثانية نخلة اليمانية ٠ (٥) السيرة ٢/ ٦٣ ٠ (٦) الدميرى ١/ ١٨٨ ٠
(٧) آكام المرجان ٥٤ ٠

ولاقيس بن ابليس . روى خبره الدميرى عن ابن مالك الذى قال : " كنت مع رسول الله خارجا من جبال مكة اذ اقبل شيخ يتوكأ على عكازه . فقال النبي (صلعم) : مشية جني ونغمته . قال : اجل . فقال النبي (صلعم) : من اى جن . قال : انا هامة بن الهيم وابن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال : لا ارى بينك وبينه الا ابوين . قال : اجل . قال : كم اتى عليك ؟ قال : اكلت الدنيا الا اقلها . كنت ليالي قتل قابيل هابيل ، غلاما ابن اعوام فكنت اتشوف على الآكام واورش بين الآنام . فقال رسول الله : بئس العمل . فقال : يا رسول الله . دعني من العتب ، فاني ممن آمن بنوح وتبت على يديه واني عاتبته في دعوته فبكى وابكاني . وقال : واني والله لمن النادمين ، واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين . ولقيت هودا وآمنت به ، ولقيت ابراهيم وكنت معه في النار اذ القي فيه وكنت مع يوسف اذ القى في الجب فسبقته الى قعره ، ولقيت شعيبا وموسى ، ولقيت عيسى بن مريم ، فقال لي : ان لقيت محمدا فاقره مني السلام ، قد بلغت رسالته وآمنت به . فقال النبي (صلعم) ، على عيسى وعليك السلام . ما حاجتك يا هامة ؟ قال : ان موسى علمني التوراة وعيسى علمني الانجيل فعلمني القرآن فعلمه ، وفي رواية انه علمه عشر سور من القرآن وقبض رسول الله (صلعم) ولم ينعه الينا فلا نراه والله اعلم ، الا حيا . [1]

نلاحظ في سؤال الرسول "من اى جن انت" ؟ كأنما يسأله من اى

---

1) الدميرى ١ ، ١٨٩ ، ١٩٠

عرب انت ؟ كذا زعم العرب ان الجن قبائل نظير قبائلهم في احسابهم وانسابهم • وهامة هذا اشرف الجن اصلا لانه اقربهم الى النبي، وهو من قبيلة لاقيس التي قاتلت بني الشيطان الكافرين من الجن جهادا في سبيل الله • ولعله ند الشيخ النجدى الذى ظهر به الشيطان في دار الندوة مشيرا على القوم بقتل الرسول •

وهنالك قبائل مولدة من الجن والانس اشهرهم بنو السعلاة • يقولون : "ان رجلا منهم ويدعى عمرو بن يربوع السعلاة ، تزوج السعلاة ، وانها كانت عنده زمانا ، وولدت منه حتى رأت ذات ليلة برقا على بلاد السعالي فطارت اليهم فقال ابو زيد في ذلك•

رأى برقا فاوضع فوق بكر فلا بك ما اسال وما اغام [١]

فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب عندهم بنو السعلاة من بني عمرو بن يربوع •

وفيه قال الراجز:

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا اعفاء ولا اكيات [٢]

قلب السين تاء في النات وهي لغة بعض الاعراب • وكذلك ورد في خبر مولد بلقيس ملكة سبا انها من نتاج الجن والانس [٣] • ويورد الدميرى

---

١) الحيوان ٦ / ١٩٢ •

٢) الحيوان ٦/ ١٦١ ، الدميرى ٢/ ١٨ ، الراغب ٢/ ٢٨١ • آكام المرجان ٤٣ •

٣) الدميرى ١/ ١٩٤ •

طائفة من هذه التأويل في انساب العظماء المعروفين من الرجال فالاسكندر فانه يخبر ان امه كانت آدمية وابوه جنيا • وكذا الخضر ـ القديس جرجس في عرف النصارى ـ فانه متوالد من انس وجن وهو ابن خالة الاسكندر كما تزعم الاخبار وكلها من باب الاساطير • (١)

وزعموا ايضا ان بني النجار من نتاج الانس والجن قال عمرو بن الحكم :

وارى فيهم شمائل انس غير ان النجار صورة عفر (٢)

وجاء ايضا ان ابا جرهم من الملائكة • وتأولوا قول الشاعر في ذلك:

لا هم ان جرهما عبادكا الناس طرف وهم تلادكا (٣)

فزعموا ان ابا جرهم من الملائكة الذين كانوا اذا عصوا في السماء انزلوا الى الارض •

وزعموا ان هنالك قوما من نسل النسناس قالوا : ان ياجوج وماجوج قوم منهم وهم خلق على صورة الناس ولكنهم يخالفونهم في اشياء وهم ليسو منهم (٤)

ووردت طائفة من قبائل الجن منسوبة الى المواضع التي زعموا انها كانت تسكنها او انهم رأوا الجن فيها فنسبوها لها • كذا قيل جن عبقـر وجن وبار وجان العشرة وهي شجرة غضة زعموا ان قوما من الجن تقطن فيها • (٥) وجنان الحبال وهم حي من الجن يأمرون بالنساء من شياطين الانس والجن •

---

١) الدميرى ٢/ ١٨ • (٢) الحيوان ٦/ ٢٣٥ • (٣) الحيوان ٦/ ١٩٧ •

٤) الحيوان ٨/ ١٧٨ • (٥) الحيوان ٦/ ١٦٨ •

قال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما   تجنبت تنورا من النار حاميا

بدينك ربا ليس ربا كمثلــــه   وتركك جنان الجبال كما هي [1]

وجن البقار، قال النابغة :

سهكين من صدأ الحديد كأنهم   تحت السنور جنة البقار [2]

وشياطين تبن :

أبيت أهوى من شياطين تبن   مختلف نجارهم جن وجن [3]

وأما أنساب الجن والشياطين فرأسها إبليس، ولهذا إبليس الخمسة :
ثبر – وداسم – والأعور – وزلنبور – ومسوط . وقيل له بنت أيضا تدعى لبينى [4] ونحن
نلمس الباقين بكثرة عجيبة تضيق بها الأسماء ، نذكر أشهرهم ولهم تنوير
[illegible] الأعلام [illegible] : [illegible] عظيم شياطين [illegible]
[illegible] عظيم شياطين الشام غير مشير إلى مصدره [5] وهنالك طائفة من
أعلام شياطين الشعراء أشهرهم الهوجل والهوبر ومسحل وجهنام وشنقناق
وغيرهم من توابع الشعراء أفردنا بابا خاصا في أدب الجن الخاص بهم .
واشتهر أيضا الشيطان هراء الذي زعم العرب أنه موكل بتقبيح الأحلام .

---

1) الأغاني، دار الكتب ٣/ ١٢٤ ، ١٢٥ ، والجنان جمع [illegible] في قصيدة التي قالها
زيد بن عمرو [illegible] انه اعتزل عبادة الأوثان [illegible] قبل [illegible] [illegible]
قريشا في ذلك [illegible] من مكة [illegible] بن نفيل [illegible] .
2) الحيوان ٦/ ١٨٩ ، في الديوان ص ٤٣ يرد البيت "سهكين من صدأ..."
والسهكة رائحة كريهة من لبس الحديد .   (٣) الديوان ١/ ٢١١ .
4) مقدمة عبقر ٥٦ .   (٥) مقدمة عبقر ٥٧ .

ومن القبائل التي اشتهرت بالبطولة وكان لها وقائع، بني الشيطان الكفار من الجن الذى قاتلوا بني اقيس من الجن المؤمنين في وقعة في الفلاة حدث عنها الشبلي عن عبد الله بن معمر زمن عثمان بن عفان .(١)

مواطـــن الجـــن

سبق ان ذكرنا ان الجن كانت تسكن الارض من قبل آدم بالفي سنة ينعمون بخيراتها في ما زعموا ، فسفكوا وعصوا مشيئة البارى تعالى فارسل لهم جندا من الملائكة يقودهم ابليس ليردوهم الى الصواب فكان ان طمع ابليس بالسلطان فعصى ربه وملك نفسه عليهم فعاقب الله ابليس وطردهم الى اقاصي جزائر البحر(٢) ثم ما لبثوا ان عادوا ليحلوا في ربوع الامم البائدة التي كانت تسكن وبار قبلهم ، ومنازل طسما وجديسا وعاد وثمود ، وكلها امم اباده‍ا الله" فجموا ربعهم وكانت اخصب بلد فان دنا منها انسان غالطة حثوا في وجهه التراب ، فان ابى الرجوع خبلوه ، ومن ارادها او حدثته نفسه بالاستيلاء عليها القوا على قلبه الصرفة حتى كانهم اصحاب موسى في التيه".(٣)

وقد سكنوا كذلك القبور المهجورة والحصون والقصور الخربة والآبار المتروكة ، وانتشروا في القفار والوديان واعالي الجبال . وربما نزلوا مواطن

---

١) اكام المرجان ص ٤٣ .

٢) القزويني ٢/ ١٤٨ .

٣) الراغب ٢/ ٢٨١ ، الحيوان ٦/ ٢١٥ .

خصبة وعيون عذبة وغياض ملتفة . وقد تحملهم الجرأة الى نزول اماكن مأهولة فيضطر اهلها الى النزوح عنها خوفا من شرهم . لذلك شاع قديما ان صاحب البيت ينبغي ان يذبح ذبيحة على عتبة داره اكراما للجن كي لا تضره ، لزعمه انها ربما اعجبها البيت فعمدت الى منافسته في سكناه ، او لعلها سبقته الى حلوله فيطرد شرها عنه بان يلبسه للضحية التي يريقها على باب داره .(١) وما زالت هذه التقاليد شائعة الى يومنا هذا فاننا لا نسكن بيتا حديث البناء ، ولا ندشن مؤسسة ، ولا نقود عجلة ، ما لم نذبح ذبيحة ونريق دمها على عتبة البيت او تحت عجلات السيارة ، طردا للارواح الشريرة واتقاء لضررها .

وكانت اشهر مواطن الجن عبقر ووبار .

اما عبقر فيعرفه ابن منظور بانه "موضع بالبادية كثير الجن . ويقال في المثل كانهم جن عبقر .(٢)

ويستشهد بقول لبيد :

وما فاد من اخوانهم وبنيهم   كهول وشبان كجنة عبقر

ويستأنف شرحه بقوله : وهو مكان منسوب اليه كل فائق جليل قوى .

ويذكر الجاحظ ان عبقر قرية في اليمن توشى فيها الثياب والبسط ومصنوعاتها انخر المصنوعات ، فصارت مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع(٣) .

---

١) القاسمي ٥٠ .   (٢) اللسان مادة عبقر .

٣) الجاحظ ١٨٩/٦ ، البستان مادة عبقر .

وفي معجم ياقوت : عبقر موضعان : واحد منهما بنواحي اليمامة والآخر كان يسكنه الجن ولا يعيين موضعه .(١)

ويأتي وبار في الدرجة الثانية بعد عبقر من حيث الاهمية والشهرة قال الجاحظ : عبقر ، تزعم الاعراب ان الله عز ذكره ، حين اهلك الامة التي تدعى وبار ، كما اهلك طسما وجديسا وعملاقا وثمودا وعادا ان الجن سكنت في اماكنها وحمتها من كل من ارادها . ووبار اخصب بلاد الله واكثرها شجرا واطيبها ثمرا واكثرها حبا وعنبا ، واكثرها نخلا وموزا . فان دنا اليوم انسان من تلك البلاد متعمدا او غالطا حثوا في وجهه التراب فان ابى الرجوع خبلوه وربما قتلوه . والموضع باطل فاذا قيل لهم : دلونا على جهته ووقفونا على حده ، وخلاكم ذم ، زعموا ان من اراده القي على قلبه الصرفة حتى كانهم اصحاب موسى في التيه . وقال الشاعر :

وداع دعا والليل مرخ سدوله ‌ ‌ ‌ ‌ رجاء القرى يا مسلم بن حمار
دعا جعلا لا يهتدى لمقيلة ‌ ‌ ‌ ‌ من اللؤم حتى يهتدى لوبار (٢)

وقد ضرب هذا المثل لمن يئس من هدايته، فهذا الشاعر الاعرابي جعل ارض وبار مثلا في الضلال. والاعراب يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يجدونه بالدو والصمان والدهناء ورمل يبرين - وكلها مواطن خرافات - وما اكثر ما يذكرون في الشعر ارض وبار على معنى هذا الشاعر .

ويسمى ايضا وبار بارض حوش . وصفها الشاعر عمرو بن الحكم بقوله :

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٧٩ . (٢) الحيوان ٦/ ٢١٥، ٢١٦ .

"ارض حوش وحامل عثنان   وعروج من الموبل دثر

ويشرحه الجاحظ بقوله : " فارض حوش هي ارض وبار وقد فسرنا تأويل الحوش والعثنان الكثيــر الذى لا يكون فوقه عدد . وقوله : عروج جمـــع عرج والعرج الف من الابل نقص شيئا او زاد شيئا . والموبل من الابل يقال : ابل مؤبلة كما يقال دراهم مدرهمة ...

واما قوله دثر : فانهم يقولون : مال دثر ومال دبر ومال حوم اذا كان كثيرا ".(١)

وهذا مما يثبت لنا غنى ارض وبار وخصبها ويرجح من هذه الاوصاف انها ارض باليمن كانت خصبة واقفرت . قال الجاحظ " وليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل والحوشية ".(٢)

ويطلق العرب اسماء جنة على اسماء امكنة عامة شاع انها مسكونة بهم . منها جن البدى . قال لبيد :

"غلب تشذر بالذحول كانها   جن البدى رواسيا اقدامها ".(٣)

ومنها جنان الجبال قال ورقة بن نوفل :

بدينك ربا ليس ربا كمثله   وتركك جنان الجبال كما هي ".(٤)

---

١) الحيوان ٦/ ٢٢٩ .

٢) الحيوان ٦/ ٢١٦

٣) الحيوان ٦/ ١٨٨ ، البيان والتبيين ١/ ٩

٤) الاغاني ، دار الكتب ٣/ ١٢٥ .

وجبل آخر يقال له ينور على ساعة من صنعاء الى ضهر تسكنه الجن (١) ومن هذه الجبال المسكونة جبل سواج . قيل ان الجن تسكنه ولا يعينون موضعه . " روى ابن الاعرابي قال : نزلت باعرابي فاستطبت ماء، فسألت عن منائهم قال : هو كثير الجان . فقلت : او ترونهم ؟ قال : نعم ، مكانهم في هذا الجبل واومأ بيده الى جبل يقال له : سواج " (بضم السين) . وقد ادعى عدة من العرب انهم رأوا خياما وناسا ثم فقدوهم في ساعتهم ". (٢) وضربوا المثل بقولهم : " اجن الله جباله " ولعلهم يقصدون به كما قال الاصمعي : اماته الله ، اى سير بان يدفن . وقال غير الاصمعي : اى اكثر الله فيها الجن ، اى اوحشها ". (٣)

ومن الجبال المعروفة المعنية التي زعموا انها كانت منزل الجن . جبلا الضلعين في طريق مكة من البصرة . زعموا انها كانت موطن ضلعين من الجن — اى قبيلتين — هما بنو مالك — وبنو سيصبان — وقد دعى الجبل باسمه نسبة لهما ". (٤)

وقالوا ايضا : " جن البقار " ، ولم يعينوا المكان (٥) . وذكروا ايضا رحى بطان موطنا للجن . قال تأبط شرا :

الا من مبلغ فتيان فهم   بما لقيت عند رحا بطان

فاني قد لقيت الغول تهوى   بشهب كالصحيفة صحصحان (٦)

---

١) الاكليل ٨/ ٦٩، ٧٠، ٧١ . (٢) الحيوان ٦/ ١٨٢، الراغب ٢/ ٢٨٠ .
٣) مجمع الامثال للميداني ١١٤ . (٤) القزويني ١/ ٢٤٧ .
٥) الحيوان ٦/ ١٨٩ . (٦) القزويني ٢/ ١٥٣ .

وانشدوا ايضا لابي البلاء الطهوى :

كهان على جهينة ما الاتي من الروعات يوم رحى بطان •(١)

ومن الاماكن التي ظهرت فيها الجن مكان يسمى حائط حزمان على طريق مكة حيث اعترض الجن علقمة بن صفوان بن امية فضرب كل منهما الآخر فقتل كل صاحبه •.(٢)

" ويقولون جن ذى سمار وهو موضع معروف — وغول الرضات وغول القفر — وجن جيهم — وجن أبرق — وجن الحنان •.(٣)

وزعموا ايضا انه بوادى حضرموت بالقرب منه على مسيرة يومين الى نجد يحل قوم من الجن يقال لهم الصيعر ، لهم احوال عجيبة ورد ذكرها في باب قبائل الجن •

لقد وصفنا مواطن الجن الشهيرة وعينا مواقعها بقدر ما مكنتنا المصادر التي بين ايدينا • بقي علينا ان نذكر شيئا عن مواطن الشيطان. فانها تختلف عن مواطن الجن من نواح عدة منها ان الجن متفرقة المساكن مبعثرة في كل الانحاء اما الشياطين فانهم حشدوا رهطهم في مملكة واسعة موحدة محددة دعيت جهنم • فاذا حملتهم الضرورات الى التجول في انحاء المعمورة لا يلبثون ان يعودوا الى جهنم وطنهم القومي الاصلي الذى هو مقام الارواح الشريرة • ومعنى الكلمة : " النار التي يعذب الله بها عباده•

---

١) الحيوان ١/ ٢٣٣ •

٢) الحيوان ٦/ ٢٠٦ ، الآكام ٤٣ وردت حائط تران • الدميرى ٢/ ١٥٥ يوردها حائط حومان•

٣) صفة الجزيرة العربية ١/ ١٢٨ ، ١/ ١٥٤ •

كذا جاء في الصحاح • وقال في الكليات : جهنم قيل عجمية وقيل عبرانية اصلها كهنام • قال الحماسي : وجهنم في قولهم بئر جهنام اى بعيدة القعر من وقع فيها هلك • ولا يبعد ان يكون الاسم عبراني الاصل مركب من جي اى وادى وهنوم وهو اسم رجل • ووادى هنوم هو جنوبي اورشليم قد اشتهر بالذبائح من الناس المقدمة فيه قديما "لمولوك" اله العمونيين" • (١) وهنوم جبل باليمن ايضا • (٢)

ودركات النار سبع : اللظى ، فالسعير ، فالحطيمة ، فالجحيم ، فجهنم ، فالهاوية ، فسقر • والغاشية نار جهنم والزقوم شجرة قيل انها فيها ومنهـــا طعام اهل النار • وغسلين مثلها ويشبهها الضريع ، وهو شيء في جهنم امر من الصاب • وعليها في سورة الصافات (اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانها رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) (٣)

وفي جهنم واد يدعى وادى سجين قيل هو محل ابليس وجنوده • ومثله اثام وويل • وفي سورة المطففين : (ان كتاب الفجار لفي سجين) (٤) وقيل هو موضع فيه كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين ، اى الانس والجن • وورد في قصة المعراج ان سجين هي صخرة سوداء مدلهمة تحت الارض السابعة السفلى تزج فيها ارواح الكفار والفجار • وان بيد عزرائيل حربة

---

١) مقدمة عبقر ٥٣ عن محيط المحيط مادة جهنم
٢) الاكليل ٨/ ٦٨ • (٣) سورة الصافات آية ٦٢ ، ٦٧ •
٤) سورة المطففيــن ٨٣ آية ٧ •

من نور وحربة من سخط ، فالروح الطيبة يقبضها بحربة النور ويرسلها الى عليين والروح الخبيثة يقبضها بحربة السخط ويرسلها الى سجين[١] .

وزعموا انه في جهنم نهر يسمى نهر الغي نسبة لما ورد في سورة مريم (فسوف يلقون غيا)[٢] .

وليست جهنم بمنطقة مقفلة فانه دائما ترد عليها الارواح الآثمة الشريرة المفارقة للابدان لتلقى فيها عذابا اليما • وكان الشياطين من مواطنيها يوفدون زرافات زرافات ليوسوسوا في صدور الناس ويقودوهم الى الضلال • لذلك كان لهم جاليات على وجه البسيطة • فمنهم من اتخذ الصحارى مقاما لهم كطائفة الغدار ، من المتشيطنة ، وزعموا ايضا انهم كانوا يحلون في اكناف اليمن وتهائم مصر •[٣] وسكن آخرون الحماطة — ومعناها يبيس الاتاني — وقد عرف احدها بشيطان الحماطة[٤] • وانتشروا في كل حدب وصوب تتغلغل جنودهم بين بني الانسان دائبين في عمل الشرور مؤدين وظائفهم على اتم ما يرومه الزعيم ابليس •

طعـــام الجـــن

ينتظم الجن من حيث حاجتهم للطعام والشراب في فئتين ، منهم من

---

١) مقدمة عبقر ص ١٣ عن قصة معراج النبي •

٢) سورة مريم ١٩ آية ٥٩ • (٣) الدميرى ٢/ ١٥٤ •

٤) الميداني ، مجمع الامثال ١٧٤ •

يأكل ويشرب » ومنهم من لا . "سئل وهب بن منبه عن الجن ما هم وهل يأكلون ويشربون ويتزاوجون ؟ قال : هم اجناس، فاما الصحيح الخالص من الجن فانهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون في الدنيا ولا يتوالدون . ومنهم اجناس يأكلون ويشربون ويتزاوجون وهم السعالي والغيلان والقطارب واشباه ذلك ." (١)

وتحدث شمر بن الحارث عن زيارتهم له فدعاهم الى طعام فاسفوا لانهم لا يأكلون ولا يشربون . فقال شمر :

اتوا ناري فقلت : منون ؟ قالوا: سراة الجن . قلت : عموا ظلاما

فقلت : الى طعام فقـال منهم زعيم : نحسد الانس الطعـــام (٢)

وقال بعضهم : " ان اكلهم وشربهم تشم واسترواح لا مضغ وبلع ." (٣)

واما الذين يأكلون منهم فقد خصوا بانواع غريبة من الطعام والشراب تختلف عن طعام الانس وشرابهم . فقد زعموا انهم يأكلون العظام والروث والحمة . (والروثة البعر) وقد ذكر انهم جعلوه طعاما لدوابهم لذا لا يحل لاحد ان يستنجي بعظم ولا روثة ."(٤)

وذكر ان طعامهم وشرابهم كل ما لم يذكر اسم الله عليه .

وروى ايضا عن الشافعي والبيهقي ان رجلا من الانصار خرج يصلي العشاء فسبته الجن . وفقد اعواما وتزوجت زوجته في غيبته ثم اتى المدينة بعد

---

١) الدميرى ١/ ١٩٢ ؛ (٢) الحيوان ٦/ ١٩٦ .

٣) آكام المرجان ٢٨ . (٤) الدميرى ١/ ٢٨٧ ، الراغب ٢/ ٢٨١ ، آكام المرجان ٢٩ .

ان اعتقه جن مؤمنون فسأله عمر بن الخطاب عن ذلك • فقال : اختطفتني الجن فلبثت فيهم زمانا طويلا ••••• الى نهاية الخبر فسأله عمر : ما كان طعامهم ؟ قال : الغول وما لم يذكر اسم الله عليه• قال : وما كان شرابهم؟ قال : الجدف • وهو الرغوة لانها تجدف من الماء • وقيل الرئة ، وقيل نبات يقطع ويؤكل • وقيل كل اناء كشف عنه غطاؤه(١) •

واما الشيطان فانهم زعموا انه يأكل ما يأكله الانس وهو ابدا حاضر لاختطاف اللقمة من ايديهم •

ومن رواية ابن داود ان الشيطان ما زال يأكل معه فلما ذكر الله تعالى استقاء ما في بطنه•(٢)

وليس من الغريب ان يكون طعام الجن بعيدا عما يألفه الانس ويعتادونه من غذاء لانهم بجوهرهم وانواعهم وطبائعهم مختلفون عنهم ايضا • وهم ادنى منهم رتبة كما وردت الاخبار عنهم لذلك كان طعامهم ايضا من الانواع الخسيسة القذرة التي يأنف الانس منها •

الجن والعجيب من طير وحيوان

في الحضارات القديمة اذا عدنا الى اقدم الشعوب التي وردت الاخبار عنها او التي تركت اثارا تحدث عن اساطيرها ومعتقداتها ، فاننا

---

١) الحيوان ٦/ ٢١٠ ، الدميرى ١/ ١٨٧، الراغب ٢/ ٢٨١ ، آكام المرجان ٣٠•
٢) آكام المرجان ٢٩ •

لا نجد واحدة منها تخلو من اخبار لطائفة كبيرة من اصناف الطير والحيوان ،
متمثلة باشكال مألوفة او غير مألوفة • فالانسان منذ ان تنبه الى ما حوله
من كائنات عجب لها فهابها وعظمها وكان تعظيمه لها اما لما تجلبه له من
خير ونفع ، او لقدرتها على ايذائه والتغلب عليه ، وهو لا يزال في طور
بدائي عاجزا عن اتقائها ، قاصرا عن تذليلها لمصلحته • ومن طريف ما وصل
الينا من اساطير يرجع مصدرها الى ما قبل التاريخ ، تلبس الانسان في
جلد حيوان يحرك ايديه بجلد ايدى الحيوان وارجله بارجله تهويلا على من
يبغي السيطرة على عقولهم ممن حوله• وكان هذا العمل من اختصاص السحرة
على غالب الظن •" (١)

وتتابع امامنا صفحات من اساطير القدماء من مصريين واشوريين وبابليين
وفينيقيين ويونان وفرس وهنود وغيرهم ، مليئة بعجيب الاخبار عن الطير والحيوان •
ونرى عددا كبيرا منها متمثلا باصنام متنوعة : كبيرة وصغيرة ، عادية وغريبة ،
صرفة ومركبة (٢) مما تدسوه وتعبدوه وجعلوه رموزا لهم في حياتهم• (٣)

في الاخبار الدينية

ومثل هذه العقائد لا تضمحل مع تطور العصور والبيئات انما يظهر
مصطبغا بصبغتها مطبوعا بمؤثراتها • وليس العرب بدعا في هذا القبيل ، فقد

---

١) Mythologie Generale - Prehistorique pp. 1-6

٢) المقصود بصرف ، حيوان معروف باعضائه ومركب مؤلف من اعضاء حيوانات مختلفة •

٣) راجع • Mythologie Generale pp.5-44

تدسوا الطير والحيوان ، وتفاءلوا من بعضه وتطيروا من بعضه الآخر ، وحاكوا حوله الاساطير والخرافات التي تتميز وتتنوع بتنوع عصورهم ومعتقداتهم ، تراهم في جاهليتهم يعظمون آلهة تحمل اسماء حيوانات "نسر ، واسد ، وعوف[1] ويعبوب[2] . واوجدوا الها دعوه "مطعم الطير" نصبوه على المروه ، ومن الاصنام ما كانوا يهدون له الشعير والحنطة ".[3] . ومن حيواناتهم المحرمة السائبة والبحيرة والوصيلة والحامي .

" فالسائبة الناقة اذا تابعت اثنتي عشرة اناثا ليس فيها ذكر سيبت، فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها الا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من انثى شقت اذنها ثم خلي سبيلها ، "وهي البحيرة" مع امها في الابل ، فلم يركب ظهرها ايضا ، ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف".

"والوصيلة ، الشاة اذا نتجت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة ".

"اما الحامي فهو الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، عندئذ يحمى ظهره ، ولا يجز وبره بل يخلى في الابل يضرب فيها ولا ينتفع به بغير ذلك ".[4] ويأتي القرآن الكريم على ذكرها في سورة الانعام : "وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من شاء ، بزعمهم ، وانعام حرمت ظهورها، وانعام لا يذكرون اسم الله عليها ".[5] وجاء في تفسير

---

١) الاسد لانه يتعوف: اي يطوف ليلا في طلب الفريسة .(٢) الفرس السريع الطويل .
٣) اخبار مكة ١/٧٨ . (٤) تفسير الطبري ٧/ ٥٣ . (٥) سورة الانعام ١٣٩ .

البيضاوى "ان معنى حجر ، حرام، والمراد" بمن نشاء" : خدم الاوثان والرجال دون النساء • والتي حرمت ظهورها : هي البحائر والسوائب والحوامي • وهم لا يذكرون اسم الله عليها، في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام • [١] •

ومن الصعب ان نبني في هذا الموضوع بحثا خاصا بالجاهلية ، منفصلا عن الاسلام ، معتمدين على النذر اليسير من مادته الواردة في المصادر التي اطلعنا عليها، وكلها اسلامية ، فقد عمدنا الى استخراج معظم مـــا نسبناه الى الجاهلية من مصادر اسلامية • ومما سهل لنا ذلك ان معظم الاساطير المتعلقة ، بالطير والحيوان قد استمر الاعتقاد بها في الاسلام اذ لم يبطل منها الا ما له علاقة مباشرة بالوثنية الجاهلية وطقوسها •

"فنرى الرسول يصدق اميه بن الصلـــت قوله عندما وصف ملائكة العرش بشعره :

رجل وثور تحت رجل يمينه   والنسر للاخرى وليث مرصد • [٢]

فقد مثل الشاعر الملائكة بصورة رجل وثور ونسر واسد واقر الرسول قوله فيما زعموا •

وهنالك طائفة من الطيور والحيوانات المباركة وغيرها من الملعونة الممقوتة في العقائد اليهودية اقر الاسلام خيرها وشرها وحذوا حذو اهل الكتاب في تقديسها ولعنها • فنراهم يتباركون من حمام مكة ويحافظون عليه

---

١) البيضاوى ١/ ٣١١•

٢) الحيوان ٧/ ٥٠ • في الديوان ص ٢٥ يرد :

"زحل وثور تحت يمنى رجله   والنسر لليسرى وليث مرصد "

ويطعمونه ،[١] ونحن نعلم ان الحمامة هي التي اتت لنوح بغصن الزيتون تبشره بالغيض بعد الفيض[٢] . كذلك تيمنوا بهدهد سليمان ، وتشاءموا من غراب نوح[٣] لانهم زعموا انه ما دل سليمان على ملكة سبأ ، بلقيس ، الا طائر[٤] ، وهو الهدهد . وعرفوا ان الغراب لم يجلب لنوح بشرا عندما اطلقه من السفينة[٥] . ونعتوه بالفاسق ، واشتقوا له من اسم ابليس وامروا بقتله في الحل والحرم .[٦] . وضربوا المثل تطيرا منه بقولهم : "اشأم من غراب البين[٧] لان الغراب اذا بان اهل الدار وقع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم".

وقد اشركوا الطيور المباركة في جليل اعمالهم فروى ابن اسحق قائلا : "لما بلغ رسول الله خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها . وانما كانت رضما[٨] فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك لان نفرا سرقوا كنز الكعبة ، وانما كان يكون في بئر في جوف الكعبة .... وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها . وكان بمكة رجل قبطي نجار ، فتهيأ لهم في انفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة ، التي كان يطرح فيها ما يهدى اليها كل يوم ، فتتشرق[٩] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون . وذلك انه كان لا يدنو منها احد

---

١) اخبار مكة ١/ ٧٨ . (٢) سفر التكوين ٨/ ٨–١١ .
٣) الحيوان ١/ ٢٩٨ ، ٢/ ٣١٦ ؛ ٧/ ٤٧–٥٠ .
٤) الحيوان ٧/ ٤٩ يراجع الخبر مفصلا في الدميري ٢/ ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
٥) سفر التكوين ٨/ ٧ . (٦) الحيوان ٢/ ٣١٦ . (٧) الميداني ٢٩٥ .
٨) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها فوق بعض بدون ملاط . (٩) تقعد للشمس .

الا احزألت (١) وكشت وفتحت فاها ، فكانوا يهابونها • فبينما هي ذات يوم تشرّق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع ، بعث الله اليها طائرا فاختطفها فذهب بها ، فقالت قريش: انا لنرجو ان يكون الله قد رضي ما اردنا • عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية •(٢) فالطائر يساعد اهل مكة في ترميم الكعبة ، ويقيهم شر الحية فيخطفها • وها نحن نشهد كما يبينه لنا القرآن الكريم في رمي الطيور الابابيل اصحاب الفيل ، حتى فشلوا في حملتهم على مكة وعادوا منهزمين (٣) "الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل • الم يجعل كيدهم في تضليل • وارسل عليهم طيرا ابابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول •".(٤)

فهذه الطيور يرسلها الله لتهلك الاحباش في حملتهم على اهل مكة • وتحفظ مكة المحرمة من كل شر وضر •

في الاخبار الاسطورية

ذكرنا اشهر ما ورد في اخبار الطير في الروايات الدينية بقي ان نذكر شيئا مما ورد عنه في الروايات الاسطورية • ان اشهر الطيور الخرافية على الاطلاق هي العنقاء • وتعرف بعنقاء مغرب ومغربة • يعرّفها الميداني بقوله:

---

١) رفعت رأسها • (٢) السيرة ١/ ٢٠٥ •

٣) يراجع حتي : تاريخ العرب ١/ ٨٤، ١٤٥ •

٤) سورة الفيل • يراجع شرح البيضاوى ٤١٧ •

" طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم " (١) .

اما الدميري فانه يحرر لها وصفا مطولا واخبارا متعددة . فيقول :

" هو طائر غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه ، وسميت كذلك لانه (٢) كان في عنقها بياض . (٣) كالطوق وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس .

وقال القزويني : " انها اعظم الطير جثة واكثرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر . وكانت في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها الى ان سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة النبي (٤) فذهب الله بها الى بعض جزائر بحر المحيط وراء خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها الناس ...

وعند طيران عنقاء مغرب يسمع لاجنحتها دوى كدوى الرعد القاصف والسيل .

وتعيش الفي سنة وتتزاوج اذا مضى لها خمسمئة سنة (٥) . ويصفها الدميري قائلا : " لها بطن كبطن الثور ، وعظام كعظام السبع ، ووجه كوجه الانسان ، وفيها من كل حيوان شبه ، وهي من احسن الطيور . وقيل سميت العنقاء لطول عنقها (٦) . فنرى ان كل ما قيل في اوصافها باطل وليد الخيال والاختراع لذلك قال احد الشعراء :

" الجود والغول والعنقاء ثالثة   اسماء اشياء لم توجد ولم تكن (٧)

---

١) الميداني : مجمع الامثال ١٣٥ .

٢) ترد كلمة "عنقاء" في المصادر بصيغة المذكر وبصيغة المؤنث فهي كمفعول يجوز فيها التذكير والتأنيث كما يقول الميداني ١٣٥ .

٣) كذا جاء في مجمع الامثال للميداني ٢١٥ .

٤) قال ابن الكلبي : كان لاهل الرس في ثمود نبي يقال له حنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة بين عيسى ومحمد وكان بارضهم جبل يقال له دمخ مصعده في السماء . وكانت تنتابه طائرة كاعظم ما يكون — يقصد بها العنقاء — فجاءت ذات يوم فانقضت على صبي فأكلته ثم على جارية فطارت بها . فشكوا ذلك الى نبيهم فقال : اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آفة ، فاصابتها صاعقة فاحترقت .

٥) القزويني ٢/ ٢٤٣ ، ٢٤٥ . (٦) الدميري ٢/ ١٤٠ـ١٤٥ . (٧) الدميري ٢/ ١٤٣ .

ويضرب المثل : " حلقت به عنقاء مغرب " [١] لمن يئس منه ٠

ويدعى هذا الطائر الخرافي في الاساطير الفارسية " سيمرك " او " سيمرغ " ومعناه ثلاثون طيرا لان قولهم بالفارسية سي هو ثلاثون ومرغ معناها طائر ٠ [٢] ٠ واسطورة سيمرك عند الفرس ان ساما وضع ابنه زعلا قرب عشه فكاد الطائر يقدم الطفل طعاما لفراخه لو لم ينهه عن ذلك صوت من السماء ٠ هذا الطائر هو الذى ربى ابن سام في عشه ودفع اليه عند توديعه ريشة منه طالبا اليه ان يلقيها في النار اذا احتاج يوما اليه فيخف الى نصرته٠ وهذه الريشة احرقها رستم [٣] حفيد سام، فحضر اليه الطائر سيمرك وضمد جراحه وجراح جواده ، وحمله الى بحر الصين حيث اقتطع رستم من اغصان شجرة الغار سهما قتل به عدوه اسفندعار [٤] ٠

فالعنقاء طائر خرافي في الاساطير العربية وغيرها حيكت فيه شتى الخوارق ووصف بغريب الاوصاف وترجع اسطورته الى الميثولوجية الاغريقية القديمة والفينيقية اذ ان اللفظة نفسها فينيقية الاصل حسب رأى الابوين ، انستاس الكرملي ولامنس اليسوعي [٥] في مقال مشترك نشراه في مجلة المشرق ، وقد نقله قدماء مؤلفي الاغريق عنهم ٠

ويماثل العنقاء طائر يدعى الرخ ترد معظم اخباره في كتاب الف ليلة وليلة ٠ وينسبون اليه من النعوت كل عجيب غريب ٠ وقد قال عنه الدميرى

---

١) الميداني ١٣٥ و ٢٩٠ ٠ (٢) الحيوان ٧/ ١٢٠ ٠

٣) قائد فارسي عظيم اصبح مع الزمن شخصية اسطورية ، يراجع Asiatic Mythology 52

٤) Asiatic Mythology p.44. (٥) مقدمة عبقر ٩١ ٠

"انه طائر في جزائر بحر الصين يكون جناحه الواحد عشرة الاف باع،
وان اصل ريشه في جناحه كانت تسع قربة ماء ، وان جماعة القتهم الريح
الى جزيرة عظيمة في بحر الصين فرأوا قبة عظيمة اعلى من مائة ذراع ولها
لمعان وبريق فلما دنوا منها اذا هي بيضة الرخ فضربوها بالفؤوس والحجارة حتى
انشقت عن فرخ كأنه جبل فتعلقوا بريشة من جناحه فجذبوه فنفض جناحه
فبقيت هذه الريشة معهم تخرج اصولها من جناحه ولم يكمل بعد خلقه فقتلوه
وحملوا ما قدروا عليه من لحمه . وقد اكل بعضهم شيئا في القدر بعصا
من لحمه ثم اكلوه . وكان فيهم مشايخ فلما اصبحوا اذا هم قد اسودت لحاهم
ولم يشب بعد ذلك من اكل من الفرخ [١].

ولم تقتصر اساطيرهم بالطيور بل تعدتها الى انواع اخرى من
الحيوانات والحشرات والهوام التي نسجوا حولها من الاخبار كل عجيب وغريب.
"فقد زعموا ان الكركدن – ويدعوه بالحمار الهندي – ينطح الفيل فيرفعه بقرنه
الواتد [٢] في وسط جبهته فلا يشعر بمكانه ولا يحس به حتى ينقطع على
الايام . [٣].

وحدثوا عن جنينه انه يخرج من بطن امه فيرعى ثم يعود الى مكانه

---

١) الدميري ١ / ٢١٢ . تراجع حكاية السندباد في رحلته الثانية في الف ليلة وليلة ٣ / ٨٩
٢) الواتد : الثابت
٣) الحيوان ٧ / ١٢٢ و ١٢٨ .

حتى اذا تمت ايامه وشعته قويا على الكسب والدفع عن نفسه فلا يجرؤ احد من السباع ان يعرض له ٠

كذلك جاءوا بالاخبار العجيبة عن التنين فزعموا انه حيوان بحرى هائل الجثة وقصوا فيه العجب ٠ وزعم بعضهم انه اعصار فيه نار يخرج من قبل البحر في بعض الزمان فلا يمر بشيء الا احرقه فسمي ذلك رأس التنين ثم جعلوه في صورة حية ٠ (١)

اما فيما يتعلق بالحية واخبارها فقد رووا ما يضيق المجال عن ذكره، فقد زعموا ان الحية جان وقالوا ان ابليس متلبس فيها (٢) ٠ وجاء في الكتاب خبر عصا موسى الذى تحول بقدرة الله الى حية تسعى — "وما تلك بيمينك يا موسى ٠ قال هي عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ٠٠٠ قال القها يا موسى ٠ فالقاها فاذا هي حية تسعى ٠" (٣) فزادهم عجبا في امرها واستغرابا لاطوارها التي عللوها بضروب الحكايات والاساطير ٠

وقالوا ايضا ان العنكبوت شيطان وتوسوسوا منه واعتقدوا ان تركه في البيت يورث الفقر (٤) فمعظم مخلوقات الله على وجه البسيطة توحى اليهم باسطورة يعللون بها سر تكوينها وغاية وجودها في الدنيا وينسبون كل ما جهلوه عن حقيقتها الى ارواح مستترة تزيدهم عجزا عن ادراك النواميس العلمية التي تكشف لهم الغامض من حقيقتها فعمدوا الى الاساطير يحللونها بها وبالغوا فيها حتى جاوزوا حد المعقول الى عالم الخيال والخرافات ٠

---

١) الحيوان ٧/ ١٠٥ ٠ (٢) الدميرى ١/ ١٦٨ ٠

٣) سورة طه ١٨_٢١ ٠ (٤) الدميرى ٢/ ١٤٣ ٠

الفصل الثـانـي

طبائع الجن

تمهيد

للجن طبائع يتميزون بها وفقا لاوصافهم ولما يختصون به من اعمال . وترد اوصافهم تابعة لاعمالهم . فاذا كانت صالحة نعتوا بالخير واذا كانت شريرة مؤذية نسب اليهم الشر. واعتبروا دون الخيّرين شرفا ورتبة . ولهم شؤون غريبة منها ما له صلة بالملائكة والانس ومنها ما يتعلق بالطير والحيوان سنعرض لكل منها بكلمة في ما يلي .

الخيّر والشرير من الجن

الخير والشر في طبع الجن: اول ما يتبادر الى الذهن ، بعد الاطلاع على ما قدمناه في الفصل الاول من تعريفات الجن وطبقاتهم وانواعهم ، انهم مخلوقات مفطورة على الشر ، لم يوجدوا الا لاذية الانسان وارهاقه حسدا منه وحقدا عليه . فالغول والسعلاة والمارد والعفريت والخابل والهاجس والعامر والشق والدلهاب والنسناس والشيطان وغيرهم ، كلهم يعملون على تنغيص عيشه وتنكيد حظه متحينين الفرص للايقاع به باذلين اقصى الجهد في ابتداع الاساليب لانزال الضر به . ولكن من هذه الارواح الخفية ما يلين في بعض الاحيان فيهدي الى الخير ويرأف بالانسان ويسعى لخدمته في ما يسعده ؛ فهذا هو الخيّر الطاهر . ولا غرابة ان الفينا معظمهم نزوعين الى الشر ، فان جبلتهم من عنصره . وقد

علمنا ان الله خلقهم من نار [١] . والنار ترمز الى الشر . وقد اختلف المفسرون والمجتهدون في ذلك وتضاربت اقوالهم فتساءل بعضهم : اذا كان الجن من نار فكيف لا يحرق من يصيبه من الناس ! وكيف تحرق الشهب الشياطين من الجن المسترقي السمع [٢] وهل تحرق النار النار ! [٣]

وتعصب الجاحظ على من ينكر عليهم استراق السمع معتمدا على منطقه في الجدل لاثبات رجم الشياطين بالشهب، مستشهدا بما كان يعرفه من اخبار الانبياء لتعزيز رأيه، داعما اقواله بآيات من القرآن الكريم ليدحض آراء الجاحدين الذين انكروا ان الله عز وجل كان يرمي الشياطين الذين كانوا يستمعون خلسة الى القرآن الكريم، بالشهب فتحرقهم [٤] .

وزعموا ان ابليس كان من الملائكة، ولعن لعصيانه، حين امره الله ان يسجد لآدم فابى [٥] . وقالوا : ابليس ابو الجن كما ان آدم ابو البشر فكيف يجوز ان يكون الجن من الملائكة وهم يختلفون عنهم وان كانوا من الصالحين [٦] . وجل

---

١ . راجع سورة الحجر ٢٧ ، وسورة الرحمن ١٥ ، وسورة الاعراف ١٢

٢ . الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع ما ينزل من السماء على الرسول من آيات

٣ . آكام المرجان ١٣ ، ١٤

٤ . الحيوان ٦ / ٢٦٢ — ٢٦٥

٥ . راجع سورة الاعراف ١١ . طه ١١٦ . الاسراء ٦١

٦ . الدميرى ٢ / ١٩٢ . آكام المرجان ١٥٣

ما ورد عن طبائع الجن متغاير متضارب ليس من السهل ان نستنبط منه مبدأ معينا خاصا يرشدنا الى ماهية تكوينه وجوهره ان خيرا او شرا . ولكننا لو عدنا الى الاساطير البابلية والاشورية القديمة ، واطلعنا على المعتقدات الفارسية واليهودية التي تأثرت بها ، وادركنا ان العرب تأثروا بدورهم بهذه المعتقدات السامية القديمة ، لوجدنا مخرجا للامر . فان مشكلة الخير والشر قديمة في الدنيا كقدم الانسان . واجتهاداته في تحليلها وتعليل مصادرها تعود الى اقدم حضاراته . فان اقدم التعليلات الفلسفية التي وصلت الى ايدى الباحثين ما جاء في اثارات البابليين والاشوريين الذين نظروا في هذه القضية وآمنوا بالجن ونسبوا الخير والشر اليهم وجعلوهم فئتين واحدة للخير واخرى للشر . وجعلوهم ادنى مرتبة من الالهة عندهم . فالخيرون منهم كلفوا بحراسة البشر والعناية بهم ورد المكروه عنهم والشفاعة بهم لدى الآلهة . فهم يلازمون الانسان اينما سار وكيفما اتجه . ومن يفوته حارسه الم به من جراء ذلك صداع اليم لا يبارحه حتى تعود اليه جند الخير فيطردون الضر عنه .

الجن الاشرار

واما الاشرار فهم دوما وابدا في صراع مع الانسان لايقاع الضرر به وتنغيص عيشه ، فهم مصدر كل ويل . اذ يجلبون له الامراض ، ويحملونه على ارتكاب الاثام ، ويرمون الخصام والكره بينه وبين ذويه ، ويهلكون مواشيه . وهم يسكنون القبور والخرب والجبال النائية الغريبة[1]

---

١ . Mythologie Generale p. 58

ويملأون الارض احقادا وشرورا وايذاء . وهم جبابرة متعنتون ، يهابون خشية شرهم ، حتى الالهة لا تقوى عليهم . وكانوا يتراءون للبشر بصور غريبة منكرة تشبه الاشكال التي كان يتراءى بها الجن للعرب فتبلع القلوب منهم ويلجأ من يظهرون له الى التعويذات والصلوات ليتقي شرّهم [1] .

وقد حملت اليهودية والمسيحية كثيرا من تراث هذين الشعبين ، واحتك العرب بهما فتأثروا بالكثير من معتقداتهما [2] . ثم قامت حضارة الفرس في البقعة التي سلفت فيها حضارة البابليين والاشوريين فتسرب اليهم قسط وافر من تقاليدهما اضافوه الى ما حملوه معهم من تراث آرى في هذا المضمار فتكونت عندهم ديانات مختلفة جمعت عقائد ومبادى وفلسفات متفرقة متنوعة تضمها انظمة دينية معينة وتعليلات مصنفة . وكان اهمها ما جاء في تفسير الخير والشر . فقد جعلوا الكون متنازعا مقسوما بين قدرتين الهيتين : الخير والشر : تمثلهما عناصر الدنيا جميعها ويتجسدان بكل مظهر من مظاهرها . وكانت الرطوبة من جملتها وهي ترمز الى الخير ، والنار ويرمز الى الشر [3] . ولعل العرب نقلوا هذه العقيدة عنهم ونسبوا عنصر الجن الى النار لكونهم اشرارا . وقد يكون التضارب والالتباس الظاهر في تأويلاتهم عن عناصر هذه الارواح الخفية واصولها ناجم عن تضارب المعتقدات التي تسربت اليهم من تلك الشعوب القديمة التي اتصلوا بها

---

١ . Mythologie Generale p. 56,65

٢ . Mythologie Generale p. 299

٣ . Asiatic Mythology p. 55-58

من بابلية واشورية ويهودية وفارسية ووثنية ومسيحية وغيرها . ثم كيفوا اساطيرهم وفقا لبيئتهم وطبعوها بعقليتهم ونزعاتهم فتراهم في جاهليتهم يعبدون الجن ممالأة لهم خوفا من ان يوقعوا بهم ضررا . ولم يتفردوا من بين الشعوب بعبادة الارواح الخفية استرضاء لها او اتقاء لشرها فقد عبدها غيرهم واطاعوها . ولعل تأثرهم بالثانوية الفارسية هو الذى ولد عندهم هذه العبادات . ولكن العرب لم يدونوا لنا منها ما هو صريح مكتمل يرشد الباحث الى تعليله واستقرائه واقدم ما يعتمد عليه ما جاء في القرآن الكريم من آيات تدحض ما كانوا عليه من ايمان باطل في جاهليتهم . "وجعلوا لله شركاء الجن ...."[١] "ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم . بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون"[٢] . وجاء في سورة يس "ألم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان . انه لكم عدو مبين . وان اعبدوني هذا صراط مستقيم"[٣] . ونلاحظ ان كلمة جن ليست صريحة الدلالة فتارة تعني الملائكة وتارة الشياطين ولعله يقصد بها الارواح الخفية : الشريرة والخيّرة . وجاء في تفسير البيضاوى : " وجعلوا لله شركاء الجن اى

---

١ . سورة الانعام ١٠٠

٢ . سورة سبأ ٤٠ ، ٤١

٣ . سورة يس ٦١ — ٦٢

الملائكة بان عبدوهم وقالوا : الملائكة بنات الله وسمّاهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وعبدوا الاوثان بتوسيلهم وتحريضهم — او قالوا : الله خالق الخير وكل نافع ، والشيطان خالق الشر وكل ضار ، كما هو رأي الثنوية [1] . فالمقصود من هذه الآيات الكريمة ارشاد العباد الى وحدانية الله القدير ونفي ما كانوا عليه من شرك في الجاهلية .

ويستدل منها ان العرب عبدوا الجن والشياطين حيث اشركوهم مع عبادة الله .

وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقيل هذه صور الملائكة فاعبدوها .

وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا خبثت فيعبدونهم ويطاعونها . قال الجاحظ في بعض الروايات : انهم كانوا يسمعون في الجاهلية من اجواف الاوثان همهمة ، وان خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر [2] حتى احترق عامة فخذه فبرئ لعائده النبي . وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليمتحن بها الاعراب واشباه الاعراب من العوام . وما اشك انه قد كانت للسدنة حيل والطاف [3] لمكان التكسب . ولو سمعت او رأيت بعض ما قد اعد الهند من هذه المخاريق [4] في بيوت عباداتهم لعلمت ان الله تعالى قد منّ على جهلة الناس بالمتكلمين الذين

---

١ . البيضاوى ٢٠٢ في تفسير سورة الانعام آية ١٠٠

٢ . جمهرة اشعار العرب ١٨/١ ، الحيوان ٦/ ٢٠١

٣ . الطاف : جمع لطف وهو الرفق في العمل والدراية

٤ . المخاريق : المخارق ، الخوارق

قد نشأوا فيهم [١]. فهذه الارواح العجيبة لا يمكن ان تمس بضر . وكانوا يزعمون في جاهليتهم انها تنزل اشد العقوبات بالذين يتجاسرون عليها . والجاحظ يضيف الى التنوية التي اثر البيضاوي تأثيرها على وثنية العرب ، الطقوس الهندية واساليب سدنتهم وحيلهم في مخاريقهم التي ظهرت اشباهها في ما كان يزاوله سدنة العرب للهيمنة على عقول الناس في ذلك الزمن . واذا كان المقصود بعبادة الجن تكريم الارواح الخفية من الملائكة والشياطين التي كانوا يتخيلون بوادرها في انصابهم واصنامهم ويردون ما ينتابهم من شؤون الحياة الى سخطها ورضاها ، فاننا نقدر ان نقول ان العرب الجاهليين عامة قد عبدوها ، لكننا اذا ميزنا منها الجن الخالص فاننا نقول ان بعض الاعراب قدسوها وهم قبائل معروفة . قال الالوسي : "انهم شرذمة قليلون من اهل البوادي" [٢]. والواقع ان بعض المصادر تعين اسماء هذه القبائل . جاء في كتاب الاصنام : "وكان بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن" [٣]. وفيهم نزلت الآية "ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم" [٤].

---

١. الحيوان ٦/ ٢٠١

٢. بلوغ الارب ٢/ ٢٣٢

٣. كتاب الاصنام / ٢٢

٤. سورة الاعراف / ١٩٤

وكان الاعراب اذا اجتازوا الفيافي الموحشة او عبروا الاماكن التي زعموها مسكونة تنتابهم الوساوس والمخاوف التي يتعرض لها الانسان في وحشته ، لجأوا الى الاستعاذة بالجن ليحرسهم بعضه من بعضه . وفي القرآن " انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا[1]. انه كان الرجل من العرب من قريش ومن غيرهم،اذا سافر فنزل بطن واد من الارض ليبيت فيه ، قال "اني اعوذ بعزيز هذا الوادى[2] ومن الجن الليلة من شر ما فيه[3] فلا يؤذيهم احد وتصير لهم بذلك خفارة[4] اذ كانوا دوما يتوقعون من قبلهم من الشر اكثر مما يتوقعون من الخير الا فيما ندر.

التفنن في الايذاء

وكان للجن فنون في ايذائهم فحينا يضللونهم وحينا يحثون التراب في اعينهم وحينا يرونهم ماء ثم يحجبونه عنهم واحيانا يتراءون لهم بخيامهم وقبابهم فيرتاح المسافرون ويأملون بضيافتهم والاستراحة لديهم فيتوارون فجاءة عن اعينهم. وكثيرا ما يسخرون منهم ، وفي بعض الاحيان يغيرون على مواشيهم فيختطفون منها ما طاب لهم . ويرد في هذا الباب اخبار ونوادر متعددة منها عن "كروم بن صائب الانصارى انه قال "خرجت مع ابي " الى المدينة في اول ما ذكر النبي (صلعم) بمكة . فآوانا الليل الى راع . فلما انتصف الليل جاء الذئب[5]فاحتمل

---

(١) سورة الجن / ٧ (٢) وفي روايات اخرى بسيد هذا الوادى: الحيوان ٦/ ٢١٧ الراغب ٢/ ٢٨٠ (٣) السيرة ٢/ ٦٥ (٤) الذمة والعهد (٥) زعموا ان الذئب من الحيوانات التي يحل بها الجن

حملا من الغنم فوثب الراعي وقال : "يا عامر الوادى اوذى جارك . فنادى مناد : " يا سرحان ارسله ،فجاء الحمل يشتد عدوا حتى دخل الغنم ".(١)

والمفاد من هذه الاخبار ان العرب لم يكبروا الجن ولم يستعيذوا بهم الا خوفا منهم واتقاء ما توهموه من شرهم . وقد عبدوهم مع سائر آلهتهم واشركوا الله بهم . وكان ايمانهم بهم ثابتا حتى انهم قاوموا الرسول عندما دعاهم الى نبذهم مع سائر عباداتهم التي تتنافى وفكرة التوحيد التي قامت عليها عقيدة الاسلام "قال ابن اسحق باسنادات عديدة : انى لغلام شاب مع ابي بمنى ، ورسول الله يقف على منازل القبائل من العرب فيقول " يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ،وان تخلعوا ما تعبدونه من دونه من هذه الانداد ،وان تؤمنوا بي . وتصدقوا بي ، وتمنعوني حتى ابين من الله ما بعثني به . قال "وخلفه رجل احول وضيء له غديرتان[٢] عليه حلة عدنية . فاذا فرغ رسول الله (صلعم) من قوله وما دعا اليه ،قال ذلك الرجل : "يا بني فلان وان هذا انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزة من اعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن اقيشر[٣] الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه[٤].

كذا نلاحظ انهم تمسكوا بعبادة الجن اذ كان ايمانهم بمقدرتهم الفائقة راسخا ،وخوفهم من بطشهم عظيما . ولم تكن هذه الحوادث التي كانت

---

(١) الدميرى ١/ ٢٤١ (٢) المضفور من الشعر (٣) الى هذا الحيّ من الجن تنسب الابل الاقيشية وهي غير عتاق تنفر من كل شيء

(٤) السيرة ٢ / ٦٥

تجري لهم في اسفارهم هي الفريدة من بوادرهم ، بل كانوا ينسبون اليهم كل ضر ينتابهم • فهناك امراض جهلوا اسبابها وعجزوا عن مداواتها نسبوها للجن • وكانوا يمتنعون عن معالجة المصاب خوفا من اغضاب الجن ومخالفة مشيئتهم فيما يرومونه من امر مصروعهم فيزدادون نقمة ، وقد يقتلونه في بعض الاحيان [١] وترد اخبار كثيرة من هذا القبيل • وكانوا يلجأون الى التماويذ والرقي • لتطرد الجن من جسم المصاب وازالة الكرب عنه • وزعموا ان الطاعون طعن من الشياطين وسموه رماح الجن [٢] ولم تكن الرقيات لتشفي المريض من هذا الداء الخبيث فكان يهرب في الشعاب الى الاماكن النائية زاعما انه يفر من الشيطان الذى يطارده بهذا المرض الفتاك •

الاصابة بالعين

وكانوا اذا ما اصاب بعضهم ضنك في جسمه قالوا من الجن • وورد في المصادر القديمة اشعارا واخبار كثيرة في هذا الباب وكانوا يتطيرون من عين الجن عليهم • وزعموا ان عين الجان عليهم اشد من عين الانسان• وتكون في السباع والبشر على السواء • عنوا ان الحيوان يصيب بالعين كما يصيب بها الانسان • فقيل ان العمار [٣] عملوا ذلك عن طريق طاعتهم للعزائم • [٤]

ولم يكن العرب وحدهم ممن اقر باصابة العين فعلماء الفرس والهند واطباء اليونانيين ودعاة العرب واهل التجربة من نازلة الامصار وحذاق

---

١) الحيوان ٦ / ٢١٧
٢) الحيوان ٦ / ٢١٨
٣) العمار سكان البيوت وغيرها من الجن • راجع العامر ص ٤٤ من هذه الاطروحة
٤) الحيوان ٢ / ١٣٥

المتكلمين يكرهون الاكل بين ايدى السباع . يخافون عيونها ونفوسها للذى فيها من الشره والحرص . والطلب والكلب . ولما يتحلل في اجوافها من البخار الردئ ويفصل من عيونها من الامور المفسدة التي اذا خالطت طبائع الانسان نقضتها . وكذلك كانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب[1] والاشربة على رؤوسهم يأكلون ، مخافة النفس والعين . وكانوا يأمرون باشباعهم قبل ان يأكلوا [2] وقد اجمع الناس قديما : خاصتهم وعامتهم على الاقرار باثر العين الحاسدة التي يجرى مجراها ، فيصرع الصحيح ، ويضجع القائم ، وينقض القوى ، ويمرض الاصحاء ، ويصدع الحجر ، ويقتل النور ، ويهد الحمار ، ويكبل الفرس ، ويجرى في الموات مجراه في الحيوان ، ويجرى في الصلابة والملاسة جريه في الاشياء السخيفة الرخوة ، وهو مما ليس له صدم كصدم الحجر ، او غرب كغرب السيف ، او حد كحد السنان ، وليس من جنس السم ، وليس من جنس الغذاء [3] وحوادث اصابة العين كثيرة متنوعة قد تقع غالبا على ذوى الطبائع التي تكون اشد من غيرها اجتلابا للافات فكان من الطبيعي ان يتخذ العرب وسيلة يتدرعون بها من شرها لتكون حاجزا بينها وبين من تصيبه . وشاع عندهم التعشير ، وتعليق كعب الارنب ، وتكرار كلمة دعداع لمنع اصابة العين . اما التعشير فكان اذا دخل احدهم قرية خاف من جن اهلها ومن وباء الحاضرة يقف على باب القرية فيعشر [4] كما يعشر الحمار في نهيقه فيطرد الجن الشرير عنه . واما تعليق كعب الارنب فكانوا يزعمون انه من علق عليه لم تصبه عين ولا نفس ولا سحر لان الجن

---

١) المذاب الادام او العسل مما يذوب وهو سائل من الاطعمة
٢) الحيوان ٢ / ١٣١
٣) الحيوان ٢ / ١٣١
٤) يتابع عشر مرات

تضرب منها وليست من مطاياها لانها تحيض • واما دعداع فكانت كلمة يقولونها عند العشار كذلك كانوا يقولونها لمن خافوا عليه من عين الجن فيحرسونه • (١) وكانوا يتلون رقيات ليطردوا الجن من جسم المصاب • ويظهر ان هذه العادة لم تزل في الاسلام انما تغيرت الذريعة فيها • فبينما كانوا سابقا يلجأون الى اساليب وثنية جاهلية لطرد الروح الخبيث نراهم في الاسلام يلجأون الى اساليب اسلامية لدفع الجن الخبيث عن جسم من اصابه وفي الحديث المأثور في العين التي اصابت سهل بن حنيف حين اغتسل بالخرار (٢) فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر وكان سهل (٣) رجلا حسن الجلد • فقال له عامر ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء • فوعك (٤) سهل مكانه واشتد وعكه فاتى رسول الله (صلعم) فاخبره سهل بالذى كان من امر عامر فقال رسول الله (صلعم): علام يقتل احدكم اخاه، الا بركت (٥) ان العين حق توضأ له • فتوضأ له عامر فراح سهيل مع رسول الله ليس به باس • (٦)

بقايا اعتقاد العين

ولا نستغرب هذه الاخبار لاننا في يومنا الحاضر ما نزال نصادف جماعات كثيرين ممن يقرون اصابة العين ويحدثون عنها طرائف المصادفات • وهناك من يؤمنون ايمان الواثق بالرقيات، فيعمدون الى من يرقي لمعالجة

---

١) الحيوان ١ / ١٤١ • ٢ / ١٣٥ • ٦/٣٥٧ / ٣٥٨
٢) يقصد بها الماء الخار
٣) سهل بن حنيف من الانصار ممن شهد بدر واحد والخندق واستخلفه علي على البصرة بعد "الجمل" ثم شهد معه في "صفين" مات بالكوفة ٣٨ هـ
٤) اصيب بمرض (٥) اى لصق صدرها بالارض وهو دعاء
٦) صحيح البخارى كتاب ٧٦ باب ٤٠ • الموطأ ٣/١١٨، ١١٩

المصاب ويؤكدون ان الفضل في شفائه انما يعود الى الرقية • وان هو فاته الحظ ولم يظفر بالشفاء زعموا ان العين كانت اقوى من ان تطرد فلم تعمل فيها الرقية • وقد تمكنت من المصاب وفات عليها الاوان لنزعها • وكثيرا ما نصادف صغارا وكبارا قد علقوا خرزا أزرق او قطعة من الشبة على اعتبار انها حاجز بينهم وبين العين الشريرة التي تصيب. ونلاحظ اليوم ، بعض الناس اذا ما اطروا انسانا او جمادا واخذهم من افضاله وحسناته العجب ارفقوا كلامهم عنه ب"ما شاء الله" ويخزى العين "واسم الله" ويا بركة الله •••• كي لا يغتنم الروح الشرير الفرصة منهم فيصيب من عليه عينهم ومن يعنونه في كلامهم •

ولا يزال بعض الناس الى يومنا الحاضر يذبحون ذبيحة وهي في الاصل تقدمة للجن اذا بنوا دارا قبل سكنها خوفا من شرهم • وكانت هذه العقيدة شائعة عند العرب ، فكانوا يذبحون للجن ذبيحة قبل ولوج الدار الجديدة زاعمين انهم اذا فعلوا ذلك لم يضر الجن اهل البيت فابطل الرسول ذلك ونهى عنه • (١)

الجن الاخيار وفضائلهم

تكلمنا عن الشريرين من الجن وما يوقعونه من ضر بالانس • وبقي ان نعرض شيئا عن الخيرين منهم وما ينفعون به البشر • ولكن المادة التي بين ايدينا في هذه الناحية قليلة لان الشر هو الغالب على طباعهم فلذلك

---

١) الدميرى ١ / ١٩٤

وردت فيه الاخبار غزيرة • واذا عدنا الى الاساطير العربية القديمة التي وردتنا من العصور الاسلامية ،آن دونت ،نراها تنزع من الجن كل خير وتحشر بهم كل شر • الا المؤمنين منهم الذين امنوا بالنبي واذعنوا لكلمة القرآن • ولعل اكبار الجاهليين للجن وعبادتهم اياهم وايمانهم بخوارقهم مما دعا الى تشديد النكير عليهم في الاسلام وابراز ما شان من امرهم وطمس ما برز من مآثرهم • وكان هم المسلمين الاول التغاضي عن كل ما يتعلق بالجاهلية من عقائد شركية فغيبوا عنا الكثير من اخبار الجن الخيرين وما نسب اليهم من فضائل • لعل الهمداني لم يفطن الى هذه الغاية لذلك نراه يقدم لنا طائفة من اعمال الجن الخيرين الذين يرشدون الانسان وينفعونه • منها انهم كانوا يقدمون النصائح للملوك فيهتدون بها ويرشدون • فقد جاء عن تبع احد ملوك اليمن القدماء انه لما حضرته الوفاة دعا ابنه حسان ليستخلفه من بعده وكان لتبع تابعة من الجن تسكن في جبل يقال له ينور على ساعة من صنعاء • فارسل تبع ولده اليها فقال سر حتى اذا وصلت الى ينور فاقرع الجبل فانه سيفتح لك باب فادخل حتى اذا انتهيت الى المرأة فاخبرها اني منتقل ثم انظر الى ما تقوله لك وما تامرك به • ولا تعصيها في شيء • فلما انتهى حسان الى المرأة اخبرها الخبر فاشارت اليه ان يقعد على كرسي فيه حيات وعقارب فابى وقعد على الارض • وقدمت له طبقا فيه عظام • فقالت

تمششها ، فابى ان يفعل ، فدعت له بقدح فيه دم فابى ان يشربه فقالت " امرتك فلم تفعل فاذا عصيتني انظر اذا رجعت الى ابيك ، ودخلت باب غيمان فاقتل اول من يلقاك من الناس ، وادرك اباك فانه على آخر رمق ، فخرج مسرعا حتى اتى غيمان فلقيه على بابها معدى كرب اخوه فابى ان يقتله ، ودخل على ابيه فاخبره الخبر وما قالت المرأة وما امرته من قتل من لقيه ؛ فقال اسعد تبع " ما اراك الا مخطئا انما هذه امثال ضربتها لك ، اما الكرسي الذى اقعدتك عليه فانه لا يملك حمير الا من صبر على مثل لدغ الافاعي والعقارب . واما العظام التي امرتك بتمششها فانه لا يملك حمير الا من اكل اموالها ، واما الدم الذى اسقتك فانه لا يملك حمير الا من اهرق دماءها ، واما اخوك فانه سيقتلك ان لم تقتله(١) فهذه المرأة جنيه اخلصت النصح لولي العرش وقد تم ما انبأته به ، وكثيرة هي تنبؤات الجن بالحمير سنوردها في باب خاص من هذه الاطروحة ، ومن جملة ما نقرأه في الاكليل عن فضائل الجن ، وكلها تتعلق بعرب الجنوب قبل الاسلام ، انهم كانوا يشفون المرضى الذين يلجأون اليهم " فكانوا يزعمون ان جنا يقيمون في جبل ينور في غيل كوره من ضهر وغيل (٢) ثقبان تنتشر المرضى فيهما والمسحورون ، يبرئون من اغتسل في ماء هذا المكان . وحمل المغتسل معه خبزا طريا وزبيبا او تمرا او شيئا من الماكول فيتركه ثم يقول " هو نفحة للساكن . ويعرف ذلك اهل ضهر فيقولون " ثم ثعبان ساكن يعرفونه هم واباؤهم

---

١) الاكليل ٦٩

٢) غيل " ماء جار على وجه الارض

واجدادهم وانه هو الذى يأكله [١] فقد ظنوا ان هذا الجن الذى يشفيهم ، يظهر في ثعبان يقيم في هذا المكان فلا يخافون منه بل يطعمونه ، لزعمهم انه نافع لا يصدر منه اى اذى وهنالك اماكن اخرى منها حمام سليمان باسي والداعرة والجوف وكليها من اليمن زعموا ان الجن يسكون فيها ليشفوا المرضى ، فكانوا يقصدونها للبرء وكثيرا ما كانوا يطيبون [٢]

على ان اخبار الجن الخيرين الواردة عن العصور الاسلامية كثيرة لان العقيدة شاعت انه لما ارسل الله النبي محمد (صلعم) كانت دعوته مقصودة للجن كما كانت للانس، فكما اضل فريق من الانس عن الايمان كذا اضل الجن وانقسموا فيما بينهم الى فريقين : مؤمنين وكفار . قام بينهم نزاع كما قام بين الانس ايضا من مؤمنين وكفار ، جعل الله الغلبة فيه للجن المؤمنين . ونرى هؤلاء ينحازون الى المسلمين من الانس فيهدونهم حيث تفيد الهداية اما لنصرتهم او لتحذيرهم من المهالك ويخوضون معهم المعارك ويشدون ازر تاشدهم وكل ذلك خدمة لهم في جهادهم ، واخبارهم معهم في هذا المضمار عديدة ترد في معظم المصادر القديمة . [٣]

يتبين لنا في ما مرمعنا ان الجن ينقسمون وفق اعمالهم الى فئتين اشرار وخيرين ، فالاشرار مجلبة كل ضر من تضليل في الفيافي وخطف انس، وخطف مواشي ، واصابة امراض، واصابة عين ، وحمل على الكفر والغي ، والخيرون

---

١) الاكليل ١٩

٢) الاكليل ٧١

٣) السيرة ١/ ٦٢ . ٢/ ٢٤٤ . الطبرى ٢/ ٢٧٢ . آكام المرجان ٥٠ ، ٥١

مصدر كل نفع من شفاء امراض وارشاد ونصح ومؤازرة كل انس يسير في سبل الدين والخير .

الطائع والمطاع

طبقات الجن : لا يتميز الجن في انواعهم فقط ، ولا ينحصرون في خيرين واشرار فحسب ، بل يخضعون ايضا لنظام اجتماعي يرتبهم طبقات دونها طبقات فاعلاهم قدرا الملك ، وهو الجني اذا طهر ونظف ونقي صار خير كله [١] وهو المطاع الاول بين افراد جنسه وله يخضع سائر الجن اذ ما امر ، وله جنود على اهبتهم حاضرون لتنفيذ اوامره ، واصحاب العزائم والسحرة والروحانيون انما يوكلون امورهم للملك من الجن الذى باذنه تسخر الجن لتحقيق اماني الانس ، ولا يحق لهم الاتصال مباشرة بعامة الجن لانهم بعملهم هذا يثيرون نقمة الملك وسخطه فتعود عليهم عزيمتهم عكس ما يرومون ، ويحدث لهم من جراء ذلك ضرر جسيم . [٢]

الجن الملوك

ويعرف الملوك المطاعون باعلام متميزة وعرة اللفظ غريبة الجرس كهيطططف وكهيائيل وبطيائيل وكريائيل وبطائيل وغيرها وهم طبقات يتفاوتون سلطة ومقاما نسبة لصولتهم ولعدد جنودهم وخدامهم ،

---

١) الحيوان ٦ / ١٩٠

٢) شمس المعارف الكبرى ٣ / ٣٥ ، ٢٦ ، ٤ / ٦ ، ٧

ولكنهم وان كانوا ملوكا بين الجان ، فانهم كلهم خاضعون لقدرة الله تعالى ، والله يختار من بني الانسان من يصطفيه للسيطرة عليهم ، ويسخرهم له بمشيئته ، واول من سمح الله له ببسط سلطانه على الجن قاطبة وجعلهم مسخرين له ، سليمان الحكيم الذى منحه القدرة العجيبة حتى على مردتهم وجبابرتهم ، فسيرهم كلهم طائعين له ، يعملون بين يديه ، ما يوكلهم به من اعمال خارقة [١] ولم يجرؤ احد منهم على عصيانه وذلك بقدرة من ربه ، قال بعض العلماء " سخر الله تعالى الجن لسليمان ، عليه السلام ، وامرهم بطاعته ووكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن امره ضربه الملك ضربة احرقته [٢] وكذلك سخر الله الجن لملوك حمير الذين هم من ذرية بلقيس لانه كان لها علاقة ودية بسليمان الحكيم [٣] فشيدوا لهم القصور وحققوا لهم اعمالا عظيمة جبارة [٤] فنرى ان هؤلاء الملوك المطاعين وعامة الجن الطائعين كلهم على السواء مسخرون لمشيئة الله تعالى لخدمة من يصطفيه من عباده . فالصانع الاول والقادر على كل شيء والآمر الانس والجن مصدر كل امر ومرجع كل شيء هو الله عز وجل ، والينا ما قاله ورقة بن نوفل [٥] في هذا الصدد

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم	انا النذير فلا يغرركم احد
لا تعبدون الها غير خالقكم	فان دعوكم فقولوا بيننا حدد [٦]

---

١) الحيوان ٦ / ١٦٣ . الدميرى ١ / ٢٩٢ ، ٢ / ١٥٦ (٢) الدميرى ١ / ١٩٢
٣) لا صحة للخبر تاريخيا لان هنلك فترة بعيدة ما بين بلقيس وسليمان
٤) الاكليل ١٥٩ . (٥) الاغاني ٤ / ١٢١ دار الكتب . (٦) منع

سبحان ذى العرش سبحانا نعوذ به وقبل قد سبح الجودى والجمد

مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي ان ينادي ملكه احد

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويودى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان اذ دان الشعوب له والجن والانس تجرى بينها البرد (١)

الجن العـــوام

ولا يقوم السمو والضعة بين الجن لكونهم ملوكا او عواما ، ولا الطاعة والخدمة بينهم على هذا الاساس ، فهناك طائفة من اشراف الجن تتدانى مراتبهم من العزة والكرامة بسبب لما يختصون به من مقدرة ، وفضل وبر وصلاح جاء في الاخبار القديمة ان سليمان الحكيم عندما كان يجلس على ايوانه كان يوضع له ستمئة كرسي يجيء اشراف الانس فيجلسون مما يليه ثم يجيء اشراف الجن فيجلسون مما يلي الانس (٢) وقد قربهم منه بنبوغهم ومعاضدتهم له في ما كان يحققه في سبيل العدل والخير والعمران ، مطيعا بذلك مشيئة ربه التي اشترك معه الجن في تحقيقه على الارض . فكان لهم في ذلك ما اكسبهم الشرف والمجد . ورفعهم عن غيرهم من قومهم ، وكانوا من الذين تفردوا بالسلطة والرئاسة وخضع لهم سائر الجن . وبالنفس الذى يقص به هذا الخبر يرد خبر وفود

---

١) جمـع بريـد وهو الرسول

٢) الدميرى ١ / ٢ ـ ٢

الجن على النبي (صلعم) في ليلة الجن المشهورة في الاحاديث ،عندما راح الرسول يقرأ عليهم القرآن فاجتمعوا حوله وسألوه ان يسكنهم فاسكن المؤمنين منهم الجلس (١) وكل مرتفع من الارض واسكن المشركين الغور ولذلك قيل ان من الجن مقربين وابرار كما هو من الانس، ذلك لان الرسول اصطفى ليكون هاديا للانس والجن معا • (٢)

وكما قام شرف العرب من المؤمنين على دنوهم من البيت واسبقيتهم في الاسلام وجهادهم في سبيل الله ،كذا اعتبر فضل الجن وميزت درجاتهم ونفذت كلمتهم على سواهم فنجدهم يعزون ويطاعون كلما توافقت مآتيهم ومآتي المؤمنين من العرب ، فيعلون بعلوتهم ويسلطون بسلطانهم ، وتأتي احكامهم على اسس العدل الاسلامي وتشريعه فينصرون المؤمن ويذودون عن حقوقه ويحمونون عرضه وامواله • وينكسون اعداء، ويجازون على السيئات بمثلها ،ويكافئون على الحسنات بمثلها واكثر • وهم مسلطون على المشركين من الجن والانس فالنصرة الاخيرة لهم والطاعة حق مكتسب ، ومهما كان عصيان الكفار والاشرار عظيما وتمردهم عاتيا فانما يبالغ بهما بقصد المبالغة في قدرة الجن عليهم وجلال سطوتهم على كل الارواح الشريرة النافرة من الايمان بالله ورسوله • وللجن ثواب ولهم عقاب ، فالابرار منهم يدخلون الجنة ويكون لهم فيها نعيم واعزاز كما كان لهم في الارض وازود • ويرد في المصادر القديمة من دينية وتاريخية اخبار عديدة تشهد لما قدمناه •

ومن السنن المعروفة ان يكون لكل فلسفة معارضون ولكل مذهب اضداد كذلك كانت مبادئ المعتزلة في الاسلام نفيا لهذه الاخبار ، وانكارا لوجود الجن وما نسب اليهم نفيا باتا ،فقام عليهم من يقرون وجودهم ،واتهموهم بالجحود والكفران ، ولسنا مثبتين زعم هؤلاء ولا يقين اولئك انما هدفنا في هذه الكلمة ان نبين طبقات الجن

---

١) كل مرتفع من الارض • (٢) الدميرى ١ / ١٨٦ • اكام المرجان ٥٣

وتفصل بين طائع منهم ومطاع كما ورد عن العرب على السواء ·

اشكال ظهور الجن

لم يكن العرب بدعا بين الشعوب القديمة فيما تصوروه في اساطيرهم عن تجسم الارواح الخفية التي اعتقدوا وجودها وتفننوا في طرائقها وشؤونها ووصفها بهيئات واشكال غريبة عجيبة نابيه ، وصوروا فيها خيالهم وعقليتهم اكثر مما صوروها حقا لانه لم يقم الدليل العقلي بعد على وجودها في عالم المادة ولكن الانسان دون امكانـــه ، ولا سيما في اطوار بداوته ان يؤمن بما هو غير مرئي مالم يتمثله بشكل محسوس حتى ولو عن طريق الخيال والافتراض لتستطيع عقليته تقبله واقراره ، فكان لا بد للعرب من تصوير الجن وتشكيلهـــم بصور واشكال محسوسة استمدوها من بيئتهم معملين خيالهم ومقدرتهم في الابداع لابرازها بالصورة المبتكرة التي قدموها لنا · وكان ادراكهم للجن متمثـــلا بكل قوى غريبة جهلوا حقيقتها ومولداتها ، فحسبوا كل ما رأوه من كائنـــات حولهم قصر فهمهم عن تعليـــل جوهرها جنا او كائنا يحـــل فيه الجـــن ويتخذ شكلـــه بـــه ·

الجن في شكل الحيوان

" فزعموا ان الحيات والعقارب وخشاش الارض كلها تشـــكل للجـــن " (١)

ولهم فيها اخبار · واساطيرهم طريفة يدور معظمها حول الحيات اذ يعتبرون هذه المخلوقات اكثر الزحافات ذكاء في بوادرها فينسبون ذلك الى نبوغ الجن المتلبس فيها فكانت كلما برزت لهم حية ظنوا ان الجن يظهر فيها فان اذتهم نسبوا ذلك الى كيد الجن وحقده عليهم ، وان لم تفعل قالوا هي من الجن الاخيار او المؤمنين · وقد زعم احدهم انه رأى حية ميتة فكفنها ودفنها ، وكان له

---

١) الدميري ١ / ١٨٦

في ذلك اجر عظيم اذ انه ما لبث ان سمع هاتفا يهتف به قائلا"

"يا ايها الركب المرخي مطيته اربع عليك سلام الواحد الصمد

وارث عمروا وقد القى كلاكله دون العشيرة كالضرغامة الاسد

واشجع [1] حاذر [2] في الركب مطيته وفي الحياء من العذراء في الخلد [3]

فعلم انه وارى احد شهداء جن بني اقيس الذين اقتتلوا مع جن بني الشيطان في سبيل الله . "وكان الاعراب في الجاهلية لا يقتلون الحيات لانها جان وقتل الجان عندهم عظيم [4] فكانوا يبتعدون منها مهابة وخوفا . وربما انقذوها من مأزق خطرة لينالوا بذلك عفوها ورضاها . ولكن الاسلام ابطل هذه المزاعم" فقد جاء في سنن البيهقي عن عائشة انها قالت" قال رسول الله (صلعم) الحية فاسقة والعقرب والفأرة فاسقة . وفي سنن الامام احمد عن ابن مسعود ان النبي (صلعم) قال من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا بالله ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا [5] والضباب زعموها شكلا من اشكال الجن ، وكذلك توهموا ان دبابات الارض من جعل وزيزان وغيرها ليست سوى تشكل من هيئات الجن ولهم فيها اخبار وخرافات .

وزعموا ان الجن تتشكل بهيئات طيور من نسور وعقبان وهداهد وغيرها

---

1) المجنون من الجمال . وجمع شجع القوائم سريع نقلها
2) المتأهب المستعد
3) الدميرى ١ / ١٨٩ . آكام المرجان ٤٢
4) الحيوان ٦ / ٤٧
5) الدميرى ١ / ١٥٦

وباشكال حيوانات كالهر والكلب والذئب والثعلب والاسد (١) فقلما نجد في كتب الحيوان تعريفا لهذه المخلوقات الا مقرونا باسطورة من هذا القبيل .

الجن في شكل الانسان

اما تصورهم للجن في هيئة انسان ففيه الغريب العجيب . ويمكننا ان نصنفه في ثلاثة مراتب " الصنف الاول وهو ظهور الجن في هيئة انسان عادى كما ظهر في صورة الشيخ النجدى وفي صورة سراقة بن مالك بن جعشم . سبق الخبر عنهما في الخبر عن ابليس . وفي صور العجائز والفرسان والبدو وغيرهم .

والصنف الثاني وهو ظهور الجن بهيئات انسية غريبة مشوهة . اما ان يكون شق عينه بالطول او ان يكون حجمه صغيرا كعشر حجم الانسان العادى او اقل اذ لا بد له من نكر في تكوينه وحركته وتصرفاته . جاء في الاكام عن ابي بكر بن عبيد انه قال: خرجت اريد موضعا حتى اذا كنت على اربع فراسخ اذ انا بصحاب يلعبون عند عين قرية ، قمت انظر اليهم فقام احدهم فاستقبل صاحبه ثم وثب اخر على عنق اخر ،فلما رأيت ذلك حملت الفرس عليهم فوقعوا يقهقهون مستلقين . فخرجت اضرب فرسي فما مررت بشجرة الا سمعت تحتها ضحكا ، وروى اخر قال : خرجت وصاحبا لي فاذا بامرأة على ظهر الطريق فسألت ان نحملها ،فقلت لصاحبي : احملها ،فحملها خلفه . فنظرت اليه ففتحت فاها ،فاذا يخرج من فيها مثل لهب الاتون ،فحمل عليها

---

١) آكام المرجان ٤٥

ولم يخف ، وعاودت الكرة ثلاث مرات ولم يؤثر ذلك في قلبه فرقا ، فتزلت على الارض وانصرفت بعد ان شهدت له بثبات الجنان وشدة الفؤاد (١) .

وكل ما يرد من امثال هذه الاخبار في تصور الجان بهيئات بشرية لا بد ان يكون فيه غرابة وشذوذ عما يعتاده الانس من تصرفات واشكال لتمييزه كونه جنا وان ظهر بهيئة انس ، وهنالك النسناس الذى زعموا انه شكل من اشكال الجن على هيئة ناس متوحشي التكوين قبيحي الهيئة صغار الاجسام .

الجن في شكل انسان حيواني

والصنف الثالث من اشكال ظهور الجن هو الصنف المركب من انسان وحيوان ، فقد تصوروا الغول بهيئات مختلفة ولكن لا بد ان تكون رجلها رجل حمار ، وزعموا ان الشق ، نصفه انسان ونصفه الاخر حيوان . وزعموا ان الدلهاب نصف ادمي راكب على نعامة ، وقالوا ان هنالك جان بحر نصفه بشر واسفله ذيل سمكة ، وورد في اوصاف هذه الهيئات من الجن الخبر الكثير فمنهم من زعم انه رآه بذراعي كلب او بذيل ثعلب او بيراثن هر او بوبر حيوان (٢) الى ما هنالك من فنون التركيب واستعارات الاعضاء .

الجن في ظواهر الطبيعة

ومما جاء في تعريف الجن ان منهم صنفا كالريح وهم لا يأكلون

---

١) آلام العرجان ١١٥ .

٢) الحيوان ١/ ٢٩٨ . الدميرى ١/ ١٩٠

ولا يشربون (١) لذلك تصور العرب رؤية الجن في الاعاصير والعجاج (٢) وقالوا انها جن يتقاتلون او يثورون زاعمين ان هيجان الريح ليس سوى مظهر من مظاهر غضبهم وهيجانهم . وكان من هؤلاء بنو زوبعة، قوم من قبائل الجن المشهورة عندهم . وكثيرا ما كانت تتجلى هذه الزوابع عن اشكال من الجن فيرونهم ويشاهدون اعمالهم ويحكون عن اخبارهم اساطير واساطير . وكانوا يتصورون الجن ايضا بهيئات منيرة كاللهب ، قال الاعشى :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتها شعل (٣)

وكانوا يرون النار الملتهبة ويميزون بين السنتها صور الجن الغريبة . وقد روى ابو عبيدة عن لسان شيخ بدوي انه كان مرة نائما في الصحراء فرأى فجأة لهب نار امامه وشاهد فيه اشكال وجوه عرف انهم جن (٤) .

واقرب ما يكون ظهور الجن بهيئة نار او بريق اولهيب لان الجن كما مر معنا مخلوق من مارج من نار فلا غرابة ان يظهر للعيان على حقيقة عنصره .

اصوات الجن

تتنوع صور الخيال بتنوع حس الانسان وانطباعاته ، فينتج عن ذلك تشكل في ما يسمونه بنات الخيال التي هي تعبير لهذه الصور وتجسيم لها لابرازها الى حيز الوجود . فكما رسم لنا العرب هيئات الجن وتشكلاتهم كما تخيلوها عن طريق الرؤية ، كذا سجلوا لنا اصواتهم كما تخيلوها عن

---

١) الدميري ١ / ١٨٥
٢) آكام المرجان ٣٧
٣) ديوان الاعشى
٤) مروج الذهب ٣ / ٣٢٢

طريق السمع، وسموها عزيفا . وهو ما يشبه الضجيج العميف . وكذا سمي الايقاع الموسيقي عزفا لتجاوب النغم العميق من نقر الوتر الى دمدمته او ارنانه .

وقد فرقوا بين هذه الاصوات نسبة لقوتها وصخابتها وجرسها وتلونها وخفتها ودمدمتها ووشوشتها وهمسها . وفيها غرابة وغموض، وفيها سحر وتهويل، وفيها فزع وسخط وتهديد . فهي تتموج وتتلون وتتنوع بتنوع الخيالات والاوهام في مزاعم سامعيها من الاعراب، لان كثيرين منهم زعموا انهم سمعوها وخبروا عنها ووصفوها، كما زعموا انهم رأوا اصحابها وكلموهم وقاتلوهم ورافقوهم وتزوجوا منهم، الى ما هنالك من التجاوزات الخرافية . والجاحظ يعلل هذه الاوهام تعليلا معقولا حيث يقول : " اصل هذا الامر وابتداؤه ان القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد عن الانس استوحش، ولا سيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين، والوحدة لا تقطع ايامهم بالمنى والتفكير، والفكر ربما كان من اسباب الوسوسة . واذا استوحش الانسان يمثل له الشيء الصغير في صورة الكبير، وارتاب وتفرق ذهنه، وانتقضت اخلاطه، فرأى ما لا يرى وسمع ما لا يسمع، وتوهم على الشيء اليسير الحقير انه عظيم جليل . ويكون في النهار ساعات ترى الشخص الصغير في تلك المهامة عظيما، ويوجد الصوت الخافض رفيعا، ويسمع الصوت الذى ليس بالرفيع مع انبساط الشمس غدوة في المكان البعيد، ويوجد لاوساط الفيافي والقفار والرمال والحرار في انصاف النهار مثل الدوى، من طبع ذلك الوقت وذلك المكان عندما يعرض له . لذلك قال ذو الرمة :

اذا قال حادينا لتشبيه نبأة صه، لم يكن الا دوى المسامع [١]

فالمراد من ذلك ان البيئة التي عاش فيها العرب هي التي كونت عندهم هذه المزاعم، فكان ما تصوروه من صوت الجن ليس سوى اصداء في انفسهم

---

١) الحيوان ٦ / ٢٤٦ — ٢٥٠

لهذه الفلوات الشاسعة التي عاشوا فيها ، والحانا تعزف على الاتها التي تتمثل باعاصيرها وصباها ورعدها وهمومتها ، ونسف الرمل على كثبانها ، ونعيق البوم في تغارها ، وبغام الظباء في وعورها ، ولغط القطا على موارد ها ...

وكون الشعراء ارهف الناس حسا وابعدهم خيالا وانصحهم تعبيرا ، فكانوا ادق من سمعها وابلغ من ترجمها فتنوشد شعرهم وراجت اساطيرهم فيها ، ونقلها الخلف عن السلف حتى وصل الينا منها في طائفة من كتب الادب تضع بين ايدينا تسجيلات متنوعة من اصوات الجن وانغامهم وتصف نماذج منها لبيان ماهيتها .

فقد تصوروها اذا خفتت ولطفت كضرب الصنج . قال القطامي :

تبيت الغول تهزج ان تراه ... وصنج الجن من طرب يهيم (١)

واورد لروبة :

" كأن عزف الجن بالاهزاج ... به حنين الزجل الصناج (٢)

فالشاعران متفقان في سماعهما عزيف الجان كايقاع الصنج .

اما ذو الرمة فتبلغه اصواتها اشد وارفع . فهو يتصورها بنسف الرمل كضرب الطبل اذ يقول :

" ورمل عزيف الجن في عقداته ... هزيز كتضراب المغنين بالطبل (٣)

ولكن الجن لا تلزم جرسا واحدا معينا ، فانها كما تتشكل وتتلون

---

١) اللسان مادة صنج
٢) اراجيز العرب ١ / ٦١
٣) الحيوان ٦ / ١٧٦

بهيئاتها ، كذا باصواتها ، فهي تنساب الى اذن الشاعر نفسه كاحاديث السمر. قال :

وكم عرست[١] بعد السرى من معرس ... به من كلام الجن اصوات سامر

فقد زعم انه عند نزوله ليلا للاستراحة لم يشعر بوحشة المكان لما استأنس به من سمر الجن في تلك الفترة من الليل . ولا غرابة ان يتوهم الشاعر ذلك ، لان اصداء الليل تغلب عليها السكينة والسجو . فقد بدا له صوت الجن وكأنه سمر لطيف وبما انه هاوى مغامرات واليف اسفار واخو فلوات فانه يطرب لسماع اصوات الجن فيها ويتصورها غناء فقال :

كم جبت دونك[٢] من يهماء مظلمة ... تيه اذا ما مغني جنه سمرا

وقال : بلاد يبيت البوم يدعو بناته ... بها ومن الاصداء والجن سامر[٣]

ويبدو ان ذا الرمة كان ارهف الشعراء حسا بعزيف الجان ، وكانت اذنه تألف اصواتهم وتميز بينها تمييزا دقيقا ، حتى جمع منها ضروبا متفرقة من التوقيعات . فاننا بينما نراه يأنس لسمر الجن ويستلطفه ، اذ به يستنكر سماعهم عندما يقع على اذنه نابيا قويا . قال :

فلاة لصوت الجن من منكراتها ... هرير ، وللابوام فيها نوائح[٤]

فهو يقرن اصواتهم بنعيق البوم لاستهجانه اياها واستيحاشه منها . وكثيرا ما يقترن صوت الجن بصوت البوم في قصائد شعراء اخرين قال الراعي

وداوية غبراء اكثر اهلها ... عزيف وبوم اخر الليل صائح[٥]

---

١) التعريس : النزول في اواخر الليل للاستراحة.
٢) الضمير يرجع الى ممدوحه عمرو بن هريرة .
٣) ديوان ذى الرمة . الحيوان ٦/ ١٧٦ .
٤) ديوان ذى الرمة . الحيوان ٦/ ١٧٦ . (٥) الحيوان ٦ / ١٧٧

وذلك بسبب الجوار والاستيحاش . فالبوم تعتاد الاماكن المقفرة التي زعم العرب انها مساكن للجن ، فلا بد لهم عند سماعهم نعيق البوم ، ان يقرنوا به عزيف الجان . وكل هذا ناجم من التوحش والانفراد اللذين يسببان الهواجس والوساوس، فيخيل للانسان انه يسمع اصواتا ويرى اناسا ، وما ذلك الا التماسا لترويحه عن نفسه في مثل هذه الحالات المقلقة التي تنتابه . فان كان ما يسمعه مؤنسا غلبت شجاعته على وساوسه ومخاوفه وان كان ما يسمعه مريعا مستنكرا غلبت وساوسه عليه ، فمصدر هذه التخيلات ، مزاج الشاعر وحالته النفسيه . فذو الرمة نفسه في الاماكن ذاتها تتغير عليه اصوات الجن فبينما نراه ينزعج منها ، اذ به يستسيغها في البيت التالي :

"وللوحش والجنان كل عشية بها خلقة من عازف وبغام (١)

فهو وان اراد في هذا البيت وصف المهامة ووحشتها ، نجده لا ينفر من عزيف جانها ، لاننا نراه يقرنه بالبغام والبغام صوت الظباء ، وهو جرس يألفه العرب ويأنسون اليه .

وكانوا اذا سمعوا هبوب الريح ، وصفير الاعاصير قالوا : الجن . وتصف الرعد قالوا : الجن ، وحفيف الاغصان ، قالوا : الجن :

"للجن في الليل في حافاتها زجل كما تناوح يوم الريح عيشوم (٢)

والعيشوم شجر له صوت لدى هبوب الريح فتخيلوه عزيفا . واذا تسربت اليهم همهمة من اصداء الفلوات قالوا أحاديث الجن .

---

١) الديوان . الحيوان ٦ / ١٧٧

٢) البيت لذى الرمة . الحيوان ٦ / ١٧٤

" اذا حثهن الركب في مدلهمة (١) احاديثها مثل اصطخاب الضرائر (٢)

واذا سمعوا ازير الذباب وما شابه زعموا انه صوت الجن . قال شاعر مجهول:

" تسمع للجن به زي زي زما هتاملا من رزها وهينما (٣)

وجاء في هذا الباب ، على سبيل التشبيه والاستعارة ، نسبة كل صوت منبه غريب للجن . فكانوا اذا سمعوا حركة خفية في الليل - حركة بعض الصعاليك الذين كانوا يتسللون ليلا طلبا للرزق بالعدوان على المواشي وغيرها ، قالوا: الجن . (٤)

واذا تفوه احدهم بكلام ذي ارنان مستحب شبهوه بنطق الجن . كذلك اذا كان نطق بعضهم غليظا مستهجنا مثلوه بالجن . قال: الزقبان العواني (٥)

" بين اللها (٦) منه اذا مامد مثل عزيف الجن هدت هدا . (٧)

وغالبا ما كانوا يشبهون انين السهم عند انطلاقه بالازمل (٨) قال: اوس بن حجر يصف قوسا:

كتوم طلاع الكف (٩) لا دون ملئها ولا عجسها (١٠) من موضع الكف افضلا (١١)

اذا ما تعاطوها سمعت لصوتها اذا انبضوا (١٢) عنها نئيما (١٣) وارملا (١٤)

---

١) المفازة لا اعلام فيها . (٢) الحيوان ٢ / ٢٤٦ البيت لذي الرمة .

٣) اللسان مادة هتمل . (٤) الشنفرى في: اميند يحفز شبنا ... [illegible] .

٥) وهو عطاء ابن اسيد احد بني عوانه بن سعد .

٦) اللحمة المشرفة على الحلق . (٧) الحيوان ٦ / ١٧٤ .

٨) الازمل : صوت الجن . (٩) طلاع كل شيء ملوه .

١٠) عجسها : مثلث العين . مقبض القوس . (١١) افضل هنا : ازيد .

١٢) حركوا وترها لترن . (١٣) صوت البوم .

١٤) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ٤٨ .

ومجمل الكلام عن عزيف الجان انه ليس سوى اصداء الصحراء وانغامها . وقد جنح خيال العرب في اساطيرهم لدى تعليل مصدرها الى الجن . فلأن الجن لا تعرف النطق الا بلغتها فقد تفوهت بلسان فيافيها ووديانها ، وبلسان حيوانها وطيرها وشجرها ونومها ، في لغطهم عند نزولهم واحتمالهم وغوغائهم ، وفي معاركهم في غزواتهم ، وفي سجعهم ووترهم وفي رمحهم وسنانهم ، وفي اصداء هذه البيئه التي عاش فيها العرب ، تأتينا من بعيد لا يشوبها مرور الايام وبعد المكان ، بل يزيدها القدم روعة وسحرا .

مطايا الجن

اشرنا في الفصل السابق الى انه قلما يوجد حيوان الا وله علاقة بالجن ، ومن جملتها ميل الجن الى ركوب معظمها . فليس من وحشية الا وعليها جن يركبها ما عدا الارنب لانها تحيض ولا تغتسل من الحيض كما زعموا ، والضباع لقذارتها والقردة لانها زانية .

وهنالك انواع من الحشرات زعموا ان الجن تركبها[1] ايضا وقد عرفت كل هذه بمطايا الجن . وكانوا يعتقدون ان سرعة الحيوان في الركض ناجمة عن حث الجني الذى على ظهره .

وقد اعتبروا الظباء للجن بمثابة الابل للانس من حيث المنافع والاستفادة . فالظباء تنقل الجن من مكان الى اخر وتعطيهم نتاجها وهي ماشيتهم وكانوا يحافظون عليها ويمنعوها من كل اذى . فاذا صادها احد امالوا عنها السهم

---

١) الحيوان ٦ / ٤٦

حتى يخطئها . او حذرتها هواتفهم للتفرق فتحتمي . واذا ادركت قبل تمكنهم من نجدتها انزلوا اشد العقوبات بالذى نالها حتى يخلي عنها .

وكانوا يسمعون الهواتف تنذرهم بالوعيد فيخافون شرهم ويخلون عنها . وهنالك طائفة من الاخبار في هذا المضمار يورد معظمها الشبلي في آكامه منها: ان رجلا من بني عقيل صاد يوما تيسا من الظباء فجاء به الى منزله فاوثقه هناك . فلما كان من الليل سمع هاتفا يقول : يافلان هل رأيت جمل اليتامى ؟ اخبرني صبي ان الانس اخذه . اما ورب البيت لان كان احدث فيه شيئا لاخذن مثله . فلما سمع ذلك جاء الى التيس فاطلقه . فسمعه يدعوه . فاقبل نحو الصوت وله حنين وارزام كحنين الجمل وارزامه (١) ولو لم يفعل ذلك لعرض نفسه الى عقاب شديد . والاعراب لا يصيدون يربوعا (٢). ولا قنفذا ولا ورلا ولا نعاما في اول الليل ولا حيوانا او حمارا زعموا مطية للجن لانهم لا يأمنون على فحول ابلهم ولا على انفسهم من عقوبة اصحابها (٣).

وزعموا ان الجن تتقاضى الظباء اثمانا كما كانوا يتقاضون ابلا : اما ديات او مهورا . جاء في قصيدة البهرانسي (٤).

وتزوجت في الشبيبة غولا بغزال وصدقتي زق خمر (٥)

فزعم انه جعل صداقها غزالا وزق خمر كما كان يدفع العرب نوقا مهرا لعرائسهم، وقد نظموا شعرا في وصف الظباء على نحو ما وصف عندهم في النوق والخيل .

---

١) آكام المرجان ١٢١ . (٢) حيوان كالخلد . (٣) الحيوان ٦ / ٤٦

٤) سبق عنه الذكر في باب " المسخ " . (٥) الحيوان ٦ / ٢٢٥

قال عبيد بن أيوب :

واجوب البلاد تحتي ظبي ضاحك سنه كثير التعرى
مولج دبره خواية مكو وهو في الليل في العفاريت يسرى(١)

كذلك وصفوا غيرها من مطايا الجن من حشرات ووحش . وانشد ابن الاعرابي لبعض الاعراب :

كل المطايا قد ركبنا فلم نجد الذ واشهى من مذاكي الثعالب (٢)
ومن عنظوان (٣) صعبة شمرية تخب برجليها امام الركائب
ومن جرذ سرح اليدين مفرج يعوم(٤) برحلي بين ايدى المراكب
ومن فأرة تزداد عتقا(٥) وحدة تبرح بالخوص(٦) العتاق النجائب
ومن كل نتلاء الذراعين حرة مدربة من عانيات (٧) الارانب
ومن ورل يختال فضل زمامه احز به طول السرى في السباسب
وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد الذ واشهى من ركوب الجنادب
ومن عضرنوط (٨) حظ بي فاتعته يبادر وردا من غطاء تورب (٩)
وشر مطايا الجن ارنب خلة(١٠) وذئب الغضا اوق (١١) على كل صاحب
ولم ارفيها مثل تنفذ برقة(١٢) يقود قطارا من عظام العناكب (١٣)

---

١) الحيوان ٦ / ٢٣٧
٢) جمع المذكي وهو المسن
٣) ضرب من العظاء وهي دويبة من مراكب الجن
٤) يعوم يسرع في سيره
٥) سبقت الخيل فتنجبت
٦) الخوص: الابل قد غارت عيونها
٧) العانيات : الطويلة الشعر . (٨) ضرب من العظاء وهي دويبة على خلقة سام الابرص
٩) جمع قارب وهو طالب الماء ليلا . (١٠) ما فيه حلاوة من المرعى
١١) الثقل والشؤم (١٢) ما غلظ في الارض وفيه حجارة ورمل وطين مختلفة
١٣) الحيوان ٦ / ٢٣٧ - ٢٤٠

ففي هذا الشعر عرض لمعظم الحيوانات والحشرات التي زعموا انها مراكب الجن وفيه اشارة الى المفضل منها لديهم ويرد الوصف فيه مماثلا لاسلوب الجاهليين في وصف مراكبهم ولكنه خرافي ٠

الفصل الثالث

تمهيد

شؤون الجن

اختص الجن بشؤون واعمال عظيمة وغريبة خارقة وفوق ما يقوى البشر على الاتيان بمثله . فقد جرت امور عجز الناس عن تعليلها : فمن بنيان عظيم حيرهم ونصر مبين ادهشهم ، وقتل زعيم اذهلهم ومجيء نبي قلب حياتهم رأسا على عقب : فنسبوا ذلك كله للجن وخصوه به وجعلوه من شؤونه كما نسبوا كل فائق جليل من الصناعات اليه ايضا .(١)

راجع عبقر ص ٢٤ من هذه الاطروحة

البنيان العظيم

اعتاد العرب ان ينسبوا كل مستطرف في البناء الى سليمان الحكيم كما نسبوا كل قديم لعاد وكل حكمة للقمان (١) . وقد تنبه القدماء من علماء العرب ، لبطل هذه المزاعم المبنية على اسس الخيال : منهم الجاحظ حيث قال : ولكنكم اذا رأيتم بنيانا عجيبا وجهلتم موضع الحيلة منه اضفتموه الى الجن ، ولم تعانوه بالفكر (٢) وكأنه يريد بقوله هذا تانيب اصحاب هذه الاخبار وحملهم على اعمال الفكر لاكتشاف الحقائق ومعرفة اسرار تلك الابنية العظيمة والاثار الخالدة التي القوها على عاتق الجن واستراحوا . واصل هذه المزاعم ، ماوردهم من اخبار عجيبة عن قدرة سليمان وما حققه من فائق معجز في عالم الحضارة والعمران . ونحن لا نستهجن هذه الاخبار من باب الاساطير ، اذ سبق لعظماء في التاريخ ان اصبحوا مع الزمن شخصيات اسطورية ومدار اخبار ومزاعم خيالية كالتي وردتنا في تاريخ العرب عن سليمان الحكيم . فقد بعثوا له الجن باذن الله مسخرين بين يديه يعملون ما يامرهم به من عظيم المباني وفائق الصناعات .

وكان شائعا ان الجن سكنوا الارض قبل أدم بزمن بعيد . ولما عاثوا فسادا وثاروا على الالهة ، ارسل الله لهم الملائكة ، فحاربتهم وشردتهم الى اطراف جزائر البحر بعد ان اسرت منهم الكثير وها نحن نراهم

---

١ . الاكليل ١١٤/٨

٢ . الحيوان ٦ / ١٨٦

يحشدون مرة ثانية عندما ناداهم جبريل ، بناء على طلب الرب قائلا : يا ايتها الجن والشياطين ، اجيبوا باذن الله تعالى لنبيه ، سليمان بن داود ٠ فخرجت الجن والشياطين من المغارات ومن الجبال والآكام والاودية والفلوات ، والآجام وهي تقول : لبيك لبيك تسوقها الملائكة سوق الراعي غنمه ، حتى حشرت لسليمان طائعة ذليلة ٠ (١)

فجعل ينظر الى خلقها والى عجائب صورها وهم بيض وصفر وسود وبلق على صورة الخيل والبغال والسباع ولهم خراطيم واذناب وحوافر وقرون ٠ فقام والخاتم باصبعه فسجدوا له طائعين ٠٠ ففرقهم بالاعمال المختلفة : من عمل الحديد ، والنحاس ، وقطع الاحجار ، والصخور ، والاشجار ، وابنية الحصون ٠ وامر نساءهم بغزل القز ، والابريسم ، والقطن ونسج البسط والنمارق ، وامر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل والجفان والقدور الراسيات ٠ فاتخذوا له قدورا من الحجارة كل قدر تأكل منها الف نسمة ٠ وشغل طائفة منهم بالطحن وطائفة بالخبز واخرى بالذبح واخرى بالغوص في البحار لاستخراج الجواهر واللالي ، وطائفة بحفر الابار والقني وشق الانهار ، وطائفة باستخراج الكنوز من تحت الارض ، وطائفة بالمعدنيات واستخراجها من المعادن ، وطائفة برياضة الخيل الصعاب ٠٠٠ ثم امر ان يتخذ له مدينة من القوارير ، لا تحجب سقوفها وحيطانها شيئا ٠ فبنوا له مدينة على طول عسكره وبنوا له قصرا رفيعا ، عجيبا ، في طول خمسة الاف ذراع ، وعرضه مثله ٠ ورصعه بانواع الجواهر وكان اذا ركب الريح على بساطه في هذه المدينة يرى كل شيء ٠٠ (٢)

---

١) تفسير الطبري ١ / ١٥٢ ٠ القزويني ٢ / ١٤٨

٢) القزويني ٢ / ١٥٦

هكذا نشاهد العجائب التي حققها الجن لسليمان بمشيئة ربه . وقد ملكه خاتم السحر، يأمرهم بواسطته فيخضعون . ويبدو ان لخاتم السحر لغزا يتسلط به حامله على الجن فيطيعون . وقد اتخذه يهود صنعاء رمزا نقشوه على بعض المساجد في البلاد وهي لا تزال الى يومنا الحاضر .(١) ويعود ذلك الى الصلة التي كانت قديما بين اليهود واهل اليمن القدماء . ولعل هذه الصلة هي مصدر العلاقات الاسطورية التي قامت بين سليمان وبلقيس ملكة سبا القديمة، فقد زعموا ان سليمان رأى ذات يوم وهجا قريبا منه . فقال: ما هذا ؟ قالوا : هذا عرش بلقيس فقال : يا أيها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين . قال عفريت من الجن : انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك .(٢)

وزعموا ان الجن لما علمت برغبة سليمان في بلقيس، وانه ربما يتزوجها فتفشي له اخبار الجن ، لان امها كانت جنية ، وربما تلد له ولدا فينقل الملك اليه فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده من بعده فاساءوا الثناء عليها .. ولكنه تزوجها بالرغم من ذلك ثم ردها الى ملكها باليمن . وكان يأتيها على الريح في كل شهر مرة ، فولدت له غلاما فسماه داود ومات في حياته ومثل هذه الاساطير شائع عند جميع الامم فان بلقيس الشخصية التاريخية التي قدمت الى ملك اسرائيل الحكيم، بعطايا طريفة، مما امتازت به ارض الجنوب لم يكن مقرها باليمن . لانه لم يظهر ملوك اليمن الا بعد عصر سليمان اى حوالي سنة الف (١٠٠٠ ق.م. بنحو مئتي سنة) .

---

١) تاريخ العرب حتى ١ / ٨١

٢) الدميرى ٢ / ١٠٧ . سورة النمل آية ٢٧ .

٣) الدميرى ٢ / ١٠٨

وقد تكون بلقيس الاسطورة ، ملكة احد معاقل سبا ومراكزها التجارية على خط القوافل ، وشمالي الحجاز .[١] وليس همنا في هذا البحث ، التحقيق التاريخي ، انما هدفنا ان نشير الى اسباب تسخير الجن لبلقيس وذريتها من قبل سليمان كما سخروا له ايضا على سبيل الاسطورة . فانهم كما بنوا له المدن والحصون والقلاع والقصور والصروح وبيت المقدس كذا بنوا لبلقيس ولذريتها من بعدها الصرح والقبب المدهشة والقصور والحمامات والحصون والقلاع .

ويذكر الهمداني طائفة من هذه باسمائها منها : حصن غمدان وبينون وسيلحين (٢) وقبة شمر بن شريه الجرهي : وهو احد ملوك حمير قيل جاء بعد بلقيس ب ١٨١ سنة وابتنى القبة لابيه المعروف بناشر النعم . قال : ائتوني ببقايا سخرة سليمان بن داود وبلقيس . فامرهم ببنائها بالكلس الازرق . واجادوا فيه الصنعة بالدهن والصقل حتى صار جبلا منيعا وصار كالمراة السجنجل ... وامر الجن تقعد حوله . ولا يدنو منه احد من الناس . ففعلوا ذلك . فمن نزل حوله ، رمته الجن . فانه لكذلك الى اليوم .[٣]

وقصر كوكبان ايضا مما ابتناه الجن لاهل اليمن . فازروه من الخارج بالفضة وما فوقها احجار بيض وداخله منطق بالعود والفسيفساء والجزع وصنوف الجواهر .[٤] وقد اشار الهمداني الى عدم صحة هذه الاخبار فيما زعموه من بناء الجن بقوله : وقد اكثر

---

١) تاريخ العرب لحتي ١ / ٥٤ حتي
٢) الاكليل ٤ . الدميرى ٢ / ١٠٨
٣) الاكليل ٢٠٩
٤) الاكليل ٢٣

الناس في بناء الجن لقصور اليمن ، وما ذلك الا من زيادات الناس في الاحاديث كما زعموا ان الجن كانت تأتي جماعة من ملوك اليمن بفواكه بلاد الهند رطبة في غير اوانها .[١] وقد شاعت بين العرب مهارة الجن في صناعة البناء وتفننهم في هندسته وحذقهم في زخرفته وترصيعه حتى اصبحوا كلما شاهدوا بناء اثريا عظيما نسبوه اليهم . وحملوا معهم هذه المزاعم الى الاندلس . حتى قالوا في المائدة الثمينة المرصعة بالجواهر الكريمة ، التي غنمها موسى بن نصير من كاتدرائية طليطلة ، انها مما صنعه الجن لسليمان ، اغتصبها الرومان من الهيكل في اورشليم وحملوها معهم الى رومة حيث اخذها القوط منهم الى اسبانيا .[٢] ومما زاد في ذيوع هذه الاخبار ما قاله الشعراء في سليمان والجن : ومعظمه اما على سبيل التشبيه كما قال النابغة :

الا سليمان اذ قال الاله له : قم في البرية ، فاحددها عن الفند

وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد[٣]

او على سبيل العبرة كما قال الاعشى :

"لو كان شيء خالدا ومعمرا لكان سليمان البريء من الدهر

براه الهي واصطفاه عباده وملكه ما بين الثريا الى مصر

وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر[٤] ".

---

١) الاكليل ٢٥ .

٢) Hitti . The History of Syria 487

٣) من معلقة النابغة في الزوزني . الديوان صفحة ٢٨ .

٤) ديوان الاعشى الكبير .

اعمال السحر والكهانة

شاع السحر عند جميع الشعوب منذ اقدم العصور[١] ويعلله معظم العلماء قديما وحديثا ، بانه ميل طبيعي في الانسان يحدوه لان يدرك المعجزات، ويشاهد ابعد من الواقع . ونعتقد انه كان من العوامل الاساسية التي حملت الانسان على تحقيق المعجزات في عالم الاختراع والابداع في العصور المتاخرة ولقد قرنوا السحر قديما بالارواح الخفية والنجوم والكواكب وربما توصل الانسان الى ان يسيطر عليها عن طريق العلم والتجربة .

واذا تصفحنا اخبار القدماء من مختلف الشعوب نجدهم حاولوا التغلب على القوى الطبيعية المختلفة عن طريق السحر . فعالجوا الامراض، وكيفوا الرياح واستمطروا السحاب وحولوا العناصر، واحيوا الاموات وكله بالسحر . (٢) ولئن نحن انكرنا السحر فلا يمكننا انكار شعور الانسان بوجود قوى خارقة غير مرئية بالعين المجردة تسير الكون وتسيطر عليه وفقا لقاعدة ثابتة معينة . ولا يمكننا فصل السحر عن الدين فمنذ فتح الانسان عينيه وتنبه الى ما حوله في الكون واخذ يعمل في حل الغاز ما عجب له من محتوياته . فانه ما من نبي اومن به الا وقد حقق معجزات سحرية ليثبت نبوته ويحمل الناس على الاذعان لخارق مقدرته التي يتفوق بها عن الجميع . فالسحر قوة من السماء مقصورة على

---

١) تراجع Mythologie Générale P I - 5

٢) يراجع Golgen Bough II - 60

المختاريـن من بنـي الانسـان • وقـد نسبوا السحر قديما للمـلائكة • فان اقـدم اخبار السحره تصلنا عن هاروت وماروت وهما من الملائـكة كما تزعم الاساطير البابلية القديمة بيد ان المصادر العربيـة تنفـي ذلك عنهما وتعتبرهما ساحريـن كانا يحكمان بين الناس وليسـا من الملائكـة لان الملائكة لا يعلمون السحر • [١] ويبـدوا ان العرب فـي جاهليتهم اقتبسوا السـحر عـن الكلـدانيـن كـما اقتبسوا علـم النجوم ايـضا • [٢] ومارسوه فلما جاء الاسـلام ابطـل السحر ونفـى ما زعموه من سلطـان هاروت وماروت في عـالم الروحانـيات ونسبـه الى الشـياطيـن لان فيـه شرك يتنافـى وعقيدة التوحيد في الاسـلام • [٣] فاعمال السحرة هـن وحـي الشيطان اما الانبياء والرسـل فمن وحي الله عـز وجـل الذى كله خير • وعلى هذا الاساس فرق ابـن خـلدون بين النبوة والسحـر بـقوله : " ان النبي مجبول على افعـال الخير مصروف عـن افعـال الشر فـلا يلم الشر بخوارقـه والساحـر على الضـد فافعـالـه كلها شر • [٤]

ولا نظـن ، بالنسبة لما تبيناه عن العرب واخبارهم في السحر انهم توصلوا الى ما توصـل اليه الهنـود من الحذق فـي هذه الصنـعة • انما اشتهروا بالكهانة والقيافة والعرافـة والفأل والطيرة والفراسـة والنوم والرؤيـة وهي قريبة من السحـر وفنونـه ، اهمها الكهانـة • وهـي كما يعرفها الالوسـي : " ادعاء علـم الغيـب ، كالاخبار بـما سيـقع في

---

١) الدميرى ٢ / ١٩

٢) تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي زيـدان ١٧٣ ، ١٧٤

٣) تـراجع سورة البقـرة ١٠٢ — ١٠٤

٤) مقـدمة ابـن خلـدون ٢٨

الارض مع الاستناد الى سبب. والاصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في اذن الكاهن ... والكهنة قوم لهم اذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فالفتهم الشياطين لما بينهم من تناسب في هذه الامور ... والكهانة على اصناف:

١- منها ما يتلقونه من الجن ؛ فان الجن كانوا يصعدون الى السماء فيركب بعضهم بعضا الى ان يدنو الاعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه الى الذي يليه الى ان يتلقاه من يليه في اذن الكاهن فيزيد فيه.

٢- ما يخبره الجني من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الانسان غالبا ...

٣- ما يستند الى ظن وتخمين وحدس؛ وهذا قد يجعل الله تعالى فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

٤- ما يستند الى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك.(١)

اما ابن خلدون فيرى ان الكهانة في خواص النفس الانسانية التي لها استعداد للانسلاخ من البشرية الى الروحانية. والكاهن لا يقوى على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان.(٢) فالكهانة اذا هي استخدام الجن والشياطين في معرفة الامور المغيبة. فكان لكل كاهن صاحب من الجن يحضر اليه فيخبره بما يريده. ويعرف الكهان والعرافون وغيرهم ممن يسخرون الجن والشياطين بالمعزومين. فاذا قال الناس: [illegible] يشيرون الى انه اذا

---

١) بلوغ الارب ٢/ ٢٦٦ - ٢٧٠

٢) مقدمة ابن خلدون ١٠١

عـزم على الشياطين والارواح والعمار اجابوه واطاعوه • وهم يعرفون ايضا باصحاب العزائم • وقد اجمع هؤلاء العدد والقوة في الجن والشياطين النازلة الشام والهند وان عظيم شياطين الهند الذى كانوا يعتمدون عليه في الامور الصعبه ، يقال له تنكوير وعظيم شياطين الشام يقال له دركزاب (١) وهما ملكان عظيمان قادران على تسخير الجن لصاحب العزيمة • وكان لاجابة العامر (٢) للعزيمة شروط يعرفها اصحاب هذه الصناعة • فالارواح لا تتلبس البدن اذا لم يصلح ان يكون له هيكل ولا تستطيع دخوله ، والحيلة في ذلك ان يتبخر باللبان الذكي ويراعي سير المشترى ، ويغتسل بالماء القراح • (٣) ويدع الضجاع واكل الزهومات (٤) ويتوحش في الفيافي ، ويكثر دخول الخرابات حتى يرق ويلطف ويصفو ويصير فيه مشابهة من الجن ؛ فان عزم عند ذلك ، فلم يجب فلا يعودن لمثلها فانه ممن لا يصلح ان يكون بدنه هيكلا لها ومتى عاد خبط (٥) فربما جن او ربما مات • (٦) وجاء في عجائب المخلوقات ان مرارة الاسود ومرارة الدجاجة السوداء اذا جففتا وسحقتا واكتحل بهما مع الكحل ظهر له الجن وخدموه ، قال : وهو مجرب (٧) وكان الناس يقولون : ان الساحر لا يكون ماهرا حتى ياتي بالفلفل الرطب من سرنديب (٨) مما يدل على ان اهل هذه الصناعة من العرب انما اقتبسوها عن الهنود الذين اشتهروا بها قديما ولا يزالون • وكانوا يزعمون ان الانسان . . .

---

١) الحيوان ٦ / ٢٣١ • (٢) يقصد به الجن او الشياطين او الروح المسخر
٣) الذى لم يخالطه شيء • (٤) ريح اللحم السمين المنتن
٥) اي خبطه الشيطان باذى • (٦) الحيوان ٦ / ١٩٩
٧) القزويني ٢ / ٣٢ • (٨) غاب وهو كثير الوحوش في الهند • الحيوان ٦ / ٢٨١

يتكهن باسرار الغيب في حالات خاصة : منها عند مفارقة الروح الجسد . " فقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا في سجونهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموهم بما يستبشع . ومن الامور المجربة عندهم ان الادمي اذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون راسه فيخرج من ذلك الدهن . فحين يجف عليه الهواء يجيب عن كل شيء يسال عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة . وهذا فعل من مناكير افعال السحرة .لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني .

ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة . فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا باماتة جميع القوى البدنية ثم محو اثارها التي تلونت بها النفس ثم تغذيتها بالذكر لتزداد قوة في نشئها . ويحصل ذلك بحصر الفكر وكثرة الجوع . ومن المعلوم على القطع، انه اذا انزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على عالمها وذاتها ، فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده ، وتطلع النفس على المغيبات[1] ويذكر ابن خلدون ان هذه الرياضة شائعة خصوصا في بلاد الهند ويسمون هناك بالحوكية .

اما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك الخيالي الحسي — وليس لهم ذلك الاتصال بالجن [2] " فيسلطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه

---

١) مقدمة ابن خلدون ١٢ . (٢) الحيوان ٦ / ٢٠٤

ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ! ويدعون بذلك معرفة الغيب . وليس منه على الحقيقة تحصيل هذه الامور [١] فابن خلدون ينفي هذه المزاعم في صلة الجن والارواح بالكهان والعرافين ويحاول تفسيرها تفسيرا علميا صحيحا . ولكن من المؤلفين من يؤمن بها ومنهم من يرويها كما وصلت اليه من اخبار القدماء دون ابداء رأي خاص فيها ودون تعليل . وهم بذلك يطلعوننا على ايمان العرب بالكهان واشباههم ويبينون لنا مكانة الكاهن عندهم . فقد كانت منزلة الكاهن عندهم عظيمة فكانوا يستشيرونه في حوائجهم ويحتكمون اليه في خصوماتهم ويستطبونه في امراضهم ، ويستفتونه في حل مشاكلهم ، ويستفسرون منه رؤاهم كما كانوا يفزعون اليه في تعرف الحوادث إدراك الغيب . وقد اشتهرت الكهانة عندهم منذ القدم ووردت فيها اخبار كثيرة منها ما يتعلق بعرب الجنوب [٢] ومنها بعرب الشمال ، ولكن معظمها يرجع الى العصور الجاهلية . وما ورد منها في الاسلام [٣] فله صلة وثيقة به وقد نسبوه للملائكة وليس للجن والشياطين اذ ان العقيدة كما بينا سابقا تنفي عقائد الجاهليين فيما زعموه من امرهم .

" قال ابن اسحق عن نفر من الانصار ان الرسول الله (صلعم) ، قال : ان الله تبارك وتعالى ، كان اذا قضى في خلقه امرا سمعه حملة العرش

---

١) مقدمة ابن خلدون ٩١

٢) يراجع الاكليل ٦٩ — ٢١٢

٣) تراجع السيرة ١ / ١٥ و ١٦٠ و ٤ / ٢٤ . بلوغ الارب ٣ / ٢٨١ . المستطرف ٢ / ٩٩

فسبحوا ، فسبح من تحتهم ، فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبح ، ثم يقول بعضهم لبعض : مم سبحتم ؟ فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم ... فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي كان فيهبط به خبر من سماء الى سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا ، فيتحدث به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهم واختلاف ثم ياتون به الكهان من اهل الارض فيحدثون به فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا . ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة (١) هكذا وقف الرسول في مصدر التكهنات بانها اخبار من السماء تتناقلها الملائكة فتسترقها الشياطين وتبلغها الكهان . فما تنبوءاتهم الا من وحي الشياطين وقد رماهم الله بالشهب فاحترقوا فلا كهانة قط بعد الاسلام . ويقصد بهذه الديباجة على ما نعتقد ، امران : الاول اثبات التكهنات التي تنبات بمولد الرسول وكل الحوادث الهامة المتعلقة بالاسلام ، والثاني ابطال الكهانة وتسفيه الايمان بها وبالجن والشياطين الذين كانوا يكبرون قبل الاسلام ، مما كان له لصوق بالوثنية الجاهلية اذ كانوا يعتقدون ان الجن تدخل الاصنام وتخاطب الكهان بما تاتيهم به من خبر السماء . واشهر هذه الاماكن التي كانوا يسمعون من اصنامها كلام الجن :

---

١) السيرة ١ / ٢٢٠

١ـ رئام: "كان بيتا لحمير بصنعاء، يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح، وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه".

٢ـ العزى: "وكانت بواد بنخلة الشامية يقال له حراض، فبنوا عليها بيتا كانوا يسمعون فيه الصوت. وكانت أعظم الاصنام عند قريش"[1]. هدمها خالد بن الوليد [2].

٣ـ والضمار: "وهو وثن كانوا يعبدونه في الجاهلية ويكلمون من جوفه: وهو الذى سمع من جوفه عباس بن مرداس شعرا يدعوه فيه الى اخبار القبائل ان "الضمار" قد هلك لان الرسول جاء بالنبوة والهدى. فمضى مرعوبا الى الرسول واسلم هو وقومه" [3].

٤ـ ناجر: "وكان صنما بارض عمان بقرية تدعى السمائل. سمع منه مازن الطائي هتافا يدعوه به الى الهداية والايمان بالله ورسوله، فقصد الرسول بمكة واسلم" [4].

وكان اشهر الكهان عندهم: شق وسطيح وعبد المسيح بن نفيلة الغساني وخنافر وسواد وابلق الاسدى والاجلح الزهرى وعروة بن الاسدى وعراف اليمامة. [5] ومنهم من جاء قبل الاسلام ومنهم من ادركه. ومن الكواهن — وقيل انه كان لهن اتباع اطلب واطوف من اتباع الكهان [6] طريفة، كاهنة اليمن في الحكم وسلمى الهمدانية، وعفيراء الحميرية وفاطمة الخثعمية وسجاح التميمية وزرقاء اليمامة وزبراء

---

١) الاصنام ١٠، ١١
٢) السيرة ٤ / ٧٩
٣) السيرة ٤ / ٦٩، آكام المرجان ١٢٠
٤) آكام المرجان ١٢١
٥) يراجع الحيوان ٦ / ٢٠٤، مقدمة ابن خلدون ٩٤
٦) الدميرى ١ / ١٩٦، بلوغ الارب ٣ / ٢٩٦ — ٢٩٨

الكاهنة ، وجهينة ، باهلة ، وكاهنة بني سعد ، وحازي جهينة وغيرهن .
وقد وردت في تكهناتهن اخبار يضيق فيها المجال [1] وكان للكهان
عادات وخصائص تميزوا بها عن غيرهم . "فالكاهن كان لا يلبس المعصفر ،
والعراف لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه والحكم لا يفارق الوبر" [2]
كذلك كان لكل طبقة من الناس لباس خاص وزي معين يعرفون به .

وكان للكهان اسلوب خاص في الكلام عرف "باسلوب الكهان" يرددونه
اسجاعا قصيرة يعتمدون فيها اللغز والابهام والاشارة والتلميح وذلك
اما تهويلا للامر العظيم الذي يتكهنون به او تمويها على السامعين حتى
اذا لم تصدق تكهناتهم في امر امكنهم تفسيرها بتأويل آخر . وقد استثقل
الجاحظ اسلوبهم هذا لما فيه من التكلف والصنعة واستثقله الناس
لانه ليس طبعا بالنفس [3] وانا وان اقررنا ان معظم اخبار
الكهان عرضة للنقد وموضع للتجريح وايقنا ان السحر فعل شعوذة
وتضليل لا يمكننا ان ننكر وجودهما عند العرب وغيرهم ولا ان
نفقد الرغبة في الاطلاع على هذه الناحية الوهمية من تفكير
الانسان وتصوراته .

---

١) تراجم المسيرة ٤ / ٢٤
٢) البيان والتبيين ١ / ٢٨٩ ، مقدمة ابن خلدون ٩١ – ٩٤ ،
بلوغ ٣ / ٣٠٢ ، المستطرف ٢ / ٩٩ – ١٠١ ، الدميري ١ / ١٩٥
٣) البيان والتبيين ١ / ٢٨٦ ، ١ / ٦٦

خوض المعارك

ذكرنا في باب "الخير والشرير من الجن "(١) في هذه الاطروحة
ان الاسلام شاء طمس الاخبار المتعلقة بفضائل الجن ، خوفا من
تذكير العرب بالجاهلية واثارة حنينهم الى ما الفوا اكباره وعبادته فيها •
فجاءت المصادر العربية خلوا من مآثر الجن ومناقبهم المتعلقة بذلك العهد •
فليس من الطبيعي ان يتقاعس الجن عن مناصرة الانس المستجيرين
بهم في وقت الشدة ، وهم القادرون على كل خارق عجيب • فكيف يقفون
حياديين ازاء العرب في غزواتهم وحروبهم ؟ وقد علمنا ان احدهم اذا عبر
فلاة موحشة ، وتوجس فيها شرا ، استجار بهم ، فحموه من كل مكروه ؟ فكيف
لم يشركهم في معامعه ، ويستنصرهم على اعدائه ، في ظروف اشد ضنكا
عليه ، وابلغ خطرا من اجتيازه فقراء ؟ لا شك ان الجن لعبوا دورا هاما
في تلك الناحية الحربية في حياة العرب قبل الاسلام • ولئن كانت الاخبار
الجاهلية قد خلت من اعمال الجن فباستطاعتنا استشفافها مما ورد من
قبيلها في الاسلام • فقد جعل الاسلام الجن فئتين : دعا التي ناصرته ،
وايدته في الجهاد ، بالملائكة ، والتي اعانت المشركين عليه بالشياطين •
فمرشد المؤمنين وقائدهم هو جبريل ومرشد الكافرين وقائدهم هو
ابليس • قال صاحب الاغاني عن ابن اسحق (٢) عن احد المشركين
انه اقبل هو وابن عمه حتى صعدا في جبل يشرف بهما على بدر (٣)

---

١) عبادة الجن ص ٥٢ من هذه الاطروحة
٢) صاحب السيرة المفقودة التي روى عنها ابن هشام
٣) على بعد عشرين ميلا الى الجنوب الغربي من مكة حيث جرت وقعة بين
الرسول واهل قريش ١٦ اذار سنة ٦٢٤ م •

ليشاهدا على من تكون الدبرة (١) اعليهم ام على المؤمنين . فبينما هما في الجبل ، اذ دنت بهما سحابة ، فسمعا فيها حمحمة الخيل ، وسمعا قائلا يقول : اقدم حيزوم (٢) ! اما ابن عمه فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما هو فكاد يهلك ، ثم تماسك . (٣) فنرى من هنا ان جبريل بنفسه يقود رهطا من الملائكة يشتركون مع المسلمين في القتال لنصرهم . وروى ان المؤمن كان يتبع رجلا من المشركين يوم بدر ليضربه فيقع راسه قبل ان يصل اليه . (٤) اما اعداؤهم فياتيهم ابليس ، في الموقعة ذاتها ، بصورة سراقه بن جعشم (٥) فيخللهم حتى يحملهم على قتال يعود عليهم بالغلبة (٦) وترد طائفة مثل هذه الاخبار في سيرة ابن هشام تصور الارواح الخيرة التي ازرت الرسول واتباعه ، تارة بصور رجال بيض ، على خيل بلق ، بين السماء والارض (٧) وطورا بشكل نمل اسود يهبط من السماء فيملا المكان ، وفجاءة ينهزم المشركون (٨) وفي بعض الاحيان كان جبريل والملائكة يسبقون الرسول الى اعدائه فيزلزلونهم قبل ان يصل المؤمنون اليهم . (٩)

---

١) العاقبة
٢) اسم فرس جبريل
٣) الاغاني ٤ / ١٩٨ دار الكتب
٤) الاغاني ٤ / ١٩٨ دار الكتب
٥) من اشراف بني كنانه من مكة وكانت قريش تخشاه
٦) الاغاني ٤ / ١٧٥ دار الكتب
٧) السيرة ٢ / ٣٠١
٨) السيرة ٤ / ٩١
٩) السيرة ٣ / ٢٤٤

ولا غرابة في هذه الاخبار ، لانـه لكـل دعوة سماويـة ، معاضـدة من الله وقد، احرز المسلمون انتصارات مـدهشـة مـما حمـل الناس على الاعتـقاد بانـها كانـت بفـضل الارواح الخـيرة التي مـالت الى جانـب الحـق ودعـاتـه ٠

x

قتل الاعيان

اعتاد العرب نسبة الكثير مما جهلوا امره الى الجن . من ذلك مصرع بعض وجهائهم الذين اغتيلوا ولم يعرف غرماؤهم . فقد حكي ان عباس بن مرداس السلمي ، وحرب بن اميه[1] وهما رجلان من وجهاء قريش عاشا قبل النبي بجيل - قتلهما الجن لانهما احرقا شجر القرية . فقد وجدهما الناس مخنوقين فاتهموا الجن[2] لان هواتفهم ارشدتهم الى قبر حرب بشعر قالوه :

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر[3]

قالوا : ومن الدليل على ان هذا من شعر الجن ان احدا لا يقدر ان ينشده ثلاث مرات متصله من غير تتعتع[4] ؛ نضيف الى هذا، انه لا يفهم من معناه مكان القبر بالضبط ، وهذا من تضليلات الجن . ومن الذين قتلهم الجن علقمة بن صفوان ، وكان من وجهاء قريش واغنيائهم في الجاهلية . زعموا انه خرج ذات ليلة على حمار ، يريد مالاً ومعه سوط . فاذا بشيء يدور ومعه سيف وهو يقول :

علقم انك مقتول   وان لحمك ماكول

فقال علقمة :

شق مالي ولك   تقتل من لا يقتلك

اغمد عني منصلك

ولكن الشق وثب عليه ، فضرب كل واحد صاحبه فخرا ميتين .[5]

---

١) هو اميه الاكبر . جد الاسرة الاموية كما يعرفه صاحب العقد
٢) الحيوان ١ / ٢٠٢ . ٦ / ٢٠٨
٣) الراغب ٢ / ٢٨٠ . اكام المرجان ١٣٧ . الحيوان ١ / ٢٠٢
٤) اكام المرجان ١٣٧
٥) الراغب ٢ / ٢٨٠

وزعموا في الاسلام ان الجن قتلت سعد بن عبادة بن دليم . وكان سيد الخزرج [(١)] من اشراف قريش اسلم وسعد الاوس [(٢)] فكان اسلامهما نصرا للرسول . قيل سمع قبيهما هاتفا من الجن يقول :

فان يسلم السعدان يصبح محمد ... بمكة لا يخشى خلاف مخالف

ايا سعد ، سعد الاوس كن انت ناصرا ... ويا سعد ، سعد الخزرجين الغطارف

اجيبا ، دعا داعي الهدى وتمنيا ... على الله في الفردوس ذات رفائف [(٣)]

ولما كانت بيعة ابي بكر تخلف سعد بن عبادة [(٤)] وكان قد ترك المدينة الى ارض الشام ولم يرجع اليها . ولما تفقدوه سمعوا هاتفا من الجن يهتف :

قد قتلنا سيد الخز ... رج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين ... فلم تخط فؤاده

فوجدوه ميتا في حوران . قيل وقد قتل فيها حين سمعوا اعلان الجن بذلك في مكة . [(٥)]

وقتلوا ايضا الغريض خنقا لانه غنى بالغناء الذى نهوه عنه . [(٦)]

والظاهر ان الجن كانت تسبق معرفة الوفيات وان لم تكن هي مسببتها . فقد نعت للعرب على السنة الهواتف شعرا ، وفاة عدد كبير من وجهائهم وزعمائهم قبل حدوثها بايام . منهم :

---

١) قبيلة من قريش
٢) قبيلة من قريش . وسعد من اشراف قريش ايضا .
٣) آكام المرجان ١٣٦
٤) يروى صاحب العقد في العسجدة الثانية ان عمر بن الخطاب ارسل له رجلا يستقدمه من الشام لمبايعة ابي بكر فرفض فقتله كما امره عمر .
٥) الحيوان ٦ / ٢٠٨ . الراغب ٢ / ٢٨٠ . آكام المرجان ١٣٦ و ١٣٧
٦) الحيوان ٦ / ٢٠٨

عبدالله بن جدعان . وكان من وجهاء قريش واغنيائها اشتهر بالجود والعطاء . كان في ابتداء امره صعلوكا شريرا ، فطرده ابوه ، فنزل في شعاب مكة حائرا يتمنى نزول الموت به ، فدخل شق جبل . وهناك عثر على كنز عظيم ، كان سبب غنائه وتبديل حاله . فعاد الى ابيه ، واخذ ينفق ويطعم ، ويعطي بدون حساب . ولكنه مات ولم يسلم . فلما نعاه الجن بكاه مساكين مكة باجمعهم .(١) ونعوا ايضا ابا عبيده القائد الشهير قبل وفاته بايام . ورثوا عمر بن الخطاب قبل مصرعه بثلاثة ايام وناحوا على عثمان بن عفان قبل اغتياله ايضا واعلموا الناس بوفاة علي بن ابي طالب قبل حينها . كذا ناحوا على الحسين ، واخبروا بوفاة عمر بن عبد العزيز ، وهارون الرشيد ، وابي حنيفه (٢) والمتوكل ، قبل وقوعها .(٣)

وكل هذه الاخبار ، موضع للشك ، ولكننا اشرنا في بداية هذا الفصل ان كل ما فيه غموض وحيره قد رد اليهم .

---

١) آكام المرجان ١٤٠ ـ ١٤٢

٢) صاحب المذهب

٣) آكام المرجان ١٤٢ ـ ١٥٢

التبشير بولادة العظماء

كما انبأ الجن بوفاة الزعماء والابطال قبيل اوانـــها فقد بشروا بولادة من احدث احداثا هامة في تاريخ العرب . ونلاحظ ان حياة الابطال لا تخلو من صلة بتلك الارواح القادرة على التعجيب، لان شخصية اولئك وما تنطوي عليه من نبوغ وتفوق كانت موضوع اعجاز للعرب فكان من الطبيعي ان ينتهي فيه الى تعليل منسوب للجن . وقد وردت ايضا اخبار كثيرة تتعلق باحداث عظيمة عقد بها الجن منذرين القوم باهميتها .
منها انذارهم عرب الجنوب بوشوك انهيار سد مأرب[1] وزوال ملك عمرو بن عامر الحميري . وارشادهم عبد المطلب لحفر بئر زمزم [2] فكأنهم يعلمون ما لا يعلمه الانسان في وقوع كل ما سيكون له شأن عظيم . او على الاصح نرى الناس ينسبون اليهم هذه التكهنات تعظيما لتلك الحوادث واستكبارا لها . فعلى هذا الاعتبار ان لكل نبي او عظيم صلة بهـم . اذ تكهنوا بولادته او انبأوا بعظمته واخبروا بما سيحققه من امر جليل والناس غافلون لانهم لا يدركون اسرار الغيب كما يدركه الجن . فقد علموا ان اسماء[3] بنت المهلهل ستلد شاعرا عظيما وهو عمرو بن كلثوم؛ فوثقوا بامها الا تقتلها كما امرها المهلهل ان تفعل . وبينما كان نائما

---

١) الاكليل ٢١٧ . مجمع الامثال ١ / ٢٤٢

٢) راجع الخبر في باب الهواتف ص ٣٦ من هذه الاطروحة

٣) وقيل ليلى

هتف به هاتف من النوم يقول له :

كم من فتى مؤمل ... وسيـــد شمردل(١)

وعـدد لا يجــــهل ... فـي بطن بنت مهلهل

فلما استيقظ عرف انها لم تقتل ، وعدل عن عزمه ورباها حتـى كبرت ، فتزوجها كلثوم بن مالك . فلما حملت بعمرو اتاها آت في المنام فقال :

يا لك ليلى من ولد ... يقدم اقدام الاسد

من جشم فيـه العدد ... اقول قـولا لا فنـد

ولمـا ولـدت عمرو اتاها ذلك الآتي فقال :

انا زعيم لك ام عمرو ... بماجد الجد كريم النجر(١)

اشجع من ذي لبد هزبر ... وقاص آداب(٣) شديد الاسر

يسودهم في خمسة وعشر

فكان كما قال : سادهم وهو ابن خمس عشرة ومات وله مئة وخمسون سنة.(٤)

واهم ما ورد في هذا الموضوع ما حدث ليلة مولد الرسول :

" ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة . [illegible]

سلمت . وفي الوقت ذاته غاضت بحيرة ساوة ، [illegible] ، ولم

---

١) وهو الفتى السريع من الابل وغيرها الحسن الخلق

٢) ترد في بلوغ الارب " نجر "

٣) ترد في بلوغ الارب " وقاص اقران "

٤) الاغاني ٩ / ١٨١ ، ١٨٢ بولاق . بلوغ الارب ٢ / ١٤١

يجر الماء في بحيرة طبرية ، وخمدت بيوت النيران في فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بالف سنة ... ورأى الموبذان[1] رؤيا ثالثة : فقد رأى ابلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، وقد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلاد فارس .. فقلق الملك ، ولم يدر تفسير كل ذلك ، فارسل الى عامله في الحيرة ، فبعث اليه عبد المسيح بن بقيلة الغساني[2] الذي عجز عن تأويلها . ولكنه ارشد كسرى الى خاله سطيح[3] في الشام . فاوفده كسرى اليه ليستوضحه التأويل .

ولما قدم على سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكلمه فلم يرد عليه . فقال عبد المسيح :

اصم ام يسمع غطريف اليمن   يا فاصل الخطة اعيت من ومن
اتاك شيخ الحي من آل سنن   ابيض فضفاض الرداء والبدن

فرفع اليه سطيح رأسه وقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، جاء الى سطيح ، وقد اوفى على الضريح . بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان : رأى ابلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت في الواد ، وانتشرت في البلاد . ثم قال : يا عبد المسيح ، اذا ظهرت التلاوة ، وفاض وادي السماوة ، وظهر صاحب الهراوة[4] . فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منها ملوك وملكات ، عدد شقوط الشرفات ، وكل ما هو آت آت . ثم انشده شعرا في حدثان الدهر وتقلب الايام .

---

١) فقيه الفرس وحاكم المجوس
٢) من الكهان المشهورين في الحيرة
٣) من اشهر كهان زمانه
٤) يقصد الرسول

فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره ما قاله سطيح قال كسرى : الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا يكون امور . فملكوا كلهم في اربعين سنة .(١) وروى ايضا عن ربيعة بن نصر ملك اليمن انه راى رؤيا هالته . فبعث الى شق وسطيح يستقدمهما لتفسيرها ، فاخبراه بمجيء الرسول في مكة .

وسئل سطيح : انى لك هذا العلم ؟ فقال : لي صاحب من الجن ، استمع اخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى منه موسى . فهو يؤدي الي من ذلك ما يؤديه .(٢).

فنعلم ان الجن هي التي توحي الى الكهان وان لم تتصل مباشرة للناس ـ بمعظم الامور من ولادة نبي او زوال ملك او فتح عظيم الى ما هنالك من الاحداث الهامة . فهي كذلك توحي الى الكاهن الذي قدمت اليه هند بنت عتبه ام معاوية ـ ببراءتها عندما اتهمها زوجها الفاكه بن المغيرة . فخرجت مع ابيها وخرج زوجها في جماعة من بني مخزوم حتى اتوا الكاهن . فلما سألوه اجابة انه ثمرة في كمره . فقالوا له بين اكثر من هذا . فقال : حبة بر في احليل مهر . فقالوا : صدقت . ثم نظر الى هند فيرانها قائلا : انهضي غير رسحاء ، ولا زانية ، وستلدين ملكا اسمه معاوية .(٣) فليست هند زانية . ولا معاوية ابن زناء ، انما هو ملك عظيم تبشر الجن ، على لسان الكاهن ، بعلو شأنه ، وهو لا يزال جنينا في احشاء امه .

---

١) تاريخ الطبري ٢/ ٩٩ . المستطرف ٢/ ٩٩ . مقدمة ابن خلدون ٩٩ . بلوغ الارب ٣/ ٢٦٩ .

٢) السيرة ١/ ١٥

٣) شرح نهج البلاغة ١/ ١١١ . مقدمة ابن خلدون ٩١

مما نلاحظ في هذه التكهنات الدراية والاناة ثم مطابقة الانباء لمقتضى الحال . فنرى ان هاتف ليلى ام عمرو كلثوم كان شاعرا لما خاطب به ليلى من كلام منظوم .

وفي الاحداث التي جرت ليلة مولد الرسول كان المبلغ فيها ملكا عظيما وهو كسرى ليلبق بالبشارة بنبي عظيم . اما الكاهن الذى اول الرؤيا فكان ميتا وعاش . والعجيبة فيها شيء من الدراية والاناة قالوا : فهو قد احتضر ليقبل التصديق الخبر .

ونحن اذا تصفحنا الكثير من كتب الدين ومصنفات الاساطير وجدنا ما لا يعد ويحصى ، من هذه الاخبار عند جميع الشعوب دون استثناء .

البـــاب الثانـــي

الجنس في الأدب

الفصل الاول

الجن في الشعر العربـــي

التمهيد

الادب والفن ظاهرتان من ظواهر ابداع الانسان ونبوغه • وليس باستطاعة كل فرد التحليق في ميدانيهما • فقد خص الله بالمواهب جماعة قلة ، في كل عصر ، وعند كل امة ، يدهشون الناس بما ينتجونه من رائع شعره او ساحر نغم ••• الى ما هنالك من بنات العبقرية والالهام • ولقد شغل الناس، من قديم الزمان ، في الكشف عن مصدر الالهام الادبي عند ذويه • فنسبوه الـى قوى روحية خارقة ، تبث في نفس المختارين من بني البشر ، الهاماتها ، فيترجمونها عنها ، آيات ساحرة في الفن والجمال •

وكان لليونان القدماء آلهة عرفت ب Muses نسبوا اليها كل وحي فني واعتبروها مصدر كل الهام ، وجعلوها صحابة[1] ابولون[2] الذى كان يعتبر عندهم ملهم الوحي للرسل والانبياء ، بالاضافة الى ما اشتهر به من خوارق المقدرة ومعجزات العآتي • فقد رفعوا العبقرية الفنية الى مستوى الوحي والنبوة ، وزعموا ان آلهة الشعر كانت في بادئ امرها حوريات الينابيع والجداول – [illegible] – ثم صارت ، مع الايام ، ربات الذاكرة[3] ، وتطورت حتى اصبحت آلهة الوحي الشعرى وسائر الفنون الجميلة • وقد عرفت باسماء مختلفة ، خص كل منها بفن من الفنون ، منها ما يوحي الموسيقى ، ومنها ما يوحي الشعر ، ومنها ما يوحي الكوميديا ، ومنها ما

---

١) استعملناها بمعنى رفاق ملازمين • (٢) قيل ان ابولون هو هبل عند العرب عبدوه في جاهليتهم. Mythologie Generale p. 105 (٣) Mythologie Generale p. 109

يوحي الخطابة ... وعبدت وجعلت لها هياكل خاصة ، واقيمت لها ، في مواسم خاصة ، مهرجانات شعرية ، تبارى فيها الشعراء اكراما لها ، متوخين ارضاءها بما يقدمونه لها من رائع انتاجهم ، كي تمنحهم اقرار الملأ لهم بالتفوق والابداع (١) . وانه لتتبادر الى الذهن صورة مشابهة مما اعتاده العرب في جاهليتهم ، في سوق عكاظ وغيره ، يتبارى فيها شعراؤهم وتكتب روائعهم بماء الذهب وتعلق على استار الكعبة (٢) . ولا نعتقد اننا مخطئون اذا قلنا ان العرب اجلوا الشعر ، ومجدوا الشعراء ، وعظموا المواهب ، واقروا وجود قوى روحية تفضل الموهوبين وتخصهم دون غيرهم بالنبوغ ، فكان من ذلك ان تكتبوا روائع قصائدهم بماء الذهب ، وعلقوها على استار الكعبة ، في اعمال المقدس عندهم لانهم يعترفون بفضل الالهة فيما اوحته اليهم ، فيقدمون لها ما هو حق ان يعود اليها . ولقد شاع عند العرب ، منذ اقدم عصور جاهليتهم ، ايمانهم بالجن ، واتباعهم اياهم حتى العبادة ، حتى انهم اعتبروهم مصدر نبوغ شعرائهم ومنبثق وحيهم (٣) . ونحن نعلم ما كان للشاعر من مكانة مرموقة عند العرب ، فلا غرابة ان يجل باجلال الارواح المتصلة بعبقريته ، لا سيما وقد عبد العرب تلك الارواح المعروفة بالجن مع سائر آلهتهم . ولكن هذه المعتقدات كانت عرضة لتطورات البيئة ومؤثرات العصور . وسيتجلى لنا في الفصول التالية ، تطور النظرة الى صلة الجن بالشعراء في شتى مراحل الادب العربي وفقا لتطور الفكر ومؤثرات الاوضاع الاجتماعية .

---

١) Mythologie Generale P.108-110.

٢) السيوطي ، المزهر ٢/ ٢٤٠

٣) رسائل ابي العلاء ١٠٥

الجن في الشعر الجاهلي

الجن والهام الشعر

شاع عند العرب في جاهليتهم انه كان لكل شاعر شيطان يوحي اليه الشعر ويقوله على لسانه[١] . وقد زعموا ان الشعراء هم كلاب الجن كما في قول الشاعر:

"وقد هرت كلاب الجن منا   وشذبنا قتادة من يلينا" . [٢]

لان عبقريتهم الشعرية هي رهن اشارة الجن فهم يرددون عنهم ما يتلقونه منهم من ابيات. هذا ما استطاع العرب ان يتوصلوا الى تعليله ، في عصرهم الاسطوري ، فيما يتعلق بمصدر النبوغ والالهام عند شعرائهم المبرزين . فقد نسبوا وحي الشعر الى الجن جريا على عادتهم في نسبة كل ما هالهم وجهلوا حقيقته الى الجن. وقد ادرك الشاعر نفسه ان هنالك قوة عجيبة خفية ترافقه وتعينه على قول ما يتعذر على غيره من سائر الناس. وهي روح تختاره من بين اترابه ، تعطف عليه وتلهمه رائع الكلام في قالب موزون مقفى ليفتن به الناس ، ولا تخونه ولا تتركه ما دام يقول شعرا . قال احدهم :

"اني امرؤ تابعني شيطانيه   آخيته عمرى وقد آخانيه
يشرب من قعبي[٣] وقد سقانيه   فالحمد لله الذى اعطانيه[٤]

فهذا الشيطان ، كما يتبين لنا من معنى البيت ، هو تابع معين ، قادر على العجيب من نظم القوافي ، وبينه وبين الشاعر صلة اخذ وعطاء: فقد شرب

---

١) الحيوان ٦/ ٢٢٨ . بلوغ الارب ٢/ ٣٦٥ . رسائل ابي العلاء ١٠٥
٢) الحيوان ٦/ ٢٢١ . ثمار القلوب ٥٤ ، والبيت لعمرو بن كلثوم . (٣) القعب: الكأس
٤) الحيوان ٦/ ١٨٠ ولا يذكر الجاحظ صاحبه .

الشاعر من نعمه ما بقاه شيطانه من اكسير الفن وهذا الشيطان نعمة للشاعر يحمد ربه عليها • فانه يعتبره سبب نبوغه واليه يعود الفضل في علو شأنه بين قومه• والمعروف ان العرب في جاهليتهم اجلّوا القدرة الالهية مع انهم اشركوا بعبادتها قوى روحية مختلفة ، دونها قدرة وعظمة ، وكان الجن من حملتها ، فالشيطان ، كما يستدل من معنى الكلمة الوارد في الشعر الجاهلي ، نوع من الجن المتفوقين في المقدرة والاعجاز• لذا اعتبروا تفوق الشاعر في نبوغه الفني مستمدا من قدرتهم• ونلاحظ ان الجن لم يقرنوا الا بالفحول المبرزين من الشعراء• فلما تبوأ الشعراء في الجاهلية منزلة مرموقة بين الاقوام كذلك وقرت شياطينهم وأجلّوا بأجلالها •على انه قد يصعب على الباحث الفصل فيما اذا كان المقصود بذلك الشاعر او تابعه الذي كان يعينه على القول• فاننا نلاحظ ان بعضهم اجل شيطان الشعر فوق ما اجل الشاعر وفي ذلك قول احدهم:

"اني وان كنت صغير السن وكان في العين نبو عني

فان شيطانـي امير الجن يذهب بي بالشعر كل فن"(١)

فالشاعر صغير في السن لا يستلفت الانظار لحداثته ولكن شعره رائع بفضل شيطانه "الامير" الذي يلهمه الابداع في كل مواضيع الشعر وفنونه• وقد سمي هذا الشيطان الملقي تابعا او رئيا(٢) • فهو بمثابة قرين يلازم الشاعر ولا يبارحه عمره ، او قل هو الذات الشاعرية متلبسة بالشاعر• وهو يختلف مع كل شاعر باختلاف كنهه وتنوع

---

١) الحيوان ٦/ ٢٢٨• بلوغ الارب ٢/ ٣٦٥• رسائل ابي العلاء ١٠٥

٢) بلوغ الارب ٢/ ٣٦٦•

مقوماته الادبية ولونه الخاص • وكما كان لكل شاعر فن خاص متميز كذا كان شيطانه مميز عن غيره من شياطين الشعراء • لذلك تعددت الشياطين وعرفت باعلام مختلفة خص كل منها بشاعر ، "فلافظ بن لاحظ" هو جني امرئ القيس و "هبيد" هو قرين عبيد بن الابرص ، و "هاذر" هو صاحب النابغة الذبياني[١] • و "مسحل" هو شيطان الاعشى •[٢] ويعرف "بمسحل السكران بن جندل"[٣] وقيل انه يدعى "جهنام"[٤] • وقد تكون هذه الاسماء القابا متعددة لشيطان واحد • وكثيرا ما يذكر الاعشى صاحبه في شعره ، يدعوه لاسعافه على القريض اذ يقول:

"دعوت خليلي مسحلا ودعوا لــــه جهنّام جدعا[٥] للهجين المذمم[٦]

ويقر بافضاله عليه فيقول:

"حباني اخي الجني ، نفسي فداؤه باقيح جياش العشيات مرجم[٧]

لانه يعلم انه لولاه لما تمكن من الاجادة فيقول :

"وما كنت ذا قول ولكن حسبتني اذا مسحل يبري لي القول انطلق

خليلان فيما بيننا مــن مــودة شريكان جني وانــس موفــق[٨]

وهو في العجز الاخير لا ينكر على ذاته المبارة اذ يشركه مع جنه لتحقيق الاجادة •

---

١) جمهرة اشعار العرب ٢٢-٢٣ • (٢) الحيوان ٦/ ٢٢٥-٢٢٦ • بلوغ الارب ٢/ ٢٦٦ •
٣) جمهرة اشعار العرب ٢٣ • (٤) بلوغ الارب ٢/ ٣٦٥
٥) جدعا : قطعا له • (٦) الحيوان ٦/ ٢٢٥ • ثمار القلوب ٥٥ • بلوغ الارب ٢/ ٣٦٥ •
٧) الحيوان ٦/ ٢٢٦ • ثمار القلوب ٥٥ • (٨) ثمار القلوب ٥٥ •

ويروى لنا انه صادف تابعه مرة في صورة شيخ بدوي ، وكان في طريقه الى اليمن ، فاستراح عنده ثم اخذ هذا الشيخ ينشده اشهر قصائده ثم يتوقف وينادى : هريرة ! فتحضر بدوية حسناء من الخباء ، ويعود فينادى : سفية ! فتحضر الثانية ، فعرف الاعشى انهن اللواتي كان يتغزل بهن في مطالعه ، وشدة ذهله كاد يغمى عليه ، عندئذ عرّفه الشيخ بنفسه وقال له : انا مسحل ، شيطانك ، وانا الذى القي عليك شعرك . (١) ومسحل هذا لا يلقي عليه الشعر فقط ، بل يرويه له ويحتفظ له بعرائسة ويستحضرهن له ساعة يشاء ، استفاضة لقريحته وتلبية لنداء عواطفه . وقد تكون هذه الحكاية موضوعة لتعظيم قصائد الاعشى ولاحاطتها بهالة من العجب . اما هذا الشيخ - مسحل - فيصوره لنا ابو الفرج تصويرا قبيحا مسندا خبره الى عبد الله البجلي ، احد الصحابة . فقد اخبر انه كان مسافرا في الجاهلية ، فاقبل على بعيره الى ماء يبغي سقيه ، فوجد قوما مشوهين . واذا برجل اشد تشويها منهم يأتيهم . فقالوا : هذا شاعر ! فانشد لهم : "ودع هريرة .... حتى اتى الى آخرها . فسأله عبد الله : من يقول هذه القصيدة ؟ فاجابه : انا . قال : كلا هذه للاعشى . قال : انا مسحل ، وقد القيتها على لسانه . (٢) وقد يكون تشنيع شيطان الاعشى مقصودا لتقبيح شعره في الخمر لان هذه الرواية مدونة في عصر اسلامي على لسان احد الصحابة .

وكان ايضا للمخبل السعدى (٣) ، شيطان يدعى "عمرو" (٤) ، كان يعينه علــى الهجاء . فهؤلاء الشياطين ، يختارون الفحول من الشعراء ، ويلقون الشعر على السنتهم

---

١) بلوغ الارب ٢/ ٢٦٧

٢) الاغاني ٩/ ١٥٦ دار الكتب . بلوغ الارب ٢/ ٣٦٧ .

٣) يجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الجاهليين ، له شعر كثير جيد ، هجا به الزبرقان ، نده في المهاجاة . وكان يمدح بني قريع ويذكر ايام سعد . توفي في خلافة عثمان .

٤) الحيوان ٦/ ٢٢٥ . ثمار القلوب ٥٥ . بلوغ الارب ٢/ ٣٦٥ .

وهم الذين يعينونهم على الابداع ، فمن كان شيطانه امرد كان شعره اجود[1]. وترد لهم حكايات واخبار ونوادر في كتب الادباء ، منها مشتت ومنها مجموع. نعير الاخير منها اهتماما لانه يفي بالبحث . وهو وان دون في عصور اسلامية الا انه مبني على مزاعم جاهلية ، يصور لنا ما كان يعتقده الجاهليون في الجن وعلاقتهم بشعرائهم . يورد اكثر الاخبار فيها الجاحظ في الجزء السادس من كتابه ، الحيوان ، وابو زيد القرشي في الجمهرة والثعالبي في ثمار القلوب والالوسي في بلوغ الارب . كذلك يتناولها ابو العلاء المعري في رسالة الغفران وابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع وسيأتي الكلام عنهما في الفصول التالية من هذا الباب . اما الشبلي ، في آكام المرجان ، فمعظم كتبه عن الجن يعود الى العصور الاسلامية يصور العقائد فيه في هذه العصور الدينية . وهو وان تصدى لموضوع الجن والشعراء في العصر الجاهلي الا ان الصبغة الاسلامية في اخباره يطغى الى حد تكاد تضمحل فيها روح الاسطورة الجاهلية . فالاساطير الجاهلية التي تدور حول اخبار الشعراء وجنهم اوضح ما تظهر لنا عند الجاحظ والقرشي . فاخبارهما لا تقتصر على صلة الشعراء بالجن من حيث ايحاء الشعر بل هنالك مجاوزات خرافية بديعة تكون ركنا في اساطير العرب العريقة في عهود بداوتهم . لنأخذ مثلا قصة يرويها ابو زيد عن احد الاعراب انه خرج على بعير صعب له ، فمر على جماعة ظباء في سفح جبل ، على قلته رجل عليه اطمار له . فلما رأته الظباء تربصته لغضب الرجل وانبه لتعديه . فما كان منه الا ان ارسل البعير في مراعي الظباء نكاية به . فنهض الرجل وصاح ببعيره صيحة ضرب بجرانه الارض واوقعه عن ظهره . فادرك عندئذ انه جان حنق عليه لانه تعرض لماشيته . لان

---

1) ثمار القلوب ٥٥.

الظباء كما كان مزعوما ء هي ماشية الجن (١) • ومحذور على الانس رعاية مواشيهم في مرابعها • فاعتذر اليه الاعرابي ء وذكر اسم الله حتى جدا وجه• ثم سأله اذا كان يروى من اشعار العرب شيئا• فاخذ يروى له قولا فائقا مبرزا:

"طاف الخيال علينا ليلة الوادى   من آل سلمى ولم يلمم بميعاد"

فلما فرغ من انشاده قال له الاعرابي: هذا لعبيد بن الابرص • فاجابه الجني: ومن عبيد لولا "هبيد"؟ ثم انشأ يقول:

"انا ابن الصلادم ادعى الهبيد   حبوت القوافي قرمي اسد

عبيدا حبوت بمأثـــــــورة   وانطقت بشرا على غيركد

ولاقى بمدرك رهط الكميـــت   ملاذا عزيزا ومجدا وجد

منحناهم الشعرعن قـــدرة   فهل تشكر اليوم هذا معد؟"

فقال له الاعرابي: اما عن نفسك فقد اخبرتني • فاخبرني عن مدرك؟ فقال: هو مدرك بن واغم ء صاحب الكميت ء وهو ابن عمي • وكان الصلادم وواغم من اشعـــر الجن• ثم قال له: لو انك اصبت من لبن عندنا ••• ! فقال له الاعرابي: هات• فذهب واتاه بعس (٢) فيه لبن ظبي • فشرب لزهوته ء ومع ما كان في فمه منه• ثم انصرف من عنده • فصاح به الجني من خلفه: اما لو انك نزعت في بطنك العس لاصبحت اشعر قومك• فندم الاعرابي وانشأ يقول:

---

١) آكام المرجان ١١٩ •

٢) القدح او الاناء الكبيـــر •

"أسفت على عس الهبيد وشربــه لقد حرمتنيه صروف المقـــادر
ولو انني اذ ذاك كنت شربتـه لاصبحت في قومي لهم خير شاعر(١).

وهنالك مجموعة من الاخبار يوردها القرشي عن تراءي جن الشعراء للانس، فيعرفونهم بانفسهم، ويروون لهم الشعر، ويتباحثون معهم في تقدير الشعراء ويتعرضون لنقد شعرهم، ومجمل ما يمكننا استنتاجه من هذه الاقاصيص وغيرها نفصله فيما يلي :

١- ان الابطال من الانس في هذه القصص هم اعراب او من الذين قصدوا البادية رغبة في استماع الاخبار والاشعار التي كانت ما تزال عالقة في صدور الاعراب من جاهليتهم وهم اما شعراء او رواة او نقاد، وذلك لتنسجم ادوارهم وادوار الجن، ملهمي الشعراء، في القصة الادبية.

٢- مسرح هذه القصص الصحارى والقفار، حيث يقيم الجن، كما هو شائع، وهي في الوقت ذاته مواطن الشعراء في ذلك العهد.

٣- ظهور الجن على مسرح الرواية، ظهور عجيب، دأبهم في التشكل، فهم يتراءون لهم بصور شيوخ موقدين نارا في مضاربهم فيجذبون الراغبين اليها، ثم تجري المحاورات. او يظهرون لهم راكبين على نعام فيسوقونهم بالحديث حتى يبلغوهم من فنون الشعر واخبار الشعراء ما يروق لهم.

٤ - لا يقتصر دور الجن على ايحاء الشعر بل هم يحسنون روايته ويجيدون نقده.

٥- احكامهم في النقد كأحكام الجاهليين فيه من الانس، فهم يبدون آراءهم فيه احكاما معممة، دون تدقيق او تحليل معتمدين بديهتهم فيما يستحسنون منه وما يستهجنون.

---

١) جمهرة اشعار العرب ٢١-٢٢.

٦- وهم يجعلون الشعراء طبقات : يميزون بين شاعر وآخر فيها دون تقديم الحجج المفصلة مكتفين بالتدليل على اجود بيت قاله احدهم في موضوع من مواضيعه • فامرؤ القيس عندهم يأتي في الصدارة ثم طرفة ثم الاعشى (١) • وهم متفقون مع الانس في تقديم امرئ القيس دونما على الجميع (٢) •

٧- لا يهتم الجن الا بالمتفوقين من الشعراء لذلك لم ترد لهم اخبار الا مع الفحول منهم •

٨- والشعر مسجل عند الجن قبل نطق الشاعر به وذيوعه بين الناس (٣) •

٩- والجن هم الذين يختارون الشعراء ليبلغوهم منه ما يشاءون • وقد اقتصر اختيارهم على الرجال دون النساء فنحن لم نعثر فيما طالعناه على خبر يفيد بانه كان لشاعرة شيطان يوحي اليها الشعر • مع ان الكاهنات كان لهن رئي من الجن يملي عليهن التنبوءات • ولعل بروز الرجال وتفوقهم في هذا الفن على النساء اللواتي كن قليلات ولم يبلغن من العبقرية الشعرية ما بلغه الرجال كان السبب في حرمانهن عطف الشياطين •

١١- والجن هم الذين يعينون الشعراء على الابداع والتحليق • فان لديهم لبنا عجيبا يقدمونه لهم • فمن يشرب منه يصبح اشعر قومه • ولكن معظمهم لا يدرون لكراهة طعمه • فلا يدرون بسر فعله الا بعد فوات الاوان (٤) •

١٢- ترد اوصاف شيطان الشاعر وفقا لما يتميز به شعره من خصائص وما يتصف به من خلائق ظاهرة في فنونه •

١٣- قد نجد رابطة قربى بين الجن مبنية على رابطة قربى بين الشعراء

---

١) الاغاني ٩/ ١١١ دار الكتب • (٢) جمهرة اشعار العرب ٢٠ و ٢٤ • الاغاني ٨/ ١٦٦ دار الكتب • (٣) القزويني ٢/ ١٦١ • (٤) جمهرة اشعار العرب ٢٢ • الدميرى ١/ ١٦٢ • والدميرى يجعله دواء عجيبا بسر الجن ترتيبه لمن يصطفونه من الانس •

وربما تكون مبنية على تشابه في الفنون والمواضيع بينهم .

١٤ – واخيرا هنالك شيطان مشترك بين جميع المجيدين ويدعى الهوبر [١] .
وآخر بالمسفين ويدعى الهوجل [٢] . فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وحسن كلامه
ومن انفرد به الهوجل ساء شعره وفسد كلامه [٣] .

الجن في حياة الشعراء

هذا ما امكننا استشفافه مما وقع بين ايدينا من اخبار تدور حول الشعراء
ووحي شياطينهم . اما الشعراء انفسهم فتجاوزوا هذا الحد وادعوا غريب المغامرات
مع الجن واخبروا طريف النوادر [٤] . فمنهم من زعم انه رافق الغول [٥] . وصاحبها
معها في البسابس كما توهم عبيد بن ايوب [٦] . ومنهم من استبسل حتى حملها
وقتلها كما شاع عن تأبط شرا [٧] . وقيل انه دعي بهذا الاسم لانه تأبط الغول
واتى بها الى امه فالقاها بين يديها . فسئلت امه عما كان متأبطا . فقالت : تأبط
شرا [٨] . وجرى ذلك لقبا عليه . ولكننا لا نلمس هذه الشجاعة ورباطة الجأش
عند كل الشعراء في مصادفتهم هذه المخلوقات المنكرة . فان بعضهم حين توهم
تشكلها لعيانه كاد يودى به هلعا . فمن هؤلاء . ابو المطلس العناني [٩] الذي
اعترف صراحة بما اصابه من هلع حين رأى الجن حيث قال :

---

١) وهو الفهد الكثير الشعر .   (٢) والهوجل : الفلاة المضلة
٣) جمهرة اشعار العرب ٣٠ .   (٤) يراجع الحيوان ٦/ ١٦٥، ١٦٧، ٢٠٢، ٢٠٢، ٢٢٨ .
بلوغ الارب ٢/ ٣٢٦، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٦٠ .
٥) الحيوان ٦/ ١٦٥ . بلوغ الارب ٢/ ٣٤٢ .   (٦) هو عبيد بن ايوب الابرص من فحول الجاهلية يجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة ويقرنه بطرفة وعلقمة بن عبد وعدي بن زيد . يقول فيه انه قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب ما بقي منه الا القليل .   (٧) من صعاليك الشعراء المشهورين في الجاهلية .
٨) بلوغ الارب ٢/ ٣٤٥ .   (٩) لم نعثر على ترجمة له فيما طالعناه في الاغاني . طبقات ابن سلام ، الشعر والشعراء لابن قتيبة . وفيات الاعيان ومعجم الادباء لياقوت .

"فلو ابصرتني بلوى بطان ... اصفق بالبنان على البنان !

اقلب تارة خوفا ردائي ... واصرخ تارة بابي فـــلان [١]

لقلت : ابو العملس قد دهاه ... من الجنان خالعة العنان". [٢]

فالوساوس التي كانت تنتاب الشاعر في وحشته هي التي كانت تسبب له تلك المشاعر والتصورات التي كان يعبر عنها في شعره. وليست كلها من قبيل الشجاعة او الخوف فهنالك صور طريفة وليدة تلك التخيلات . منها التشبيهات المنتوعة بالجن التي ابتدعها الشاعر من عالم جنه ليقرن بها موصوفاته المحسوسة . فقد شبهوا الخيل بالجن بسرعة جريها وخفة انطلاقها. وفي ذلك انشد احدهم :

"كأنه لما تدانى مقربـــه [٣] ... وانقطعت اوذامه [٤] وكربــــه [٥]

وجاءت الخيل جميعا تذنبه ... شيطان جن في هواء يرقبـــــه

اذنب فانقض عليه كوكبـــه". [٦]

وشبهوا الابل بالجن ايضـــا :

"وقلت والله لنرحلنـــا ... قلائصا تحسبهن جـــن". [٧]

وشبهوا حد السيوف باسنان الغول [٨]. وشبهوا الفرسان الاشداء بالجن ايضــا . من ذلك قول ابن ابي الزوائد [٩]

"بخور خفض لمن الم بهـــم ... جن بارماحهم اذا خطـــروا [١٠] .

---

١) وهي استعاذة بسيد الجن ليحميهم من شر قومه . (٢) بلوغ الارب ٢/ ٢١٦ .
٣) مقربه : سيره . (٤) اوذامه : جمع وذم وهو السير من الجلد يقد طولا .
(٥) الكرب : الحبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى . (٦) الحيوان ٦/ ١٧٢ . لا يذكر صاحبه
(٧) الحيوان ٦/ ١٨٠ ولا يذكر صاحبه ايضا . (٨) راجع صفحة ١٢ من الاطروحة . بلوغ الارب ٢/ ٣٤٧ . (٩) من مخضرمي الشعراء العباسيين عهد المهدي . ترجمته في الاغاني ١٢/ ١٧٠ـ١٧٤ بولاق . (١٠) الحيوان ٦/ ١٨٠ .

فقد قرنوا كل رشيق ، قوي ، سريع ، بالجن للمبالغة في نشاطه وشدته . كذلك شبهوا كل جميل حيوي بهم ايضا . فانهم لما عجبوا لهبة النبت بعد غيبته في التراب ، وتفتح الزهر بعد رقدته عقب المطر شبهوه بهبة الجن . قال الاعشى :

"واذا الغيث صوبه وضع القـــد　　ح وجن التلاع[1] والآفـاق ".[2]

ولما زاد افتتانهم بجمال من احبوا شبهوه بالجن ايضا . فكأنهم لم يجدوا في الكائنات المحسوسة التي حولهم جمالا يماثل سناء مليحاتهم فاستعاروه من الجن .

"وفي الظعائن والاحداج املح من　　حل العراق وحل الشام واليمن

جنية من نساء الانس احســن من　　شمس النهار وبدر الليل لو قرنا ".[3]

فجمال الجن كما ارتسم في مخيلتهم هو آية في الجمال اسمى من البهاء ذاته . حتى ان بعضهم لم يعد يفتن بسحر الغانيات من الانس فراح يتغزل بنساء الجن ، فعل مدرّج الريح[4] الذي زعم انه كان يهوى امرأة من الجن تسكن الهواء وتتراءى له . وفيها قال :

"لابنة الجني في الجو طلل　　دارس الآيات عاف كالخلل

درسته الريح من بين صبا　　وجنوب درجت حينا وطلل ".[5]

وقصة اخرى شهيرة عن زواج بعض شعرائهم السعلاة[6] . فقد زعموا ان عمرو بن يربوع[7] تزوج السعلاة وانجب منها اولادا . وخاف مرة ان يستتر البرق عن عينها فثار حنينها لديارها وطارت وولت الى قومها . وقالت له وهي تطير :

---

1) التلاع : ما علا من الارض . وجن التلاع بمعنى حسن نباتها . (٢) الحيوان ٦/ ١٨٦ .

٣) الحيوان ٦/ ١٨٦ والبيت ينسبه الجاحظ للمقنع الكندي ، انظر ترجمته في الاغاني ١٥/ ١٥٢ بولاق . (٤) الاغاني ٣/ ١١٥ دار الكتب . وينسب خبره هذا ابو الفرج ايضا للسموأل بن عاديا او لابنه . (٥) الاغاني ٣/ ١٢١ دار الكتب . (٦) يراجع الحيوان ٦/ ٢٢٥ . بلوغ الارب ٢/ ٢١٢ . (٧) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة من الجاهليين . اشتهر بقصته هذه وقيل ان احفاده من نسل مشترك من الانس والجن . راجع ص ٢٢ من الاطروحة .

"امسك بنيك عمرو اني آبق   برق الى ارض السعالي آلق"(١)

وغيرها كثير من الاخبار المتصلة بالجن والشعراء . منها ادعاء جذع بن سنان (٢) ان الجن زاروه فرحب بهم ودعاهم الى مشاركته في الطعام وقدم لهم عسلا ورواها .

ومن الشعراء من سمع هتافهم وتحاور معهم شعرا في مصادفات طريفة (٣) تظهر فيها مروءة الشاعر واندفاعه لمساعدة المحتاج الملهوف كما حدث مع عبيد بن ابوص الابرص، وكان في طريقه للشام عندما عرض له شجاع يلهث عطشا . فسقاه حتى رواه . وفي عودته، ضل بعيره ، فلحقه فلم يجده . فتحير في امره واذا به يسمع هاتفا من الجن يهتف به :

"يا صاحب البكر المضل مركبه   دونك هذا البكر منا فاركبه"

فاجابه عبيد :

"يا صاحب البكر قد انقذت من بلد   يحار في حافتيها المدلج الهادى

هلا ابنت لنا بالحق نعرفـــــــه   من ذا الذى جاد بالمعروف في الوادى"

فاجابه الهاتف :

"انا الشجاع الذى الفيته رمضا   في رملة ذات دكداك واعقاد

فجدت بالماء حين ضن حامله   جودا علي ولم تبخل بانجادى

هذا جزاؤك مني لا امن بـــه   فارجع حميدا رعاك الله من غادى

الخير ابقى وان طال الزمان به   والشر اخبث ما اوعيت من زاد"(٤).

ففي هذا الحادث يشترك الجن مع الشاعر في المحاورة الشعرية ولا يختلف اسلوب

---

١) الحيوان ٦/ ١٩٢ . بلوغ الارب ٢/ ٢٣٠ . (٢) وهو جذع بن سنان الغساني . شاعر جاهلي قديم وبه يضرب المثل القائل: "خذ من جذع ما اعطاك". اشارة الى جذع عندما اعطى سيفه لجابية عوضا عن الخراج . يذكره الالوسي في بلوغ الارب ٢/ ٢٣٠

٣) يراجع الدميرى ١/ ١٩٠ . (٤) جمهرة اشعار العرب ٢٧، ١٨ . بلوغ الارب ٢/ ٣٥٥ . الدميرى ٢/ ١٥٩ .

الاثنين فيها مما يدل على ان الواضع واحد • ومعظم هذه الأشعار التي ترد على لسان الجن ، مقاطع قصيرة كتلك التي يرد من نحوها على لسان الشاعر• ما عدا قصيدتين منها طويلتين وقعتا بين ايدينا : الاولى للحكم بن عمرو في عجائب المخلوقات[١] يوردها الجاحظ في الجزء السادس من كتاب الحيوان والثانية يوردها ابو زيد القرشي في الجمهرة على لسان جن حضر على رجل نائم في كهف• وكان هاربا من وجه الحرث بن شداد الحميري ، احد ملوك اليمن الظالمين في الجاهلية • وانشأ الجن يتلو فوق رأسه قصيدة ينبئه بها عن مجيء اسعد كامل تبّع ، احد ملوك حمير ، الذي سينشأ مغمورا ويسجنه الدهر حتى يحظى بالحرية ، ويحكم بالعدل ويبيد الاعداء ، ويبسط سلطانه الى حدود فارس[٢] • والقصيدة رائية من الشعر الحماسي القصصي ، تقع في اثنين واربعين بيتا • يستهلها الجني بحكم وعبر عما تخبئه الاقدار من مفاجآت للبشر ثم يستطرد ، باسلوب سلس ، سهل ، جزل ، يسرد على النائم ما سيحققه منقذ اليمن من عدالة وظفر• ولا شك ان هذه التنبؤات تكون ابلغ اثرا في النفس اذا جاءت شعرا آسرا محببا • ويبدو ان واضع هذه القصيدة شاعر عباسي ، تعمد الاسلوب الجاهلي ، متكلفا فيه الحبك والصنعة ليقرب شعره من الحقيقة ويطمعن به التصديق • واستنادا على هذه الديباجة يرد شعر منسوب للجن ايضا يهتفون بالكهان وسادة الناس ليبلغوهم بقدوم نبي عظيم في قريش ، يبيد الجهل ويهدي الناس الى الصراط المستقيم ، ويثون له نصرميين في رسالته الخالدة • وهؤلاء الجن قد آمنوا وهم يدعون الناس الى الايمان ايضا •[٣]

---

١) راجع ص ٥٣ من الاطروحة •

٢) يراجع الخبر في تاريخ العرب لحتي ص٧٩ـ٨٠•

٣) تراجع هذه الاشعار في الجمهرة ص ٢٤، ٢٥، ٢٦•

فهذه الاخبار والاشعار التي وردت معنا عن الجن والشعراء ، ادبية كانت ام دينية ، لا نلحظ فيها ما يتنافى وتعاليم الدين ومبادئه لان مؤلفها حريص كل الحرص بان يعزز بها العقائد الاسلامية ولو استقاها من معين جاهلي . فهو انما يحيطها بهالة من الجد والوقار لصلتها بالدين احتراما وتقديسا .

الجن في الشعر الاسلامي

ننتقل من عصر الجاهلية الى عصر الرشد بقدوم الرسول ونزول القرآن الكريم وما تخلف عن ذلك من تبديل في احوال المجتمع العربي وتطور في نظرة العرب الى الجن .

ان العرب الذين اعتادوا نسبة السحر والكهانة والشعر لشياطين مردة من الجن لم يترددوا في نسبة الكلام المنزل في القرآن اليهم ايضا . خاصة ، وقد لمسوا في آياته روعة البلاغة وسحر البيان . وعبثا حاول الرسول اقناع هؤلاء بانه كلام منزل عليه من عند ربه بواسطة ملاكه جبريل[1] وانه اجل من ان ينسب الى الجن ، فهم لم يرضخوا لكلامه في بادئ الامر . لانهم الفوا البار عند الارواح في جاهليتهم واعتادوا نسبة كل قول جليل اليها . لذلك اتهموه بالسحر[2] والكهانة[3]، وقالوا ان له تابعا يوحي اليه الآيات . وكانت آياته مسجعة مقفاة فقالوا انه شاعر[4] . وهو ينطق عن لسان جنه . وشاهدوه في غيبوبة الانبياء عندما يؤخذون بالروح العظيم ، فقالوا انه مجنون[5] . وكانوا يزعمون في جاهليتهم ان المجنون صرع من الجن ،

---

١) سورة البقرة ٩٧ . (٢) سورة ص ٤ (٣) سورة الحاقة ٤٢ .

٤) سورة الصافات ٣٦ . (٥) سورة الطور ٢٦ .

فذهبوا الى ان كل ما يصدر من النبي هو من مؤثرات هذه الارواح ، وتشبثوا بضلالهم ، وحاربوا الرسول . ولكن القدرة الالهية التي تنصر من تصطفيه من بني البشر ، وتوكل اليه نشر الحق والعدالة والخير بين الناس لا بد من ان تعضده ليحقق مشيئتها على وجه الارض ، فما ان استتبت الامور للنبي ، واهتدى العرب على يده ، حتى اقروا وحدانية الصمد وتناهي سلطانه وميزوا بين هذه الارواح الخاضعة لمشيئته ففرقوا بين الخيّر والشرير منها وجعلوا الملائكة الابرار ارقاها عنصرا والشياطين الاشرار افسدها جوهرا وميزوا الجن عنها وجعلوهم طائفة خاصة تترتب بين الفئتين . فالذين آمنوا منهم اسلكوهم في صف الملائكة اما الذين عصوا فجعلوهم في صف الشياطين . من هنا اصبحت لفظة شيطان في العصور الاسلامية تختلف عما كانت تعني في الجاهلية . فذلك الروح ، الخالق المقدرة ، التابع المعين ، الذي يوحي الى الشاعر رائع القول اصبح في الاسلام رمز الشر والفساد ، يدعـو الى الغي ويقود الى التباب . اما الجن الذين اوحوا الى المؤمنين المناصرين من الشعراء فقد جاءوا من حظيرة الملائكة . واما الجن الذين القوا الكلام في روع الكفار الغاوين منهم فقد وفدوا من كتائب الشياطين . وتميزت مواضيع الشعر وفقا لهذه الصلة . فكل ما هو خير ، صالح ، من مواضيعه يلهمه ملاك وكل ما هو فاسد ماجن يمليه الشيطان . فالهجاء والخمر والغزل ... الى ما هنالك من فنون شعرية تتنافى وتعاليم الدين الجديد واردة من الشيطان[1] هكذا انضاف الى شياطين الشعراء الذين تعرفنا اليهم في الجاهلية ، ارواح خيرة على رأسهم جبريل او الروح القدس وارواح شريرة امامهم ابليس . كان حسان بن ثابت عندما

---

[1] تراجع سورة الشعراء ٢٢٢ـ٢٢٧ .

مدح الرسول اعانه جبريل بسبعين بيتا • وعندما هجا المشركين ايده الروح القدس من اجل كفاحه عن الله ورسوله • (١)

ولما كان اختصاص جرير والفرزدق الهجاء المقذع كان ابليس معينا لهما عليه • هذا ما اعترف به جرير نفسه بقوله :

"اني ليلقي علي الشعر مكتهـــل   من الشياطين ابليس الاباليس (٢) •

فحرارة لسانه ولؤم كلامه ونفوذه في فن الهجاء كان وحيا من ابليس الابالسة ، امام حاملي لواء الشر والايذاء • والفرزدق الذي تاب عن هتك اعراض الناس في اواخــر ايامه يعترف بانه اطاع ابليس على الهجاء سبعين عاما • يقول :

"اطعتك يا ابليس سبعين حجــة   فلما انتهى شيبي وتم تمامي

فررت الى ربي وايقنـــت انـــي   ملاق لايام المنـــون حمامي • (٣)

فهو نادم يذوب ندما لجامة على ذلك النباح الشنيع الذي كان ابليس وابنه يتفلانه في فمه • وصورة شيطان الهجاء ، كما يبرزها لنا الفرزدق ، صورة شديدة القبح يغشها ويمقت صاحبها ويتندم على طاعته له لانه واثق انه ما اغواه على القول الشرير الا ليودي به الى عذاب الجحيم كما اغوى آدم ، ابا البشر ، واخرجه من الجنة • ونحوه في هجائه ابليس ، متأثر بالقرآن وما يتضمن من آيات تقبح ابليس وتبين للناس العواقب الوخيمة التي يجنبها من يسير في سبيله • والفرزدق يبغي تبرير نفسه مما ارتكبه من آثام القول ويلقي التبعة على عاتق ابليس الذي لقنه اياه • لذلك يهجوه مبتغيا بهجائه مغفرة ربه • ولكن في هجائه من الحرارة والقوة دون ما الفناه في غيره ،

---

١) الاغاني ٤/ ٣٨،١٣٨،٤٣،١ دار الكتب • (٢) ثمار القلوب ٥٤ •

٣) ديوان الفرزدق ٢٢ •

الامر الذى يخفف من حدته انكشاف التوبة وحسرة التندم .

اما العقيدة القديمة في نسبة العبقرية الشعرية للجن واطلاقهم القول البليغ على السنة الشعراء فلم تتغير في الاسلام . فعهد الناس بالاسلام قريب لم ينسوا فيه بعد ما الفوه في جاهليتهم وهم ما زالوا قريبي العهد بها . وليس من الطبيعي ايضا وضع حد فاصل بين عهد وعهد بحيث تنقطع الصلة بينهما قطعا باتا في مثل هذه الشؤون . فالعرب ما زالوا يحفظون الكثير من تراثهم الاسطوري وتقاليدهم الجاهلية لا سيما ما جاء منها معززا الدين الجديد موافقا غاياته . لذلك لم يوار الجن في العهد الجديد ولم تنقبض افواههم عن وحي الشعر للشعراء ولم ينصرفوا عن ميدان الهاماتهم ونفوثهم . فالفرزدق ذاته الذى نطق على لسان ابليس سبعين عاما ثم هجاه نراه يستنجد جنه الملهم عندما عصي عليه القول واعتراه جمود حتى ان خلع ضرس من اضراسه كان اهون عليه من عمل بيت شعر (1) وهو في اشد الحاجة الى الفيض عندما تجاهله احد الانصار في المسجد ، ففاخروا عليه بشاعرهم حسان . قضى الفرزدق ليلته ساهرا ، يصعد ويصوب في كل فن من الشعر لما امتنع القول . وفي هذا المأزق الحرج لم يحجم عن الاستعانة بجنه لانجاده ، فقصده الى ريان — وهو جبل في المدينة — وناداه باعلى صوته : " اخاكم ! اخاكم ! يا لبنى ! " يقصد به شيطانه . فهرع اليه واعانه على مئة وثلاثة عشر بيتا اخزى بها الانصار ونكسهم حتى توسلوا اليه الا يسلط لسانه عليهم . فعفا ولم يفعل (2) .

---

1) الشعر والشعراء ١/ ٢٦ .

2) الاغاني ٩/ ٣٢٧ دار الكتب .

وكان يسعفه ايضا "عمرو"(١) ، صاحب المخبل السعدى الذى اشتهر في الجاهلية بالهجاء ، اما اقرب الجن لصوقا به فهو صاحبه "هميم" الذى كان ينادى باسمه احيانا(٢) ، نلاحظ ان جن الشعراء تعددوا في هذا الخبر مما يشير الى ان ذلك الوقار الذى احيط به الجن في الجاهلية بدأ يتداعى في الاسلام ، واصبح الجن رموزا للاجادة يشار اليهم في فنون الشعر الرائعة اما احياء للذكرى او تشبيها بالفحول القدماء ، الذين استمدوا الابداع والتفوق من قدرة الجن العجيبة التي ما زالت تعطف على المبرزين من شعراء العصر الاسلامي ، وليس من الغريب ان يستمر الجن على الحياة اجيالا لانهم ، كما شاع عنهم ، يعمرون سنين طويلة ، ثم ان الفنون الشعرية واساليب النظم لم يستحدث فيها شيء يذكر في العصور الاسلامية الاولى لذلك ظلت شياطين الشعر عند العرب هي هي ، ولكن عملها اتسع نطاقه ، على ما نلاحظ ، فان القرين الذى تفرد بواحد من شعراء الجاهلية ، يلهمه الابداع في فنه اصبح شيطان فن معين من فنون الشعر يلهمه للذين وقفوا انتاجهم عليه وكانوا من المتفوقين فيه(٣) وقد ادرك الفرزدق هذا الامر حين قال : "شيطان جرير هو شيطاني الا انه من فمي اخبث"(٤) ، اذا هنالك شيطان عام ، هو شيطان الهجاء : اوحى للمخبل السعدى في الجاهلية ويوحي لجرير والفرزدق في الاسلام .

اما شيطان الفرزدق في المدح فهو شيطان الشياطين ، يقول فيه :

"ليبلغن ابا الاشبال مدحتنا — من كان بالغور او مروى خراسانا

كأنها الذهب العقيان حبرها — لسان اشعر خلق الله شيطانا"(٥)

---

١) تراجع ص ١٦٤ من الاطروحة والحيوان ٢/ ٢٢٦ ، (٢) الحيوان ٦/ ٢٢٥ ،

٣) يراجع الحيوان ١/ ٢١٩ ، (٤) ثمار القلوب ٥٢ ، (٥) الحيوان ٦/ ٢٢٢ وهي قصيدة يمدح بها اسد بن عبد الله القسرى والي خراسان .

كأن الفرزدق الذى اقر شيطانا مشتركا في الهجاء بينه وبين نده ، جرير ، ابى الا ان يتفرد بسيد الشياطين في المدح •

اما جرير ، فقد تطاول على ذلك وسخر لشعره طائفة من الشياطين يهرعون قاطبة لاسعافه على القول [١] • هذا ما شاع عنه • ويبدو ان اعجاب الناس بمختلف فنون شعره ومواضيعه ، واقرارهم له بالابداع فيها ، حملهم على ان يجندوا له تلك الطائفة العديدة من الجن لالهامه • فانه لما هجا الراعي والنزاه في قصيدته الشهيرة — الدامغة — شهد له خصمه ان له اشياعا من الجن يمكنونه من التفوق • وهم بالاضافة الى ذلك ، يروون شعره ويذيعونه بين القوام باسرع من لمح البصر • فان الراعي لما عاد الى قومه وجد القصيدة التي هجاه بها جرير عندهم ولم يسبقه احد اليهم بعد نشرها • [٢] فقد استمر الجن ، في العصور الاسلامية الاولى ، مورد الوحي للشعراء ومصدر نبوغهم وتفوقهم • وقد اقر لهم العرب في ذلك مع انهم اضافوا اليهم الملائكة والشياطين • وعددوا بذلك ، الارواح الملهمة للشعراء وفقا لمواضيعهم وفنونهم ونسبة لدرجة تفوقهم بين اقرانهم • ولكن ذلك لم يترتب عندهم عفوا • صحيح انهم اشركوا مع الجن الارواح المستحدثة التي اتاهم بها الدين الجديد ، توحي للشعراء ، ولكنهم ميزوا بينها وفقا لمسالك الشاعر ودرجة نبوغه • فحسان الذى اعانه جبريل على القول في نصرة الاسلام ، لم يغيب عنه جنه في الاخبار • فلقد كان له صلة بالسعلاة التي تنبأت له انه سيكون شاعرا مبرزا يرفع شأن قومه ويحرز لهم مجدا عظيما وقد هددته بالقتل ان هو لم يحقق ذلك النبوغ ويبين لها انه موهوب • فلبى حالا بقوله :

---

١) يراجع الخبر في الاغاني ٢/٢٣ دار الكتب • (٢) الاغاني ٢/٢٩—٣١ دار الكتب

"اذا ما ترعرع منا الغلام ... فما ان يقال له من هوه
اذا لم يسد قبل شد الازار ... فذلك منا الذى لا هوه
ولي صاحب من بني الشيصبان ... فحينا اقول وحينا هوه(١) "

نتبين من هذه الابيات انه ما اثر على حسان جن نبوغه الشاعرى . ولكن الشعر الخير الذى قاله في نصرة الدين الجديد اضفى اليه جبريل من تداسة روح القول المقدس في مدح الانبياء وموازرتهم . فما زال الجن منفردون في نونهم مصدر نبوغ الشعراء وارباب الالهام حتى في العصور الاسلامية الاولى .

فالكميت الاسدى لزم جنه ه "مدرك بن واغم"(٢) . وابو نجم العجلي استأثر لنفسه بشيطان فحل . قوله فيه :

" اني وكل شاعر من البشر ... شيطانه انثى وشيطاني ذكر(٣) .

ونصيب آنس بشيطانه الناصح(٤) . واتخذ عمر بن ابي ربيعة شيطانا مشتركا بينه وبين ابن ابي عتيق(٥) . فما برح الجن يلعبون دورهم على مسرح الشعر في العصور الاسلامية الاولى كما لعبوه في الجاهلية . وما زالوا يروونه ويتعرضون لنقده وتمييز قوالبه ومعانيه وينظرون في تشابيهه ويحكمون في اجوده وابلغه حكما يماثل احكام الانس في النقد في ذلك العصر كما ماثله في الجاهلية ايضا، ولما شغل الناس بتهاجي اصحاب النقائض وتعصبوا لهم ، وقدموا منهم واحدا على آخر حذا الجن حذوهم في ذلك ايضا .

---

١) الحيوان ٦/ ٢٣٠ . بلوغ الارب ٢/ ٣٦٥ . الديوان ٤٢٢ .
٢) الجمهرة ٢١ . (٣) الحيوان ٦/ ٢٨٨ . (٤) الاغاني ١/ ٣٤٥ دار الكتب
٥) الاغاني ١/ ٩٨ دار الكتب .

" اذا ما ترعرع منا الغــلام فما ان يقال له من هــوه

اذا لم يسد قبل شد الازار فذلك منا الذى لا هــوه

ولي صاحب من بني الشيصبان فحينا اقول وحينا هــوه (١) "

نتبين من هذه الابيات انه ما انكر على حسان جن نبوغه الشاعرى . ولكن الشعر الخير الذى قاله في نصرة الدين الجديد اضفى اليه جبريل من قداسته روحة القول المقدس في مدح الانبياء ومؤازرتهم . فما زال الجن منفردين في كونهم مصدر نبوغ الشعراء وارباب الالهام حتى في العصور الاسلامية الاولى .

فالكميت الاسدى لزم جنه " مدرك بن واغم " (٢) . وابو نجم العجلي استأثر لنفسه بشيطان فحل . قوله فيه :

" اني وكل شاعر من البشــر شيطانه انثى وشيطاني ذكــر (٣) "

ونصيب آنس بشيطانه الناصح (٤) . واتخذ عمر بن ابي ربيعة شيطانا مشتركا بينه وبين ابن ابي عتيق (٥) . فما برح الجن يلعبون دورهم على مسرح الشعر في العصور الاسلامية الاولى كما لعبوه في الجاهلية . وما زالوا يروونه ويتعرضون لنقده وتمييز قوالبه ومعانيه وينظرون في تشابيهه ويحكمون في اجوده وابلغه حكما يماثل احكام الانس في النقد في ذلك العصر كما ماثله في الجاهلية ايضاه ولما شغل الناس بتهاجي اصحاب النقائض وتعصبوا لهم ، وتقدموا منهم واحدا على آخر حذا الجن حذوهم في ذلك ايضا .

---

١) الحيوان ٦/ ٢٣٠ . بلوغ الارب ٢/ ٣٦٥ . الديوان ٤٢٢ .
٢) الجمهرة ٢١ . (٣) الحيوان ٦/ ٢٨٨ . (٤) الاغاني ١/ ٣٤٥ دار الكتب
٥) الاغاني ١/ ٩٨ دار الكتــب .

يروى القزويني عن بعض الاعراب انه ابق[١] له غلام فخرج يقفوا اثره. فبينما هو يسير اذ رأى اربعة يختصمون في شعر الفرزدق وجرير. فدنا اليهم وسلم عليهم وقال: ايهما اشعر؟ فقال شيخ منهم: الذى يقول[٢]:

وكل رضيع منتهاه رضاعه ... وكل كليبي من اللؤم راضع

فلم تتبعوا قول الهزيل ببابكم ... بني الكلب والحامي الحفيظة مانع.

فقال احدهم: والله كان "الصعب" شاعرا. ولقد كان "حاطب" له قرنا في الجواب حيث قال:[٣]

"اذا قيل اى الناس شر عشيرة ... واشر عارا قيل تلك مجاشع

ولو سفرت يوما نساء مجاشع ... بدت سورة قيمن تجن البراقع"

ثم انشد شيخ منهم:

"لا تعدلن بشعر كندة غيره ... الا اللواتي من مقال زياد[٤]

لله هادر في التريش لقد جنى ... منه العداة زيادهم بجياد"

فقال لهم الاعرابي: ما عرفت "الصعب" و"حاطبا" و"هادرا"! قال الشيخ: اما "الصعب" فالناطق على لسان اليربوعي[٥]، و"حاطب" على لسان الذبياني و"هادر" على لساني.[٦] فهؤلاء الشيخ جن يختصمون في شعر الفرزدق وجرير فيبرزون ما فاق به واحدهما على خصمه من جواب. ويقرون الفضل في قوة شعرهما لتوابعهما من الجن الذين اوحوه لهما، كما اوحوا لاسلافهما من فحول الجاهلية امثال النابغة

---

١) ابق: هرب. (٢) يقصد به الفرزدق. (٣) يقصد به جريرا.

٤) النابغة الذبياني. (٥) يريد به جريرا.

٦) القزويني ٢/ ١٦٢، ١٦٣.

الذى يقدمونه على جميع الشعراء • ولان تفضيل القدماء امر مسلم به عند جميع النقاد المحافظين حتى في العصور العباسية • فالشعر كان عندهم كالخمر ، اجوده اعتقه• ولما قامت الحركة الشعوبية وحمي وطيسها في الامصار وظهرت معالمها في الادب العباسي وقام النزاع الكلاسيكي بين القدماء والمحدثين وانبرى كل فريق على خصمه روعة الكلام وجودة الشعر عند الجن ايضا يرمون دلوهم بين الدلاء يتعصب فريق منهم للمحدثين هازئين بكل ما له علاقة بالعرب وباديتهم • فقد ورد معنا شعر على لسان الجن يشهد بذلك منسوب للعصر الاموى لان المقصود نقده به ذو الرمة حين قال :

"ايا ظبية الوعساء (١) بين جلاجل (٢) وبين النقا • اانت ام ام سالم !

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك لولا حمشة (٣) في القوادم •

اجابه جني من حيث لا يراه :

"اانت الذى شبهت ظبية قفرة لها ذنب فوق استها ام سالم !

وقرنان اما يعلقانك يتركا بجنبيك يا غيلان مثل المباسم • (٤)

وخلاصة القول في هذا الفصل ان الجن ما زالوا يلهمون الشعراء ويروون لهم ويتعرضون لنقد شعرهم اضيف اليهم ما جاء به الدين الجديد من الملائكة والشياطين •

---

١) رابية ليلة من الرمل •

٢) جلاجل : مكان •

٣) حمشة في القوائم: دقة السيقان •

٤) الموشح ١٦٩ •

الجن في الشعر العباسي

اما في العصور العباسية فان الايمان بالجن وصلتهم بالشعراء من حيث انهم مصدر الهامهم ، كاد يتلاشى تقريبا . فالعصر العباسي الذى تميز بالنشاط الفكرى والانتاج العلمي الذى غزرت مادته في شتى انواع المباحث (١) لم يترك متسعا لتلك المزاعم في الجن التي سيطرت على عقول الناس في الماضي . واصبحت الحقائق الراهنة هي التي تقنع الناس فيما يرومون استكشاف نواميسه . ونشطت حركة المعتزلة التي انكرت الجن ونفت وجودهم نفيا باتا فتأثر بهـا الشعراء لا سيما المائلون منهم الى مدرستها الفكرية . فانكروا ان يكون لهم من الجن معينا على القول وارادوا التخلص من مزاعم القديم . فبشاره الشعوبي المخضرم الذى نسب له ، رغما عنه ، وتكاية به جنا يلقنه الشعر استنكف منه وابى اعانته . قال :

" دعاني "شنقناق" الى خلف بكرة فقلت اتركني فالتفرد احمد ".(٢)

لانه يرى انه احمد في الشعر ان لا يكون له عليه معين . وابو نواس الذى ارتمى حياته في احضان الابالسة (٣) ، ابى الا ان يجعل زعيمهم يسجد له الف سجدة وهو الذى عصى ربه ان يسجد لآدم سجدة واحدة (٤) . فعبقريته الشعرية الفذة المتسامية به الى اعلى درجات النبوغ رفعته فوق مقدرة الانس والجن معا ، وقلبته

---

١) يستعرض الدكتور حتي هذا الانتاج في تاريخ العرب ص٤٤٤-٥١٦.
٢) الحيوان ٦/ ٢٢٧. ثمار القلوب ٥٥ .
٣) يراجع بلوغ الارب ٢/ ٣٦٦.
٤) الاغاني ١٦/ ١٥١ بولاق .

على ابليس فذللته له حتى انه اقر بالسجود امامه.

ثم ان مؤثرات العصرنة والبيئة الحضارية التي ازدهر بها الشعر العباسي اختلفت كل الاختلاف عن البيئة الصحراوية التي نشأ فيها الشعر الجاهلي والاموي. فتلك القفار النائية والصحارى الخالية ، وتلك الوحشة التي تعرفها الشاعر القديم واوحت اليه تلك العزائم والاوهام فيما يتعلق بعلاقته بالجن لم يعد لها اثر في بيئته الحضرية في العصر العباسي ، واننا وان عثرنا على بعض الشعراء ممن اتخذوا الجن تابعا وموحيا لهم على القول ، فذلك ورد اما على سبيل السخرية[1] او على سبيل التقليد الشكلي[2] ، كما جاء في رسالة التوابع والزوابع وما اخترعه فيها ابن شهيد من جن نسبهم للشعراء الذين تكلم عنهم. والجن الذين لمسنا عندهم ، في الماضي ، ذلك النشاط في الرواية والنقد وتلك الرغبة في المناقشات حول الشعراء في مجالسهم ونواديهم ، وذلك الشغف في مناشئهم لهم ومحاورتهم شعرا ، نراهم يستكنون في العصر العباسي ويلزمون عزلتهم ، بعيدين عن عالم الحواضر الآهلة بالالوف من البشر والعائلة بشتى المشاغل. وهم وان عاودهم الحنين الى مناجاة الشعراء والتعرض لنقد شعرهم فان الشاعر نفسه في هذا العصر لم يعد يقيم لرأيهم وزنا كما كان يجله في الماضي ويتمسك به. فابن دريد[3] عندما زاره مرة شيطانه ، "ابو ناجية" ، في المنام ، واخذ عليه عدم ترتيبه في الطي والنشر

---

١) مثلا لذلك ما وجهه اعشى سليم لبشار في هجائه:

"اذا الف الجني قردا مشنفا   فقل لخنازير الجزيرة ابشري"

٢) تراجع ص ٤/١١ من الاغاني دار الكتب.

٣) يعرفه ابن خلكان بانه ممن برز في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن احمد فيها وله شعر غزير. اعتنى بجمعه محمد بدر الدين العلوي ، ونشره سنة ١٩٤٦ في القاهرة.

لبيتين قالهما في الخمر لم يأبه له ولا اصلح ما استدركه عليه في شعره[١] .

يتبين لنا ، خلال هذه الفصول ، تطور الدور الذي لعبه الجن في الشعر وعلاقتهم بالشعراء . فقد كان ، في الجاهلية ، الايمان بقدرتهم على القاء الشعر على السنة الشعراء ، ايمانا وانتقاء فجل شأنهم وعظمت مقدرتهم . اما في عصور الاسلام الاولى فبدأ سموهم يتدانى واتجه الناس الى اجلال القدرة الالهية وتقديس ما هو مسخر لها من ارواح خيرة . اما في العصور العباسية فقد ضعف الايمان بهم حتى كاد يتلاشى لو لم يسعفهم القرآن الكريم على استمرار البقاء في المصنفات النثرية .

---

١) وفيات الاعيان ١/ ٦٣١ . رسائل ابي العلاء ١٠٨ ويرد فيها اسم شيطان ابن دريد ، "ابا زاجية" .

ادب الجـــن

شاع عند العرب ان لكل شاعر جنا يوحي اليه بقول الشعـــر فينطق به عن لسانه • والجن ، كما تبين مما مر معنا ، لا يلهمون الا الفحول من الشعراء • فاذا كان انتاج هؤلاء صادرا عن اولئك ، فالجـــن كلهم فحول ، وشعرهم من الشعر الرفيع الرائع ، خلقوا بعبقرياته المختلفة التي نطق بها عنهم امرؤ القيس في اوصافه والاعشى في خمرياته والنابغة فـــي مدائحه وجرير في نسيبه والفرزدق في اهاجيه ••• وتجلى نبوغهم فـــي عبقرية كل من عطفوا عليه ولقنوه بليغ الكلام وساحر البيان • ولكننا اذا عمدنا الى شعر الجن الذى روى عن لسانهم مباشرة في كتب الادب ، وحللناه ، وجدناه دون ما انطق به المبرزون من الشعراء بدرجات • فالعجيب ان ينسب اليهم شعر رائع جرى على لسان غيرهم ، فاذا ما نطقوا بلسانهم جاء شعرهم ضعيفا لا يليق بعبقريتهم ونبوغهم • مما يدل على ان هذا الشعر المنسوب لهم شعر موضوع على لسانهم يخدم مآرب مختلفة ، وليس لتلبية داعي الفن في حد ذاته • لذلك جاء خلوا من الروعة عاريا من الجمال • فان ناحليه ، كما يظهر ، لا ينتمون الى اهل النبوغ الفني بنسب • انما هم نظامون سبكوا الكلام في قالب موزون مقفى • ووضعوه على لسان الهواتف ابتغاء غرض معين • وانحصرت مواضيعهم فيه في الاعلانات والانذارات • فان معظم ما ورد من شعر الجن يدور حول امور عامة يهتفون بها لينذروا القوم بامـــر

ذى شأن يرومون تبليغه اياهم فلا يصل الى نفس متذوق الادب منه شيء •
وقلما تتجاوز اشعارهم المقطوعات القصيرة اكثرها من نوع الاراجيز • فاذا
عمدنا الى تحليلها من حيث المعنى ، وجدناها لا تتجاوز العادى البسيط ،
ومن حيث المبنى فليست سوى مجموعة من الفاظ عادية ، وقد تكون نابيــة
وعرة في بعض الاحيان ، تلتئم لتلبي الوزن والقافية • اما الاسلوب فهو
شبيه بالسجع البسيط • وقد ورد هذا الشعر ، كما زعم الرواة ، من الجاهلية •
ومن الغريب اننا لم نلمح فيه شيئا من فنون الجاهليين لا في دقة وصفهم
ولا حسن تشبيههم ، ورشاقة الفاظهم ، وجزالتها مع شدة اسرها واحتباك
نسجها فشعر الجن الذى اطلعنا عليه لا يتصل منها بسبب • وهذا مثال منه:

" يا ايها الركب المضل مذهبه   دونك هذا البكر منا فاركبه
حتى اذا الليل تولى موكبــه   وسطع الفجر ولاح كوكبــه
فخل عنه رحلــه وسيبـــه • (١)

وهو منسوب لهاتف من الجن يقدم لعبيد بن الابرص[٢] قيما يركبه
ليهديه اذ ضل طريقه في الصحراء • فهو شبيه بنظم الصبيان ، عمد واضعه
الى بعض غريب الكلام ليضفي عليه شيئا من الغموض يناسب ما يتصف بــه
الجن • ولا نجد فيه شيئا من الروعة الشعرية التي انسبها الجن لشعر اصحابهم من
الانس •

---

١) آكام المرجـــان ١٠٥ •
٢) من شعراء الجاهليـــة •

الجن في النثـــر الفني

الجن في النثر الجاهلي

اطلعنا الشعر الجاهلي على الكثير مما كان شائعا عند العرب من امر الجن وصلتهم بالشعر والشعراء ، كما بين لنا الكثير مما كانوا يصدقونه في عصرهم الاسطوري ، من خرافات تتصل بشؤون هذه الارواح . اما النثر فلا نجد فيه عن الجن اخبارا كثيرة . وربما يرجع ذلك الى قلة انتاجه في العصر الجاهلي . ويجوز ان يكون هنالك نثر جاهلي تضمن اخبارا كثيرة مطولة عن الجن ولكن عصر التدوين تغاضى عنه لصلتـه بالجاهلية وتثبيتها ، والاسلام حريص على طمس معالمها . ونحن نعلم ان العرب اثبروا الجن في جاهليتهم ، حتى العبادة ، فلا بد ان يكونوا اظهروا اهتمامهم في النثر الذي انتجوه اما ما وردنا منه في اخبار الجن فهو لا يتجاوز القصص القصيرة والنوادر العابرة مشتتة نتفا في مصنفات العصور الاسلامية التي قدمتها لنا على لسان ادباء اسلاميين ، كخبر حسان بن تبع الحميري وحية ابيدة الذي اورده الهمداني فــي الاكليل[١] . والحادثة التي جرت لعبد المطلب مع هاتفه عندما حفر زمزم[٢] فـي كتاب السيرة ، والقصة التي يوردها الميداني في مجمهرة الامثال لتفسير المثل "الحمى اضرعتنـــي للنوم"[٣] ولكن هذه النوادر لا تكفي لتشكيل ادب اسطوري عن هذه الارواح ، متصل الاجزاء مميز العناصر . اما ما اورده القرشي في الجمهرة ، والجاحظ في الحيوان ، والالوسي في بلوغ الارب ، وغيرهم فمعظمه يدور حول الشعراء وصلتهم بالجن . وما عداه فانه عرض لما كان يزعمه العرب في جاهليتهم من امر تلك الارواح .

---

١) تراجع ص ١١٢ من هذه الاطروحة . (٢) تراجع ص ٢٢ ، ٢٣ من هذه الاطروحة .

٣) تراجع ص ٣٧ من هذه الاطروحة .

واذا طالعنا النثر الذى دون عن لسان الجاهليين فلا نجد فيه ما يشير على انه وحي من الجن كما جاء معنا نحو عن لسان الشعراء انفسهم يعترفون انه من وحي شيطانهم. ولم نعثر فيما طالعناه على ما يفيد ان الجن كانت توحي النثر للأدباء كما كانت توحي الشعر للشعراء. وقد يكون سبب ذلك عدم بلوغ النثر من النضوج ما بلغه الشعر . ويظهر ان العرب لم تأخذهم في النثر روعة الاسلوب وسحر البيان ، ولم يلمسوا فيه نبوغا فنيا لينسبوا الابداع الادبي فيه الى الجن كما نسبوا الشعر اليهم. ولا هم قصروا عن تقليد الناثرين في نثرهم كما قصروا عن تقليد الشعراء في شعرهم ليقروا بالاعجاز ، وينسبوا القول المتفوق الى قوى خارقة فوق قدرتهم فيزعمون انه وحي من الجن يلقونه في روع شعرائهم ويسعفونهم على الابداع ، وهم عندما سمعوا القرآن الكريم لاول وهلة ، واخذتهم منه روعة الاسلوب وسحر البيان واقروا فيه بالاعجاز انما نسبوه الى وحي من الجن واتهموا الرسول بالشعر لانهم قاسوه على الشعر لا على النثر مع ان النثر الجاهلي تضمن السجع والتقفية ، كما جاءنا نثر الوعاظ والخطباء. اما اقوال الكهان فقد كان لها اثر سحري في الناس لما تضمنته من تنبوءات واسرار عجزوا عن كشفها . فكان اعجاب الناس بالكهان انبهارا لمقدرتهم على معرفة اسرار الغيب التي يبثها لهم تابعهم من الجن وليس اعجابا بسحر بيانهم وافتتانا بروعة ادبهم كما طربوا للشعراء ، ونسبوا نبوغهم الادبي للجن الذى خصهم بموهبة الكلام المعجز. اما ما تعطف به الجن على الكهان فكان تلك العين البصيرة النافذة التي تخترق حجاب الآتي وتستبين ما يخبئه للقوم من حوادث ومفاجآة وهم عنها غافلون. فمقدرة الكهان على ادراك اسرار الغيب هي التي كانت مستوحاة من الجن وليس ادبهم.

نتبين اذا ان الجن في النثر الجاهلي لم ترق اخبارهم كما راجت في الشعر وعلاقتهم بالناثرين كانت تنحصر بالكهان فقط وهي علاقة كانت تختلف بنوعها عن العلاقة التي قامت بينهم وبين المبرزين من فحول الشعراء.

الجن في الفكر الاسلامي

القرآن الكريم : يرد ذكر الجن في آيات عديدة من القرآن الكريم ، يثبت فيها وجودهم ، ويساوي بينهم وبين الانس في اعتبارات كثيرة فهم يشركهم في العبادة " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (١). ويجرى عليهم العقاب والثواب "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان" (٢) اى حين يحشرون الى الموقف ويحاسبون فلا يسألون لانهم يعرفون بسماهم . واذا كان يجوز عليهم العقاب فذلك لكفرهم وشركهم لانهم يتميزون عن الجن المؤمنين الذين سمعوا القرآن وولوا الى قومهم منذرين ، فمنهم من آمن واهتدى ، ومنهم من ضل وكان مصيره العذاب الاليم .(٣) وترد في الكتاب الكريم سورة كاملة عن الجن يأتي الكلام بها على لسانهم . وتظهر فيها انها ترمي الى دحض الكثير من معتقدات الجاهليين كما انها تخاطبهم بما فهموه واعتادوه من امر تلك الارواح الخفية التي كانوا ينظرون اليها بخلاف ما نظر اليها العرب بعد الاسلام . جاء معنا في كلامنا عن الكهانة ان العرب اكبروا قول الكهان وصدقوه لانهم زعموا ان الجن يلقنهم اياه. فقول الجن عندهم مصدق . وها هم الجن بانفسهم يستمعون الى القرآن الكريم فيلقون عجبا لامر لم يعلموا به من قبل ، وهو عبادة الرب الواحد والايمان بكلمته ورسوله... فينذرون قومهم اذ لا يجوز انذارهم للانس لانهم دونهم خلقا ، وليست اخبار السماء جديرة لان تحلل لهم حتى يتفردوا بتبليغها للانس، لان هذا

---

١) سورة الذاريات ٥٦ تفسير البيضاوي . (٢) سورة الرحمن ٣٩ تفسير البيضاوي
٣) تراجع سورة الجن.

الشأن من خصائص الملائكة الابرار الذين يكل الله اليهم الهام الانبياء والمرسلين كما جاء به القرآن. فما ينبأ به الكهان صادر من ارواح خسيسة اكبرها الجهال . وما ينبأ به المرسلون فهو وحي من الله. والملائكة الابرار يقومون بتبليغه لمختاريه من بني الانسان . وحرس السماء بشهب يرمي بها الشياطين فيحترقون اذا هم حاولوا استراق السمع فيسبقوا الملائكة بتبليغه للانس. واذا تطاول كافر ان ينسب كلام الله للجن فليخز ، لان ذلك دون مقدرتهم "قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله" (١) ومن المعروف ان الرسول اتهم بالكهانة والسحر والشعر نسبة لما الفوه في جاهليتهم من كهانهم. ولكنهم ما لبثوا ان رشدوا واهتدوا بنور الحق يبدد ظلمات ضلالتهم في وثنيتهم . فشهدوا ان لا اله الا الله . وان محمدا رسول الله وان القرآن كلمة الله وما دون ذلك فهو شرك وتضليل . فعلى ضوء هذه العقيدة يمكننا تفهم ما ورد عن الجن في القرآن وتقديره حق قدره . فكل ما اشرك الله به في العبادة فهو ادنى من ان يعظم لان الله خالق كل شيء واليه مرجع كل شيء . وقد رفع الله آدم وخلقه من طين "خلق الانسان من صلصال كالفخار" (٢) وامر الملائكة بالسجود له . "وخلق الجان من مارج من النار" (٣) فكيف يهين الناس انفسهم

---

١) الاسراء ٨٨ . (٢) سورة الرحمن ١٥ .

٣) سورة الرحمن ١٥ .

ويكبرون من جعله الله مسخرا لهم وحمله على السجود لابيهم آدم . وابى ابليس ان يسجد فطرده الله من الجنة ولعنه مع كل الشياطين ، اتباعه الذين ما زالوا دائبين على الكيد لبني الانسان ، حسدا منهم ، وثأرا عليهم . فترى ان هذه الارواح الخفية التي عرفت في الجاهلية بالجن يحللها الاسلام تحليلا جديدا فيقسمها الى ملائكة خيرين وشياطين اشرار. فكل ما هو خير ، في سبيل طاعة الله ، صادر منها .

وكل ما هو شر ، مخالف لارادته تعالى ، صادر من الشيطان . والشيطان عدو الانسان ، وعدو الله : " ان الشيطان للانسان عدو مبين "[1] ، "وكان الشيطان لربه كفورا " [2] . والله يحب الانسان ويريد به خيرا ويبين له الصراط المستقيم الذى يهديه الى سعادة الدنيا والآخرة فكيف به يتبع خطوات الشيطان ، عدوه ، الذى لا يضمر له سوى التضليل والخراب ، وقد اخرج ابوه آدم من الجنة [3] وهو ما زال يسعى لسلب النعيم من ابنائه . ورب مجادل يقول : ولما لا يهدى الله هذه الارواح الخبيثة الى الخير. فيجيبه القرآن مذكرا : " يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي "[4] فالله لا يبغي سوى الهداية والخير للجن والانس على السواء .

---

١) سورة يوسف ٥ تفسير البيضاوى . (٢) سورة الاسراء ٢٧ تفسير البيضاوى
٣) راجع سورة الاعراف ٢٧ تفسير البيضاوى . (٤) سورة الانعام ١٣٠ .

وكان للآيات التي ورد فيها ذكر الجن والملائكة والشياطين ، شروح واجتهادات وتعليلات ، خرج بها الرواة والمتطلعون عن الحدود المرسومة لها في الكتاب ، وحاكوا حولها القصص والاخبار حتى جعلوها في باب الاساطير ، التي تتنافى ووقار الدين ، مما حمل الامام علي على معاتبة كل من يتحدث بهـــا (١) .

ولما سمع الناس بسورة الجن ذهبوا بتأويلها كل مذهب واستغلوها لينطقوا الجن بضروب من الشعر ، وانواع من الحكايات والاخبار . (٢)

ولا يخفى ما كان للقرآن من تأثير في اساليب النثر في العصر الاموي ، فقد استغل الخطباء والكتاب نواح ادبية كثيرة منه اقتبسوها ولجأوا الـــى تقليدها في كتاباتهم وخطبهم ليجعلوها اشد اسرا وابلغ اثرا في النفوس . وكان من جملتها ما ورد عندهم في التعبير بالجن والملائكة والشياطين الذين ورد ذكرهم في القرآن ، واستعاروها وتفننوا في تصويرها تحقيقا لغايات مختلفة كانوا يرومونها .

وما ان اطل العصر العباسي ، عصر التدوين والانتاج ، والحركة الفكرية ، حتى هب العلماء يدونون لنا اخبار الجن والملائكة والشياطين ، ويهتمـون بها اهتمامهم بامور كثيرة وردت في القرآن ، فحملوا لنا اخبارا كثيرة عنها رجعوا بها الى ما قبل الاسلام ، فما الفوا الكثير في اخبارها بعده ، واولوه غايتهم وحاكوا حوله التفسيرات والاخبار فكانت هذه مادتنا فيما استندنا اليـه من مادة لاطروحتنا هذه .

---

(١) يراجع تفسير الكشاف ٢/ ٢٨٠ . (٢) يراجع في الادب الجاهلي ٢٤١ـ١٥٠ طبعة رابعة .

الجن والارواح في السيرة النبوية

حصر العرب كل اهتمامهم بالقرآن ، واهتموا بجمعه وتدوينه ، فتم ذلك في زمن عثمان بن عفان . وتحاشوا تدوين الحديث حتى زمن عمر بن عبد العزيز مخافة ان يختلط الحديث بالقرآن . وانشغلوا بالفتوحات ومناقب الاحزاب وغيرها فكانت فترة الاسلام الاولى مرحلة نضال وتأسيس . وما ان استتبت الامور لمعاوية بن ابي سفيان في الشام [1] حتى التفت الى تراث العرب القديم ، واستقدم عبيد بن شريه [2] من صنعاء يدون له كتابا في اخبار الملوك الماضين [3] . ثم توجه العرب الى تدوين السيرة النبوية حبا بالرسول وتخليدا لآثاره . فقام اصحاب الرواية يدونون كتبا في السيرة النبوية حتى انتهت الى شيخهم ابن اسحق المتوفي سنة ١٥٢ هـ . وجاء ابن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هـ . فنقل عنه محدثا تغييرات ، تاركا بعض ما يذكره ابن اسحق "مما ليس للرسول ذكر فيه ، ولا نزل فيه في القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من الكتاب ، ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه ... " [4] مما يبين لنا الصلة القائمة بين السيرة والقرآن . وتتناول السيرة كل ما يتعلق بالرسول ، وما سبق مولده من ارهاصات وما يتعلق بنشأته وطفولته ... وما اتصل بتلك النشأة من خوارق يرتبط حدوثها به . ثم حياته ثم نبوته وجهاده في سبيل الله الى وفاته . فنرى ابن هشام يربط نسبه

---

(١) تولى الخلافة ٤٠ـ٦٠ هـ . (٢) من مشاهير الاخباريين .

(٣) تاريخ العرب ، حتي ٢٩٤ ، ٣١٢ . (٤) السيرة ١/ ٤ .

باسماعيل الى آدم ، شأن الانبياء الأبرار على ما في روايات القدماء • وليس من المألوف ان تكون ولادة نبي عظيم ولادة عادية فاحاطتها الاخبار بتنبؤات عجيبة وصلت بها الى ربيعة بن نصر ، احد ملوك اليمن القدماء ، عندمـــا رأى رؤيا اقلقته فاستقدم شقا وسطيحا [(1)] لتأويلها ، فانبآه بهبوط الاحباش ارضه ، ثم زوالهم عنها على يد سيف بن ذى يزن وزوال ملك الاخير بقدوم نبي عربي ... [(2)] وتحققت نبوءتهما حتى تم فيها ما اتصل بمجيء النبي محمد في قريـــش •

ونحن نعلم ان الجن كانوا يلقون في روع الكاهن اسرار علم الغيب نحضروا لشق وسطيح واخبروهما بالحدث العظيم الذي سيكون في قريش • وانتقلت هواتفهم بعد سنين لتعلن الى آمنة — ام الرسول — " انها قد حملت بسيد هذه الامة ، وطلبت منها ان تسميه محمدا ، وتعيذه بالواحد من شر كل حاسد لان سيكون له شأن عظيم ". [(3)] وما ان بلغ الرسول اشهرا من عمره حتى حضر عليه ملكان ، في ثياب بيضاء ، فاخذاه واضجعاه ، فشقـــا بطنه ... فجزعت حليمة [(4)] عليه وظنتهما شيطانين يريدان به شرا ، فاسرعت الى امه خائفة مضطربة ، تعلمها بما جرى • فهدأت آمنة روعها قائلة : " لا تخافي عليه من الشيطان ، لانه محروس منه ، فقد رأيت اثناء حملي به ، نورا عجيبا ، انار لي قصور بصرى [(5)] وارض الشام ". [(6)]

---

١) من مشاهير الكهان في الجاهلية • (٢) السيرة ١/ ١٥ — ١٩ •
٣) السيرة ١/ ١٦٦ • (٤) هي حاضنة الرسول • (٥) من اعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران • (٦) السيرة ١/ ١٧٤ •

ولم يرد تعريف لهذين الوصفين انهما ملكين جاءا ليطهرا قلبه بل ترك هذا الامر المقدس للنبي ذاته يتبينه عندما بلغ الاربعين من عمره وحضر عليه الملاك جبريل يبلغه ما اصطفاه الله من اجله وينقل اليه كلمته آيات مرسلا ملائكته لمناصرته في الجهاد (1) . من هنا نشاهد بداية طور جديد في نظرة العرب الى الارواح الخفية التي عرفوها في جاهليتهم بالجن.

وبما انهم اعتادوا ان يتلقوا الحوادث الجسام تكهنات وتنبوءات يعلنها لهم كهانهم في الجاهلية عن وحي من جنهم اضطروا الى تقبلها في الاسلام تحقيقا لمجيء الرسول ، مع انها تتنافى وتعاليم الدين الجديد . كان الرسول ابطل الكهانة والسحر ، ونزع من الجن ما كانوا يتمتعون به من مكانة عالية في عالم الارواح وما تواطأ عليه الناس من انها ارواح طاهرة خيرة ، هي الملائكة . وميزها عن غيرها من الارواح الفاسدة الشريرة وهي الشياطين . وكان جبريل رئيس الطائفة الاولى وابليس زعيم الفئة الثانية . وحضرت هذه الارواح على مسرح الدعوة الاسلامية لتقوم بدورها فيها . فهب الملائكة يؤازرون المسلمين في نضالهم مع المشركين ، وانحاز الشياطين الى صف المشركين يزينون لهم ضلالا مؤدين بهم الى الهلاك . وقد حاولوا التسلل الى صفوف المجاهدين ولكنهم لم ينالوا منهم وطرا بقدرة الله . واذا سئلنا عن موقف الجن ، في هذه الحقبة ، من النضال نجيب انهم انشقوا فيما بينهم الى فئتين : مؤمنين وكافرين . فالمؤمنون انخرطوا في سلك الملائكة الابرار ، والمشركون مالوا الى حظيرة الشياطين . وتحولت هواتفهم الى ارواح تظهر في الرؤيا مرشدة للمؤمنين

(1) السيرة ٣/١١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٥٦ . ٤/٨٢ .

بينما نشاهدها هواجس مبلبلة مضللة للناظرين • والرياح التي كان يتراءى بها الجن في الجاهلية اصبحت في الاسلام بشارات بالخير تحملها الملائكة لنصرة المسلمين (١) • وتجمع السيرة طائفة من خوارق هذه الارواح كما تجمع طرائف التعليلات الاسطورية الساذجة لكل امر عظيم •

وكان تقديس الناس للسيرة مانعا لهم عن نقدها لما فيها من اخبار تتصف بالبعد عن المعقول • ومع ذلك نقد تقبلها المتأخرون ونقلوا عنها ناحين منحى ابن هشام في سرد محتوياتها دون ان يحدثوا فيها اى تبديل يمس جوهرها • انما اجتهدوا في عرضها وتبويبها وترتيبها : فمنهم من اختصرها كالسمهودى المتوفي في ٩١١ هـ • ومنهم من طولها راجعا بالاخبار فيها الى آدم ، كالسهيلي المتوفي حوالي ٦٢٥ هـ • ومنهم من نظمها شعرا كابن سعد الديرى المتوفي في حدود سنة ٦٠٧ هـ • فورثت اخبار الجن والملائكة والشياطين في المصنفات الاسلامية ، منقولة عنها ، لم يطرأ عليها اى تغيير •

الجن في النثــر العباسي

اذا عدنا الى الشعر العباسي وجدنا اخبار الجن فيه قليلة نادرة ، مع ان هذا الشعر ورد غزيرا متنوع الفنون والمواضيع. فالشعراء الذين تتميز تصوراتهم بجولاتها البعيدة في عالم الخيال، شاءوا ان يحصروها ضمن حدود الخطة التي رسمها لهم اسلافهم الكلاسيكيون ، فلم يطرقوا باب الاساطير في مواضيعهم ولم يخطر لهم ان يميلوا الى خرافات القدماء يستمدون منها فنونا واقاصيص يصوغونها بقوالب شعرية. فقد حصروا اهتمامهم بالمواضيع الحديثة من الشعر اما المجددون منهم فقد استنكفوا من التقليد ولم يتعرضوا لموضوع الجن وما جاء عنهم في الاساطير. لذلك بقي هذا الباب موصدا دونهم موقوفا فتحه على الناثرين من ادباء ذلك العصر، ليتحفونا بروائع ما انتجته عبقريتهم الادبية ويطلعونا على عالم الجن الذي رسمته لنا مخيلتهم الفذة .

وقد جاء نثرهم من باب التفكهة ، فتناولوا به ما شاع عند طبقات الناس عن الجن من خرافات واساطير بغية التندر والامتاع. ومنهم من عرض لهذا الموضوع بقصد النقد والسخرية هازئين بتلك المزاعم وبعقول المؤمنين بها. ولن نتعرض لجميع مدونات ذلك العصر التي حفظت لنا تراث العرب الاسطوري انما نحصر اهتمامنا بتلك التحف الادبية من النثر الفني الذي اعتمد فيه واضعوه الجن والارواح مادة لتآليفهم ، فما وردتهم الاخبار عنها من الجاهلية . وكان ابرزهم الهمداني ، وابن شهيد وابو العلاء المعري. وفيما يلي نماذج من فنونهم النثرية التي تضمنت اخبار الجن وكانت من آثار هذا العصر .

الجن في مقامات البديع :

هو ابو الفضل احمد بن حسين المعروف ببديع الزمان الهمداني من ادباء القرن

الرابع الهجري [1] واليه ينسب اختراع المقامات . والمقامة [2] نوع من القصص القصيرة تتناول موضوعات ، ادبية ولغوية واجتماعية ، واخبارا ونوادر يودعها الكاتب رأيا من آرائه او مثالا من براعته او نموذجا من سعة علمه . وراوية مقامات البديع رجل يدعى عيسى بن هشام ، اما بطلها فهو ابو الفتح الاسكندري ، صاحب العقل الراجح والرأي السديد والعلم الوافر والحيلة الواسعة وقد خبر الحياة بشتى ضروبها ، فذاق حلوها ومرها ، وتنكر له الدهر حتى اضطره الى الانحدار الى هوة الكدية ، وجعل حياته سلسلة من الاسفار والمغامرات .

<u>المقامة الابليسيه : [3]</u>

وهي اكثر ما يعنينا من المقامات لما يرد فيها من اخبار تدور حول الشعراء واصحابهم من الجن . وبطل الحادثة فيها ، راويتها ، عيسى بن هشام . فقد اضاع ابلا له ، وخرج يطلبها ، فحل بواد خضر ، فيه انهار واشجار واثمار وازهار ، واذا شيخ جالس فارتاع منه . ولكن الشيخ هدأ روعه اذ امره بالجلوس ، وسأله عن حاله فاخبره بابله فارشده اليها ، ثم سأله اذا كان يروي من اشعار العرب شيئا . فانشده لامرئ القيس وعبيد ولبيد وطرفة . فلم يطرب لشيء من ذلك فاخذ ينشده من شعره :

" بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل اقرانا "

حتى اتى على القصيدة كلها . فقال له عيسى بن هشام : يا شيخ هذه القصيدة لجرير !

---

1) ابن خلكان ١/ ٤٧ . (٢) ويرد شرح الكلمة في الموسوعة الاسلامية بمعنى النادي او مجتمع القبيلة . ويبدو ان قصص البديع في رحلاته السندبادية كانت تستغرق حوادثها جلسة واحدة او "مقامة" . (٣) المقامة الابليسية من مقامات البديع ١١٠ .

فما عبأ بقوله ٠ ثم قال له : ما احد من الشعراء الا ومعه معين منا ٠ وانا امليت
هذه القصيدة على جرير ٠ وانا الشيخ "ابو مرة" ٠ فهذه القصة شبيهة بما اورده
القرشي في كتاب الجمهرة عن الجن والشعراء[١] فقد اعتمد الهمداني ما كان شائعا
عند العرب من وحي الجن الى شعرائهم ليفيد باسلوب مبتدع في فنه المستحدث ٠

الجن في رسالة ابن شهيد :

ابن شهيد من ادباء الاندلس ٠ نشأ في قرطبة وعاش فيها وتوفي سنة ٤٢٦هـ[٢]
عرف شاعرا وناثرا لكنه برز في نثره اكثر منه في شعره لما كتبه من رسائل تناول فيها
اغراضا شتى ٠ اشهرها على الاطلاق : رسالته في التوابع والزوابع. يوردها ابن بسام[٣]
في كتاب " الذخيرة" غير كاملة لانه وجد ان صاحبها قد جاوز حد الاطناب والاسهاب[٤]
يوجهها ابن شهيد الى صديق له يدعى ابا حزم يخبره فيها عن حنينه الى الادب
وحبه للادباء وشغفه بتحصيل العلم منذ حداثته ٠ ثم ينتقل الى خبر حبيب له مات
فاراد رثاءه فارتج عليه القول وافحم ٠ وبينما هو في حيرة اذ حضر ببابه فارس على
فرس ادهم فصاح به : اتعجز يا فتى الانس؟ فاجابه : لا وابيك ، للكلام احيان وهذا شأن
الانسان! [٥] وكان هذا تابع ابن شهيد حضر اليه لينجده في حالة جموده ٠ كان الكاتب
كان شديد العجب بعبقريته الادبية فابى الا ان يكون له معين عليها تأسيا بالقدماء

١) الجمهرة ٢٢ ٠ (٢) ابن خلكان ١/ ٤٢ ٠
٣) هو ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني من ادباء الاندلس توفي سنة ٥٤٢ للهجرة ٠ اشهر
مؤلفاته "الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة" ٠ قلد به الثعالبي في "اليتيمة" ٠ كانت غايته من
تأليفه اثبات ما للاندلس من تفوق في العلم والادب ازاء المشرقيين عليهم من اهل المشرق ،
ولم يطبع من الكتاب حتى الآن سوى جزئين في مصر ٠
٤) الذخيرة ١/ ٢٣٨ ٠ (٥) الذخيرة ١/ ٢١٢ ٠

من اساطين الشعر واعلام الادب • فابتدع لنفسه رئيا دعاه "ابا نمير" جعله انجع الجن وحمله على العطف عليه والرغبة في استخلافه بتعليمه ابياتا متى انشدها يحضر اليه حالا • ثم شق الحائط بجواده وانصرف عنه ، واصبح منذ ذلك الحين ، كلمـــا ارتج عليه القول او خانه الاسلوب ينشد تلك الرقية ليحضر اليه تابعه حالا ويسعفـه على القول • وتوطدت اواصر الصداقة بينهما فكانا يجتمعان ويتحاوران في الادب واخبار الخطباء ، والشعراء الى ان طلب منه ذات يوم ان يجمعه بتوابع هؤلاء الادباء والشعراء الذين طالما تاقت نفسه لمعارضتهم ومحاورتهم • فلم يتوان تابعه عن تلبية طلبه وانطلق به على متن جواد وسارت كالطائر يقطع الفلوات حتى شارفا جـــوا مختلفا عن جو الانس ، متفرج الشجر ، عطر الزهر ، فاشار الى انه قد حل ارض الجن • ويظهر ان ذلك الجو العطر ، النضر بازهاره واشجاره ليس سوى الجو الذي اراد ابن شهيد التفرد به ليجعله مهبط جنه ومورد فنه • وهنا تبدأ جولته الادبية في عالم الجن ، يلتقي فيه توابع كل الشعراء المبرزين الذين سلفوا من الجاهليـــة حتى عصر ابي الطيب • نتعرف الى تابع امرئ القيس في واد ذي دوح تتكســـر اشجاره وتترنم اطياره ... [1] ثم طلب منه ان يسمعه بعض فنونه • فانشده قصيدة سلك فيه مسلك امرئ القيس في النظم يثبت آخر خمسة ابيات منها في الرسالة • يورد فيها وصف الليل الذي يشبهه ببحر جائش ، "امواجه تتكسر" [2] • مقلدا امرأ القيس في تشبيهه الليل بموج البحر ، وقد ارخى سدوله • ولكن شتان مـا

---

١) الذخيرة ١/ ٢١٣ •

٢) الذخيرة ١/ ٢١٣ •

بين الاصلي والتقليد من حيث الجزالة والايجاز ومن حيث الدقة في المطابقة ما بين المشبه والمشبه به ، فان ليل امرئ القيس في هبوطه ، واحتلاك ظلامه ، وامتداد اوله واخره اروع من ليل ابن شهيد وادعى الى جيشان الاحلام والمشاعر في نفس الشاعر . ومع ان ابن شهيد قد قصر عن امرئ القيس في براعة التصوير وجزالة اللفظ ودقة الوصف وروعة الخيال فان تابع امرئ القيس لم يلتفت الى هذه الامور بل اجازه وشهد له بالتفوق . فانصرف ابن شهيد مغتبطا ، معتزا بشهادة سيد الشعراء له ليقابل طرفة ، زعيمهم . فانشده لامية ، اورد في الرسالة جزءا منها ، في وصف صيده وتنصه مع اصحابه ، على متون جياد كريمة ، يطأون بها ابكار النور ، وكأنها رداء عروس . ولما رموا شادنا اغن ، نزلوا وبادروا بالشراب واداروا بينهم كؤوس الخمر المشعشعة حتى انتشوا سكارى ، مرتمين صرعى على الزهراء كانهم اساطين قصر او جذوع نخيل . وقد وفق ابن شهيد في تقليد طرفة من حيث التصميم الذي رسمه لمقطوعته ، والتشبيهات الجاهلية التي ادخلها في ابياته من الفاظ وتشابيه ولكنه تفوق عليه بهذا الجو المشرق ، الطلق ، الارج الذي اسبغه على شعره ، فهو جو الاندلس يتفسح من ابياته هذه وليس جو الصحراء الذي عاش فيه طرفة . ويظهر ان تابع طرفة دقيق الفهم للشعر ، فطرب له واجازه فورا . واكتفى صاحبنا بشهادة هذين السيدين من شعراء الجاهليين . ثم الح على صاحبه زهير ان يحمله الى تابع ابي تمام الذي كان يتلهف لرؤيته . فلبى طلبه زهير وانطلق به . ولكن فارسا اعترضهما في الطريق ، هو "ابو الخطار" ، صاحب قيس بن الخطيم ، فعتب عليه لانه تغافل عن زيارته ثم امره ان ينشده وهدده بالشر اذا لم يجد . فانشده قصيدة

استهلها بالغزل وتخلص الى المدح ببراعة وانسجام مما اعجز ابا الخطار فشهد له ببراعته في حسن التخلص واجازه [1] . ثم تركه واسرع لمقابلة "عتاب" صاحب ابي تمام . ولما رآه هابه لجلاله ووقاره فلم يجرؤ على استنشاده ، ولا هو تجاسر على القول امامه . غير ان تواضع "عتاب" [2] شجعه على الكلام . فانشده مقطوعات من رثائه يقلد فيها رثاء ابي تمام الذي جاء في الملوك والعظماء ، تتخلله حكم وعبر في صروف الدهر وحكم القدر . فاعجب "عتاب" بشعره وقال له : ما انت الا محسن على اساءة اهل زمانك . ان كنت لا بد قائلا ، فاذا دعتك نفسك الى القول ، فلا تكد قريحتك ... فاذا اكملت فجمام لا اقل ... اهل وتقع بعد ذلك . [3] .

فتابع ابي تمام لم يجزه ، بل استحسن شعره ، وفضله على زمانه من الشعراء الذين اعتبرهم مسيئين الى الشعر وفنونه الصحيحة . وقد انطلق ابن شهيد صاحب ابي تمام بهذه الآراء ليبين ان الطبع عنصر اساسي للشعر ولكنه لا يكفي اذا لم تثقفه الصنعة ويجوّده التنقيح . ويبدو انه اراد بذلك تبرئة شعره من التكلف والتقليد فهو وان قلد سواه من المتقدمين فهذه صنعة يتقنها ، تأتيه عفو السجية والطبع وهو لا يتعمدها . وها صاحب ابي تمام ، استاذ الشعراء ، ينصح له باتخاذ الطبع والتثقيف منحى له للاجادة فلا بأس عليه ان هو اتاه مسترشدا باراته . وهو وان لم يجاره نبوغا وجلالا فانه يظل افضل اهل زمانه على كل حال .

وتطمئن نفسه لهذه المقابلة فينصرف من عنده . ويقوده "زهير" الى قصر عظيم يلقى فيه "ابا الطبع" تابع البحتري . فينشده قصيدة رام التفوق عليه بقوة الطبع

---

١) الذخيرة ١/ ٢١٦ . (٢) عتاب : صاحب ابي تمام .

٣) الذخيرة ١/ ٢١٩ .

وصفاء الخيال ودقة الوصف كما رام ان يبرز ما عنده من حسن ذوق في اختيار
الالفاظ والتراكيب ، حاذيا حذو تابع ابي تمام الذي تخلف عنه البحتري ايامئذ
مستهدفا في ذلك ان يبين لحساده انه هو وحده التلميذ النجيب في مدرسة استاذه
وليس البحتري الذي غشي وجهه قطعة من الليل عندما سمع شعره ، وكر راجعا
الى ناورده دون ان يسلم واجازه على مضض منه .[1] وكأن "ابن نمير" خشي
ان يكون قد اساء الى جن البحتري بتلك البادرة فاراد ان يتلافى النفور الذي
حصل ، ويتدارك الموقف ، فطار بابن شهيد الى رأس جبل حيث يقيم تابع ابي نواس
في "دير حنة" الوافر بالخمر العتيق الطيب . فالفوه غارقا في سكرة ما بعدها
سكرة . فسلم عليه ، فاجابه بجواب لا يعقل لغلبة الخمر عليه . ولما انشده من
خمرياته ، قرع اذن نشوته ، ورد اليه وعيه . فطلب منه المزيد . فانشده من رثائه
ومجونه ما حمله على الرقص طربا لما لمسه عنده من سلاسة وقوة طبع وموسيقى شعرية
تتدفق من اوزانه والفاظه واعجب بابتكاراته التي اعترف له انها مما لم يلقها به الى
احد قبله .[2] وانصرف ابن شهيد قاصدا خاتمة الشعراء ، ابي الطيب المتنبي .
وقبل ان يصل اليه ، اوصاه "ابن نمير" ان ينشد له حيازيمه ، ويمطر له سميه ،
وينثر عليه نجومه . وانشده من عيون شعره قصيدة ضمنها زبدة فنونه وابتكاراته ،
وصف في مستهلها البرق الذي شبهه بانامل تشير الى الربى وقد نساجا الغمام
غلائل صفرا وبيضا من الزهر . ويبدع في وصفه ابداعا يحلق فيه لما يودعه
من معان مبتكرة وتشبيهات رائعة دقيقة تتجلى فيها سعة خياله الذي يجعل سحرا

---

1) الذخيرة ١ / ٢٢١ . (٢) الذخيرة ١/ ٢٢٥ .

في اللوحات الرائعة التي يرسمها بالفاظه الرشيقة ثم ينظمها نظما بارعا ، ينساب فيه المعنى ، الى شكوى زمانه الذي رفع شعراء وادباء وفقهاء ، من معاصريه ، الى منزلة الرفعة وهم في الحقيقة جاهلون سخفون ، ناهبون ، مزيفون لا يستحقون الذكر . فلما سمع "حارثة بن المغلس" تابع المتنبي ، قصيدته هذه اخذه العجب من عبقريته وقال "لابن نمير" : ان امتد به طلق العمر ، فلا بد ان ينفث بدرره ، وما اراه الا سيحتضره بين قريحة كالجمر ، وهمة تضع اخمصه على مفرق البدر". (1) فقدمه على جميع شعراء عصره واقر له بالقريحة الفذة والشعر الرائع .

فكأن ابن شهيد لم يلق في عالمه الانسي ناقدا جديرا بتفهم شعره وادراك اسرار فنونه فراح يلتمس التقدير من توابع فحول الاندلسيين ، اصحاب الآراء المعتبرة في الشعر وفنون الادب لانهم يفهمون ما يسمعون ويميزون ما ينقدون . وقد جاراهم في ابرز مواضيعهم واروعها ليشهدوا له بالتفوق والاجادة . فعالم الجن الذي ابتدعه لنفسه في الرسالة ليس عالم شعراء وادباء فحسب بل ونقاد واساتذة يجيدون النقد والتوجيه . وقد وفق ابن شهيد في هذه الرحلة من نواح عدة :

١- لانه برع في تصوير جن كل من الشعراء وابرز فيه الشخصية الادبية الفذة التي تميز بها كل شاعر . فتابع ابي نواس ، كما وصفه ، مثلا ، مستغرق في سكرة لا يصحيه منها الا التنبه لقول الشعر او لسماعه . فكأنما اراد ان يشهد له بنبوغه في فنه الذي خلد به ولم تتحكم حياته الشخصية . وما اثر الخمر شيئا في

---

١) الذخيرة ١/ ٢٢٨ .

مهابة علمه الغزير وغزارة اطلاعه الواسع •

٢— واجاد في انطاق جن كل من الشعراء بما هو خليق بالشاعر ملائم لسجاياه • فكأنه عاشره وحادثه وخبر اساليب احاديثه وابحاثه في الكلام وروحه فيه •

٣— وفق في خلق الجو المناسب الذى مهده لكل من التوابع• فنراه يقابل تابع امرىء القيس في واد ذى دوح تتكسر اشجاره وتترنم اطياره لما اشتهر عن الشاعر من جلسات انس وطرب وخمر في دارة جلجل وغيرها • ويلقى تابع البحترى في قصر عظيم ، قدامه ماء وند ، يتطارد فيه الفرسان : وذلك لشهرة البحترى في وصف القصور وزخارفها ، وجنائنها ، وبركها ••• وبراعته في مدح الامراء والفرسان وما اودعهم من مآثر الشجاعة والكرم والنبل •••• ويظهر ان براعة ابن شهيد في تصوير جن الشعراء وخالعهم ترجع الى طول باعه في الادب وفنونه ، ودقة تفهمه لشخصية الشعراء وخبرته بفنونهم وتذوقه لروائعهم يضيف على ذلك ما نعلمه مقلدا طريقة كل منهم سالكا مسلكه حتى كأنه يبعث فيه ليقول او كأنه يتلقى الكلام من ارواح الشعراء الغابرين • فيخيل الينا انه يمثل تلك الفئة من ادباء الاندلس التي حنطت الى المشرق فنون مشرقها واساليبه في العلم والادب • وكأن عالم الجن الذى زاره ابطاله في رحلته ليس سوى المشرق عاوده الحنين الى زيارته والرغبة في التعرف على مجيدى ادبائه وروائع شعرائه • ولم تقتصر رحلته على زيارة الشعراء بل تعدتها الى زيارة العلماء ايضا والخطباء والنحاة واللغويين والفقهاء ، وكلهم من المشرق • فقد شاهد تابع عبد الحميد والجاحظ وتعرض لهما بمناظرة في السجع ، ووصف برغوثا محاكيا به مصنف الجاحظ في كتاب "الحيوان" • ولما شهد له بالتفوق انصرف من عنده ليشاهد "زبدة الحقب" صاحب بديع الزمان الهمداني الذى طلب منه ان يصف جارية فنصل ، مقلدا فيه في

اسلوب المقامة . ثم نراه يشترك مع الجن في مناقشات ادبية ، يحللون الشعر وينقدونه ويعرضون للشعراء وتنتقل عدوى المجادلات الادبية منهم الى حيواناتهم فنشاهد خلافا في ناد لحمير الجن وبغالهم بسبب تحريب لحمار وبغل من الخزاليين فيحكمون ابن شهيد فيهما . وتعترض له اوزة [1] هي تابعة لبعض الشيوخ تريد مناظرته في النحو والغريب . وكأنه اراد بها تسخيف المتصنعين في العلم والادب وتسخيف آرائهم الفارغة ومجادلاتهم العقيمة . وهنا تنتهي الرسالة في كتاب الذخيرة .

نرى ان جن ابن شهيد ليسوا سوى ادباء وشعراء ونقاد ونحاة . فهو يقودنا الى عالم الجن الادبي الذى لا تختلف اوصافه عن دنيا البشر ولا تختلف تصرفات جنه عن تصرفات الشعراء والادباء ، اصحابهم . والموضوع طريف في حد ذاته ابتدعه الكاتب ليستشهد بتوابع فحول الشعراء على تفوقه في شتى فنون الشعر نثرا بمصادقة وافحاما لاخصامه . ولعله من اول من اعتمد اساطير الاقدمين ومزاعمهم في وحي الجن للشعراء واتخذها مادة لرسالته . ثم تلاه ، في هذا المضمار ، ابو العلاء المعرى في رسالة الغفران ورسالة الملائكة ورسالة الشياطين لابدع . ولكن ابن شهيد يظل محتفظا بفضل الاسبقية .

الجن في رسالة الشياطين ورسالة الغفران

تعتبر رسالة الغفران تحفة رائعة في الادب العربي . فهي ابدع ما انتجته

---

١) كذلك يجعل ابو العلاء الاوزة "تابعة" لاصحاب الجدل والشجار في العلم والادب تراجع ص ١٢٨ من رسالة الغفران .

عبقرية ابي العلاء لما يتجلى فيها من سعة خيال ، وجمال تصوير ، وتحرر فكري مما كان يسيطر على عقول الناس مـــــن معتقدات واوهام . وكانت جرأة ابي العلاء في شق طريق الى دار الخلود يعرض على مسرحها تمثيلية الغفران فتحا جديدا في عالم الفكر العربي .

"فالفيلسوف" الضرير الذي حيرته مشاكل العالم واقلقت نفسه ، واجبرته الظروف على كتمان آرائه والمداراة في عرضها حتى ضاق به الصدر ، انطلقت بصيرته الى ما وراءه ، الى عالم الابدية ، تستطلع اخبار سكانه وتعرضها لنا باسلوب ساخر دقيق تظهر فيه آراء ابي العلاء جلية في الخلود والجبرية والثواب والعقاب والجنة والنار والخير والشر والانبياء والملائكة والشياطين والجن والانس ... التي بدت غير ناضجة قبل ذلك في رسالة الملائكة ورسالة الشياطين . ولنا في مقام مناسب لنعرض لكل منها بكل اجزائه وعليه فسنكتفي منها على ما يدور حول الجن ، وله صلة بموضوعنا .

بدأ ابو العلاء يشك في الجن وما زعمه الناس من امرهم في رسالة الشياطين . ويورد الاخبار عنهم نقلا عما سمعه من اساطير الاولين دون التصريح برأي خاص به يوضح ايمانه بهم او انكاره لهم . ولكنه تساءل تساؤل المتشكك بقوله : "فليت شعري من يقول المنظوم في خاطره ، اجني مرد بالعبادة ثقف ؟" (1) ام هي الملائكة توحي اليه بالشعر وهو لم يعلم احدا روى شعرا عن الملائكة ؟ ثم يتذكر ان حسانا قال بوحي من الملائكة كما قال له الرسول عندما امره بالرد على شعراء قريش : "روح القدس معك" . (2) والناس يصدقون ان الملائكة اعانت حسانا على الشعر الذي قاله في سبيل المؤمنين . ففي هذا الموقف ينسحب ابو العلاء ويستأنف بحثه في امر آخر

---

(1) رسائل ابي العلاء ١٠٥ . (٢) رسائل ابي العلاء ١٠٦ .

ويترك القارئ في حيرة • اما في رسالة الغفران ، فاسلوبه الساخر ، ومبالغاته في تعظيم شأن الجن على سبيل الاستهزاء ، تكفي برهانا على انكاره لحقيقة وجودهم وتكذيب ما زعمه الناس من امرهم • ولنرافق ابن القارح [١] ، الى جنة العفاريت ، ذات الادحال [٢] والقصاليل [٣] ، وليس عليها النور الشعشعاني ، [٤] حيث يقيم الجن والعفاريت ، لنصغي الى نبذة مما دار بينه وبينهم من حوار لنتبين عن كثب آراء ابي العلاء في الموضوع :

سأل ابن القارح شيخا من بني الشيصبان يدعى "الخيتعور" : "اخبرني عن اشعار الجن ••• فقد جمع المرزباني [٥] قطعة صالحة • فاجابه : انما ذلك هذيان ، لا يعتمد عليه ، وهل يعرف البشر من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟ وانما لهم خمسة عشر جنسا من الموزون قلما يعدها القائلون ، وان لنا آلافا اوزان ما سمع بها الانس ، وانما كانت تخطر بهم اطفال منا عارمون [٦] فنفثت اليهم مقدار الضوازة [٧] من اراك النعمان •••[٨] •

ثم يقدم له آلافا من الاوزان على نحو منزل وحومل ، ومنزله وحومله ••• مما يلهج به الانس من قصيدة امرئ القيس : "قفا نبك •••••" ويروى له آلافا من القصائد المتنوعة الاوزان والقوافي ويخبره شيئا من عجائب اخبار الجن : منها اسطورة ومنها دينية حتى ينتشي ابن القارح عجبا فيسأله : "لله درك ، يا ابا هدرش ، [٩] كيف

---

(١) وهو بطل القصة والذي وجه اليه المعري رسالة الغفران • (٢) جمع دحل وهو النقب الضيق من الاعلى الواسع من الاسفل ، يخزن فيه الماء • (٣) جمع قصلول وهو الوادي ذو الشجر • (٤) رسالة الغفران ١٩٦ • (٥) هو محمد بن عمران بن موسى ولد سنة ٢٩٧هـ وتوفي ٣٨٤ هـ • عاش في بغداد ، معتقدا بمعرفه ابن خلكان ١/ ٦١٢ حيث اشتهر بالتأليف وصدق الرواية • (٦) عرم : اشتد • (٧) الضوازة : لحية من السواك • (٨) رسالة الغفران ١٩٦ـ ١٩٨ • (٩) كنية الخيتعور ـ من مشايخ الجن •

السنتكم ؟ افيكم عرب لا يفهمون عن الروم ، وروم لا يفهمون عن العرب كما نجد في اجيال الانس؟ فاجابه : هيهات ايها المرحوم . انا اهل ذكاء وفطن ، لا بد لاحدنا ان يكون عارفا بجميع الالسن الانسية ، ولنا بعد ذلك لسان لا يعرفه الانسي ...[1]

فتبين ان هذا الاكبار المبالغ فيه لعبقرية الجن انما هو بمثابة اثار المعري له واستهزائه بايمان السذاج فيه متأثرا بابن القارح . وهو ينفي الشعر الذي نسب اليهم اذ يجعل الجن تشهد انه هذيان لا يعتمد عليه ، ولا يؤمن بوحي الجن للشعراء ولا بكل ما زعموه من امرهم . ومجمل ما يمكننا استخلاصه من اراء ابي العلاء في الجن والشعراء في رسالة الغفران - ولو جاءت على سبيل السخرية - نفصله فيما يلي :

١. يفرق ابو العلاء بين الشعراء الصالحين والشعراء الضالين فيسكن الاولين منهم الجنة [2] والآخرين الجحيم [3] حيث يقيم ابليس اللعين يتخبط في الاغلال والسلاسل جزاء آثامه . والشعراء الذين اطاعوه في الدنيا يساقون معه الى عذاب الآخرة الاليم .

٢. الشعر في الجنة بضاعة كاسدة لا ينال به قائله وطرا لانه "قرآن ابليس" لا ينفق على الملائكة فهو للجان وعلموه ولد آدم [4]

٣. ولكن ابا العلاء يخصص في الابدية جناحا منفردا للجن المؤمنين الذين اوحوا الى الشعراء وليسوا من ولد ابليس ولا من الذين حاولوا على استراق السمع

---

١) رسالة الغفران ٢٠٤ . (٢) تراجع رسالة الغفران ٥٤-١٦٤ .

(٣) تراجع رسالة الغفران ٢٢١-٢٧٩ . (٤) رسالة الغفران ١٤٩ .

ليرموا بالشهب فيحترقون . ثم نجد طائفة من الجن الشعراء كانوا يسكنون الارض قبل آدم بسنين (١) .

٤. هؤلاء هم اصحاب البراعة الفائقة في نظم الشعر ومعرفة القوافي والاوزان والرواية الغزيرة . وان ما نسب اليهم من شعر في مصنفات الادب جدير ان يحلم للاولاد فلا يعترفون به .

٥. وهم يعمرون طويلا ، فقد نظموا الرجز والقصيد من قبل ان يخلق الله آدم بزمن طويل (٢) ولا يزالون ينظمون ويروون العجيب منه على مدى الاجيال .

٦. ينشدون ابن القارح من شعرهم قصيدتين يخبرونه فيهما عن خبث اعمالهم في زمان ضلالهم ثم يصورون له برهم وخيرهم بعد توبتهم وايمانهم (٣) .

٧. من مميزاتهم في الدنيا انهم كانوا قادرين على التشكل والانسان عاجز عن ذلك . اما في الآخرة فقد خص الانسان الصالح بالشباب الدائم وحرم منه الجن فبان عليهم الهرم والشيب بذلك تكون قد تساوت عطايا الله للانس والجن ما بين الدنيا والآخرة . فهذا العرض الساخر الذي يقدمه لنا ابو العلاء عن الجن في عالم الابدية يبين لنا انه كان ينكر تلك المزاعم الاسطورية في اخبارهم ويسخر بايمان الناس بهم . اما نحن فلا يمكننا جحود فضلهم فيما اوحوه اليه في رسالته الرائعة .

تتبعنا خلال هذا الفصل اثر الجن في النثر الفني فالفيناه ضئيلا ، يكاد يكون معدوما في الجاهلية . واطلعنا على ما ورد عنهم في القرآن الكريم والسيرة الشريفة ،

---

(١) رسالة الغفران ١٦٦ . (٢) رسالة الغفران ١٩٦ . (٣) رسالة الغفران (٢٠٢–٢٠٤) و (٢٠٧–٢١٤) . وقد تفرد ابو العلاء بين الشعراء في نظمه هذا الشعر الذي يدور حول الاساطير .

في الادب الاسلامي ، فرأيناه متأثرا بالدين الجديد ، يخضع فيه للترتيب الذي اجراه عليهم وتطرقنا اليهم في فن القصص ، في العصر العباسي فوجدنا ان كلا من الذين تناولنا رسائلهم ، يعالج اخبارهم بطريقة خاصة .

فالهمداني نقل اخبار الجن كما وردت من الجاهلية ليخضعها لفن المقامة ويخرجها باسلوب جديد . وابن شهيد استغل المزاعم الاسطورية في الجن والشعراء ليحمل الجن على الشهادة له بالتفوق في فنون الشعر والادب ليفحم اعداءه .
وابو العلاء يعرضها لنا ليسخر من مزاعم الناس وما اعتقدوه من امرها .

الجن في الادب الشعبـــي

اكثر ما تروج اخبار الجن في الاساطير والحكايات الشعبية • فليس انسب من الجن والارواح ابطالا يحققون ما يبتدعه الخيال من خوارق واعاجيب ويمثلون ما تصور الاوهام من غرائب • ومن اشهر المؤلفات التي يلعب فيها الجن دورا هاما قصة سيف بن ذى يزن وكتاب الف ليلة وليلة •

سيف بن ذى يـــزن

هذه القصة مستمدة من واقع تاريخي يتعلق بحرب الجنوب ، قبيل الاسلام ، حين قام ملك اليمن ، سيف بن ذى يزن الحميرى يحرر بلاده من سيطرة الاحباش ويطردهم منها[1] فتالت بطولته اعجاب القوم وتداولوا اخبارها يحيكون حولها الاخبار ويضخمونها حتى اخرجوها من نطاق المعقول وزجوا فيها بالجن والعفاريت وجعلوا من سيرة صاحبها اسطورة خرافية تشبه معظم الاساطير التي تنشأ عند مختلف الشعوب دون ان يعرف لها واضع • فكل ما نعرفه عن تأليف هذه القصة "انها نشأت في مصر في اواخر القرن الرابع عشر ميلادى"[2] • وهي تقع في ستة اجزاء خلاصتها ان ذا يزن ، ملك اليمن ، استولى على جزء من الارض التابعة لملك الحبشة — سيف ارعد — في بلاد اليمن • وكان لسيف ارعد حكيمان مستشاران : سقرديون وسقرديس ، اوعزا اليه ان يتجنب محاربة خصمه ،

---

1) الطبرى • تاريخ الامم والملوك ١/١٦١١ ، مروج الذهب • المسعودى ٢/٤٤١ ، تاريخ العرب • حتي ١/٨٦ •

٢) الموسوعة الاسلامية • مادة Saif b. Dhi Yazan كاتب المقال R. Paret
تاريخ العرب • حتي ١/٨٦ •

حقنا لدماء شعبه ، وان يقضي عليه بواسطة جارية ، تدعى قمرية ، يرسلها هدية تدس له السم في الطعام فيستعيدون بموته ما اخذه من بلاد اليمن ، ولكن ذا يزن كان حذرا فلم يشرب السم واحب قمرية وتزوجها واقامها وصية على عرشه بعد وفاته ريثما يبلغ ابنه ، سيف – الذى كان لا يزال جنينا – اشده . وولدت قمرية بعد وفاة زوجها غلاما دعته سيفا . وكانت امرأة شريرة طموحة فسولت لها نفسها ان تقتل الغلام لتحتفظ بالعرش لنفسها . ولكنها توجلت وهي تهوى بالسيف على عنقه فخافت من افتضاح امرها وعدلت عن قتله ورمته في البرية ليموت جوعا ، وادعت انه خطف من القصر على غفلة منها . ولكن رعاية الله تداركت الطفل في الفلوات الموحشة ، فسخرت له غزالة مرضعا حنت عليه وارضعته . وصادفه مرور صياد من الغابات فحمله الى زوجه ثم اخذه الى الملك افراح ، احد عملاء الملك ، سيف ارعد ، ملك الحبشة ، ففرح به وتعهده بمحبته ورعايته . وفي هذه الاثناء وضعت زوج افراح بنتا دعتها شامة . ودخل الحكيم سقرديون عليه ، فلما وجد الغلام والطفلة وتفرس في ملامحهما اوعز اليه ان يقتله لانه قرأ في كتب الاقدمين ان غلاما مثل هذا الغلام سيكون حاكما على الانس والجن بحد السيف الذى خلفه آصف بن برخيا ، وزير نبي الله سليمان[1] وقد علق أفراح سيفه فوق قصره وقال : " لا يملك هذا السيف الا رجل قوى يدعى سيف بن ذى يزن . وسيحكم بهذا السيف الحبشة والسودان . واذا تزوج شامة ، بنت الملك افراح ، صار ملك الحبشة والسودان ."[2] فابعده افراح عن ابنته ، ودعاه وحيد الفلا وعهد به الى حاضنة تهتم بتربيته . وذات يوم سمعت الحاضنة هاتفا يأمرها ان تترك الغلام وتغادر المكان . وكانت ملكة مصر

---

١) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ١١٢ .

٢) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ١١٦ ، ١/ ٢٨ .

ملكات الجن قد حضرت لتحمله الى جبل القمر ، حيث تقيم . وهناك مكث سيف ثلاث سنوات تحتضنه ملكة الجان ، وارضعته مع ابنتها ، عاقصة التي آخاها . ولما اعادته الى افراح قالت : " اصبح هذا الغلام ابني في الرضاعة فمن تعرض له باذى قتلته مهما كان عزيز السلطان ". [1] وهكذا نرى سيفا يحوز على مؤازرة الجن ومحبتهم . ولما علم افراح بعلو شأن الغلام سلمه لحكمائه ، وامر فارس فرسانه ، ليعلمه ضروب الفروسية . ولما حذقها صرفه حكماؤه ليعتمد على نفسه ، وهنا يبدأ سيف مغامراته الخارقة . فيستولي على السوط المطلسم بواسطة الجن . فاذا ضرب به اى انسان قتل لساعته . ثم يخلص شامة من يد المارد الذى اختطفها ، ويعيدها لابيها ، ويطلب يدها منه . ولكن الحكيمين ، سقرديون وسقرديس ، اللذين كانا له بالمرصاد ، يحولان دون ذلك الزواج ، ويوعزا لافراح ان يطالب في مهرها مهرا ليدفعا بسيف الى الهلاك . [2] ويستبسل بطلنا في حومة المخاطرات ويخرج ظافرا بقدرة الله الذى يحرسه ويحميه ، ويسخر لخدمته الجن والسحرة والعلماء والحكماء ، وكلهم مؤمنون [3] . ثم يستولي على كتاب تاريخ النيل الصعب المنال . وكذلك يحوز على القلنسوة الخفية - او قلنسوة افلاطون - التي تخفي لابسها من الانس والجن . ويملك خاتم السحر واللوح المطلسم [4] ويسخر خادم اللوح ، عيروض الجني ، لخدمته في مهام صعبة يعجز الانس عن القيام بها . فيحقق كل معجز خطير من البطولات حتى يزوجه افراح ابنته . ولما علمت امه ، قمرية ، ببقائه حيا قامت تبذل جهدها بمساعدة حكمائها وسحرتها وكهانها وجنودها ومردتها للقضاء عليه . وهنا تبدأ سلسلة ثانية من مغامرات سيف لقاء العقبات التي

---

١) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ٢٣ . (٢) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ٦١ ، ٦٣ ، ٨٥ ، ١٠٤ ، ٢/ ٤٥ ، ١٢٥ . (٣) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ٦٤ ، ٨٤ ، ١٢٠ .
٤) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ١١٦ .

كانت تدبرها له امه (١) وتستمر القصة تسرد علينا مغامرات سيف في سبيل مهر اخته عاقصة ، الجنية ، خدمة لعيروض الجني ، خادمه الذي كان قد اولع بها (٢) . فيلاقي من الاهوال ما يودي بلب البطل الشجاع ويخرج ظافرا في النهاية .

ويدأب سيف في تحقيق المهام الخارقة العجيبة ساعيا دوما لنصرة المظلوم ، وهداية الضال ، وابادة الطاغين الفجار (٣) الى ان تستتب له الامور ويستولي على ممتلكات الحبشة صلحا مع سيف ارعد الذي اهتدى الى الايمان على يده . وينكل بالحكيمين : سقرديون وسقرديس اللذين اصرا على كفرهما وضلالهما ، ليجعلهما عبرة لكل شرير كافر . ثم يقسم مملكته بين اولاده ويقضي نهاية عمره في الزهد والعبادة .

دور الجن في القصة .

يلعب الجن دورا هاما في القصة ويحتلون جزءا كبيرا منها . ولو لم يكن سيف بن ذي يزن بطلها لتصح ان تسمى " اسطورة الجن " . وهو وان كان الشخص البارز فيها الا انه لا يحقق حادثة من حوادثها بدون مساعدة الجن ومساهمتهم في مغامراته . فهم الذين اوحوا الى الحكيمين خطر سيف على ملك الحبشة خاصة اذا تزوج شامة (٤) . وملكهم هو الذي دعا امرأته الى خطف سيف من بيت الملك افراح لتقوم بتربيته والعناية به (٥) وعاقصة ، بنت ملك الجان ، اخت سيف بالرضاعة ، هي التي كانت تحضر اليه في اشد المواقف خطرا على حياته وتنجيه من الموت المحتم (٦) . وعيروض الجني خادم اللوح المطلسم ، هو الذي كان يلبي له كل طلباته ويحقق المعجز العجيب من

---

١) قصة سيف بن ذي يزن ١/ ١٠٣ ، ١٠٦ . ٢/ ٦٦ . (٣) قصة سيف بن ذي يزن ٣/ ٦٥ . فيما يلي

٢) انظر صفحة ١٦٦ من هذه الاطروحة . (٤) قصة سيف بن ذي يزن ١/ ١٣ ، ٢٨ ، ٣٦ . ٢/ ٩٢ . (٥) قصة سيف بن ذي يزن ١/ ٢١ ، ٢٢ . (٦) قصة سيف بن ذي يزن ١/ ٦٤ ، ٨٣ ، ٢/ ٤٢ ، ٥١ . ٤/ ١٥ ، ٦٩

مآتيه [1] . وكان الجن على اختلافهم ، مستعدين دوما لخدمته والتفاني من اجله [2] فتراهم يحرسون الكنوز المرصودة له ، والسيوف السحرية الموقوف استعمالها عليه ، والخاتم السحري ، والقلنسوة الخفية ، والخوذة العجيبة ، الى ان يأتي سيف فيعطونه اياها [3] وهم يمضون وراءه في الحروب زرافات زرافات ، يجندون اعداءه ويزلزلون جبالهم ومدنهم وينزلون بهم الويلات [4] ويقدمون لسيف وسائل عجيبة ، يحقق بواسطتها المعجزات ، كالحصان الطيار الذى يحمله في الجو ويقطع به مسافات شاسعة [5] . وعاقة ، الدابة العجيبة التي تحمله عبر البحار ، [6] والآلات العجيبة كالمحراثات التي تحفر له الوديان لتمهيد مجرى النيل [7] ... كذلك يساعدون اولاده ويعلمون احدهم قول الشعر حتى يقع موقعا حسنا في نفس ملكة الشام التي احبها ورام الزواج منها [8] ويقاتلون الجن الكفار الذين كانوا يحاربونه . [9] وهم يحيطون بأعلام مميزة ويترتبون طبقات معينة من ملوك وملكات وسائدين ومسودين ومؤمنين وكفار [10] . ولهم مهام منوطة بكل فئة منهم [11] ومن الطبيعي ان يكون المؤمنون السائدون منهم اعوان سيف ، يعاشرهم ويتزوج منية النفوس ، احدى ملكاتهم ويرزق منها ولدا . [12] وهو يدعو الكفار منهم الى حظيرته فينضمون اليه [13] ويرونه نبيا لهم يتقدمهم وقت الشدة ويقدمهم عند الحاجة وذلك بقدرة الواحد القدير الذى اختاره دون غيره ليكون ملكا على الانس والجن . فنرى ان قدرة البارى فوق كل قدرة ، وهو الواحد

---

(1) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ١٢٠ . قصة سيف بن ذى يزن ٢/ ٧٢ . ٣/ ٥٥ ، ٦٥ . (٢) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ١٢٠ .
٢/ ٣٨ . ٤/ ٧٧ . ٥/ ١٠٠ . (٣) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ٢٦ ، ٧٤ ، ٨٠ .
٣/ ١١٨ . ٤/ ٣٤ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٧٦ ؛ ٦/ ١٠٨ . (٤) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ١٢٧ .
٤/ ٩٩ . ٥/ ١٥ ، ١٦ . (٥) قصة سيف بن ذى يزن ٤/ ٥٠ ، ٥٤ . (٦) قصة سيف بن ذى يزن ٥/ ٨٦ . (٧) قصة سيف بن ذى يزن ٥/ ٤٧ . (٨) قصة سيف بن ذى يزن ٤/ ١١٦
(٩) قصة سيف بن ذى يزن ٣/ ٦٩ . ٤/ ٦٢ . ٦/ ٧٣ ، ٩١ . (١٠) قصة سيف بن ذى يزن
٣/ ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ١٠٦ . ٥/ ٣٧ ، ٤٠ . ٦/ ١٢٩ ، ١٣٦ . (١١) قصة سيف بن ذى يزن
٤/ ٤٥ ، ١٢٠ . (١٢) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ١٠٥ . ٢/ ٢٦ . (١٣) قصة سيف بن ذى يزن ٣/ ١١٢ . ٤/ ٦٨ . ٥/ ١٣ . ٦/ ١٣٢ .

الصمد ، مصدر كل شيء ومرجع كل شيء ، ومن تدرع بحمايته فلا قاهر له لا من انس ولا من جن (١) . ويبدو في القصة ان سيف يبشر بوحدانية الله ومبادئ الاسلام بين الانس والجن قبل مجيء الرسول مع العلم انه جاء قبيل الاسلام . يقول موضحا كلامه في القصة لقبطان يعبد النار : "كيف تعبد نارا اوقدتها بيدك وتطفئها بيدك وتترك عبادة الله الذى خلقك ، وهو على كل شيء قدير (٢) وفي نصرته على جيوش سيف ارعد يخاطبهم بقوله : "اننا نعبد ربنا الذى خلق كل شيء وهو الواحد الاحد ، يعز من يشاء ويذل من يشاء . ونشاهد ميمون الجني ، صاحب غابة الاسد يجيء الى سيف قائلا : "جئتك لاقدم اليك خالص الولاء ولاكون من اتباعك المطيعين ، وقد آمنت انا وقومي ، وشعرنا بعزة الايمان وشرفه." (٣) ويساعد سيف ايضا في نشر الايمان بالله الخضر الذى يدعو الناس الى الحق . (٤) فاذا تتبعنا تاريخ تأليف القصة ، وموضعه ، يتضح لنا مصادر هذه الاصداء الميتوثة فيها من العقائد التي يحاول المؤلف تحويلها الى عقائد الاسلام ويحشد في صياغة القصة جوها اسلامية يوكل رسالة الدين فيها والتبشير بالله الواحد للبطل سيف والخضر . والمعروف ان قصة سيف يرجع جمعها ما بين القرن الرابع عشر او الخامس عشر ولكن ليس ابعد من ذلك لما تتضمنه من حوادث جرت في ايام ملك الحبشة ، سيف ارعد الذى دام حكمه من سنة ١٣٤٤ الى سنة ١٣٧٢ (٥) . فلا بد ان تكون اجزاؤها قد تنوقلت على افواه القصاصين قبل ذلك الحين ، فاضفى اليها كل منهم ، على مر الايام

---

١) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ٧٧، ٨٥، ١٠٥ . ٣/ ٧٢، ٩٨ . ٤/ ٦٧ . ٦/ ٩٧

٢) قصة سيف بن ذى يزن ١/ ٧٧ . ٢/ ١٢٧ .

٣) قصة سيف بن ذى يزن ٥/ ١٢ . (٤) قصة سيف بن ذى يزن ٣/ ٥٩ .

٥) يراجع المقال في الموسوعية الاسلامية مادة Saif b. Dhū Yazan لكاتبه R . Paret

من خياله ما ناسب مزاج سامعيه وتجاوب مع فهمهم وعقليتهم . والظاهر ان سواد الشعب الذي له وضع هذا النوع من الادب كان لا يزال عالقا في ذهنه عقائد وخرافات واساطير من وثنيته القديمة . من هنا يتضح لنا مورد هذه الاخبار عن الارواح والجن والشياطين والعفاريت والسحرة ومعظمها مما له صلة بوثنية بلاد النيل واساطيرها حيث تجرى معظم حوادث القصة مع شيء من تراث اساطير الجن المقترن بها من الاصل وعقائد الجاهليين على العموم . كل هذا مسبوك بقالب اسلامي راجع بجوهره الى شريعة ابراهيم الخليل ، ذلك ليجعل المؤلف لنفسه مخرجا لاختلاف الزمن بين سيف والرسول ، وليبرر نفسه من تبعة الاشراك فيما يصوره من خوارق الجن في القصة وفائق قدرتهم . فليس من المعقول ان يسبق سيف النبي في نشر التعاليم الاسلامية ، ولكنه كما يظهر في القصة ، يبشر بقدوم نبي عربي ويمهد لدعوة الاسلام ، فان شيخا صالحا من مؤمني الجن ينبئه انـــه " ستبنى مدينة سيطلق عليها اسم يثرب ... وسيسكنها نبي من عدنان يكون مبعث الاسلام والايمان ، ويأتي بالبينات والهدى والفرقان ، وهو خاتم الانبياء والمرسلين ، وقد آمن به وصدق برسالته ، ويتمنى لو يحيا حتى يموت على دينه وملته ." (١) فكأن سيف يبين استعداده لقبول الايمان ، على لسان النبي ، فيما لو اتيح له ادراك الرسول .

---

١) قصة سيف بن ذي يزن ٣/ ٥٨ .

الجن في الف ليلة وليلة

يعتبر كتاب الف ليلة وليلة من اشهر المؤلفات الخرافية عند العرب • والمعروف انه نقل من الفارسية الى العربية في القرن العاشر ميلادى عن كتاب "هزار افسان" ومعناه الف خرافة[1] • وينسب ابن النديم تأليفه الى الجهشياري[2] الذي جمع الف سمر من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المؤلفة في الاسمار والخرافات ما اعجبه فاجتمع له من ذلك اربعمائة وثمانون ليلة[3] • ومضى على الكتاب اربعة قرون تسربت اليه خلالها حكايات وخرافات من مصادر مختلفة الى ان اكتمل في القرن الرابع عشر في مصر في اواخر عصر المماليك[4] • تضم مجموعة من الحكايات "بعضها يعود الى اصول فارسية كقصة قمر الزمان وست بدور[5] وقصة سيف الملوك وبديعة الجمال[6] وقصة حسن البصرى[7] وغيرها • والبعض الآخر الى اصول هندية منه قصة التاجر مع العفريت[8] والصياد والعفريت[9] والحمال والبنات الثلاثة[10] • ومجموعة اخرى من هذه الحكايات ترجع الى اصول عبرية منها حكاية حاسب كريم الدين[11] وفيها قصة بلوقيا وجانشاه • والبعض الآخر يعود الى اصول مصرية كقصة ابي قير وابي صير[12] ومعروف الاسكافي[13] يدل على مصادرها ما يطالعنا من

---

١) افادني الدكتور زين ان "هزار افسان" في الفارسية معناها "الف حكاية" •

٢) المتوفى سنة ٩٤٢ م • والنسخة من كتابه في الف ليلة وليلة مفقوده •

٣) الفهرست لابن النديم ٣٠٤ • (٤) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ١٦١ • تاريخ حتى ٤١٠

٥) الف ليلة وليلة ٤/ ٢٣٢ • (٦) الف ليلة وليلة ٣/ ٢٧٠ • (٧) الف ليلة وليلة ٣/ ٣٠٢ • (٨) الف ليلة وليلة ١/ ٨ • (٩) الف ليلة وليلة ١/ ١٤ • (١٠) الف ليلة وليلة ١/ ٣١ • (١١) الف ليلة وليلة ٢/ ١٨ • (١٢) الف ليلة وليلة ٤/ ١٨٦ •

١٣) الف ليلة وليلة ٤/ ٢٨٨ •

اساطير قديمة شائعة عند هذه الشعوب وما يرد فيها من اعلام واسماء اماكن ترشد الى مواطن حدوثها ، ثم اساليب سردها وعرضها ما يشابه ديباجة خاصة معروفة عند قصاصي بعض هذه الشعوب .(١) وبعد ، فان اللون المحلي الذي يتجلى في هذه الحكايات ويطبعها بطابع مميز يقود الى معرفة اصولها . ان هذه الامور وغيرها تشير الى عجمية مورد هذه الحكايات في الليالي . ولكننا نحسبها عربية لانها عاشت في بيئة عربية وانتجت في عصور اسلامية فتشبعت بطابعها ولغتها ومن معتقداتها وصبغتها بصبغة دينية تحققت في تأليفها فابرزتها لنا نامية للنزعات الاسطورية عند طبقات الشعب من الامم الاسلامية حتى عصورها المتأخرة . وكان ابرز ما في هذه الحكايات الخوارق والعجائب التي لا يمكن تحقيقها الا بواسطة الجن . فالجن يؤلفون عنصرا هاما في الكتاب يبرزون في كل حكاية من حكاياته تقريبا . وقد تأتي ادوارهم رئيسية فيها تدور عليها جميع الاجزاء ومنها ما يشترك معهم فيه الانس . وقد يستخدمهم القصاص لخلق ازمة في الحكاية ثم لا يلبث ان يخرجهم ليكل الباقي منها للانس . وربما يحتاج اليهم لحل ازمة في القصة او يحضرهم لتحقيق الخارق العجيب الذي يتعذر انجازه على الابطال من الانس لتتم الحكاية . ففي ادوارهم المنتجة في هذه الحكايات ، ثم تنوع هذه الحكايات واختلاف اصولها وتعدد بيئاتها وما ينجم عنها من اساطير ونزعات متغايرة ، نضيف الى ذلك بدائع الحيلة القصاصين وما حاكوه حولها من اضافات وابتكارات ، يصعب على الباحث ان يصنف الجن وفقا لترتيب معين ويسوقهم في نظام محدد يفرضه عليهم في بحثه . ولكننا سنحاول ، في هذا الفصل ، التمييز بين عناصرهم

---

١) الموسوعة الاسلامية مادة Alf Laila wa Laila

كاتب المقـــال : J. Oestrup

وانواعهم وطبقاتهم معتمدين على الادوار التي تسند اليهم في الليالي واصنفهم فيها ·

جن سليمان

يحتل الجن* مكانة مرموقة في الكتاب ، فهم اعلى الجن مرتبة واعظمهم شأنا لذلك نراهم يقومون باهم ادوار الجن في الحكايات واكثرها وقارا · وتقترن اخبارهم باخبار الانبياء والصحابة والصلحاء والخلفاء · فقد جاء عن بلوقيا احد ملوك بني اسرائيل في مدينة مصر ـ وكان عابدا ، عالما ،عادلا ـ انه وجد في كنوز ابيه كتابا فيه صفة النبي محمد وقرأ انه يبعث آخر الزمان وهو سيد الاولين والآخرين ، فتعلق قلبه بحبه ، فترك مملكته واخذ يسيح في البلاد ليجتمع به [1] · وبعد ان مر بمملكة الحيات [2] وصل الى بيت المقدس حيث اجتمع بعفان ، وهو رجل مشهور بعلمه وسعة اطلاعه ، وكان يقرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم فوجد في كتاب عنده انه كل من لبس خاتم سليمان انقادت له الانس والجن والطير والوحوش وجميع المخلوقات · ورأى في بعض الكتب انه لما توفي النبي سليمان وضعوه في تابوت وعبروا به سبعة بحار ، وكان الخاتم في اصبعه ، ولا يقدر احد من الناس ان يصل الى ذلك المكان ·[3] فاراد بلوقيا اصطحابه الى هذه البحار ليحصل على الخاتم الذي يقدر بواسطته ان يشرب من ماء الحياة فيطول عمره ليدرك الرسول · وواجها مغامرات عجيبة حالفة الى ان وصلا الى المكان · فاراد عفان سحب الخاتم من يد سليمان فنفخت عليه حية واحرقته فاغشي على بلوقيا لما رأى ذلك · لكن الله ـ العالم بايمانه وحبه النبي ـ

---

١) الف ليلة وليلة ٣/ ٢١ـ٢٢ · (٢) الحيات شكل من اشكال الجن في الكتاب

٣) الف ليلة وليلة ٣/ ٢٤ ·

* المقصود جن سليمان ·

ارسل اليه الملاك جبريل فانقذه وانبأه ان زمن محمد لا يزال بعيدا منه[1] وتابع رحلته المروعة الى ان صادف صخره الجني المؤمن ، الذى قدم له حصانا عجيبا قطع به طبقات الارض السبع حتى اوصله الى جبريل الذى حمله الى السماء حيث شاهد الملائكة . وهنا تتوقف رحلته بمصادفته جانشاه ، احد الملوك الذى اخذ يقص عليه ما لقيه من الاهوال والعجائب في رحلته هو ايضا الى ارض الجان . وتنتهي قصة بلوقيا بلقائه الخضر الذى اوصله الى امه سالما . نخبر ما كان لجن سليمان من قدرة جليلة . فهم وحدهم الذين كان باستطاعتهم حمل بلوقيا الى قبر سليمان الذى يستحيل الوصول اليه على جميع الانس . وهم دوما في خدمة السالم شرط ان يكون حائزا على خاتم سليمان العجيب لانهم لا يطيعون الا بواسطته . فقد خص الله سليمان بهذا الخاتم العجيب وجعله رمزا لتسخير الجن له ولمن يملكه من بعده . لذلك تلهف بلوقيا تلك المشقات ليحصل عليه فيسخر الجن ليساعدوه على رؤية الرسول .

وجانشاه في مغامراته يقودنا الى ديار واسعة غريبة يطلعنا على ما فيها من عجيب خلق من جن ومردة وعفاريت كانت كلها خاضعة لسليمان في ايامه[2] . والجن في هذه الحكاية وغيرها من الليالي ينقسمون الى قسمين : طائعين وعصاة . اما العصاة فقد عرف سليمان كيف يعاقبهم فنفذ بعضهم وحبس البعض الآخر في قماقم ختمها بالنحاس ورماها في قاع البحار . واصبحت هذه القماقم موضوع ابهام وتشويق استغلها القصاصون في الليالي لينسجوا حولها حكايات واساطير من العجب

---

١) الف ليلة وليلة ٣/٢٨ .

٢) الف ليلة وليلة ٣/٤٤،٤٩ .

ما يمكن ان يبتدعه الخيال . وتصديقا لافانينهم اتاهوا النابغة الذبياني من الجاهلية في حضرة عبد الملك بن مروان في العصر الاموي ليوافق على ما اختلقوه عنها من اخبار[1] . وجعلوا الخليفة يتوق الى الحصول على هذه القماقم ليكلف عامله موسى بن نصير ليأتيه بها من بلاد المغرب. ويقودنا عبد الصمد[2] الى عالم المردة العصاة المتمردين ، ويطلعنا على اخبارهم العجيبة ، وكلها تدور حول موضوع واحد : وهو عصيانهم سليمان وارتكابهم المآثم. وأننا في ديارهم مدينة اثرية فيها الاعمدة الكبيرة والتماثيل الضخمة يجعل القصاص كلا منها ماردا حقده سليمان ، ويبتدع له خبرا في شره وعصيانه. فكأنه يحاول تعليل وجود هذه الاعمدة والتماثيل التي تعود الى عصور الوثنية التي اوحت له هذه الحكايات. منها تحت عمود من الحجر الاسود وفيه شخص غائص في الارض الى ابطيه ، له جناحان عظيمان واربعة اياد[3] وان عفريتا من الجن اسمه داهش بن الاعمش، وهو مكفوف[4] بالعظمة محبوس بالقدرة ، معذب الى ما شاء الله. وخبره عجيب قال : "كان لبعض اولاد ابليس صنم من العقيق الاحمر وكنت موكلا به . وكان يعبده ملك من ملوك البحر ، كنت ادخل في جوف الصنم واخاطبه منه[5] . وكان له ابنة احسن اهل زمانها. فوصفها لسليمان فارسل لابيها يخطبها منه ويدعوه لطاعته وعبادة الرحمن. فاتى الملك يستشير صنمه ، فاجبته من جوف الصنم الا يرضخ له وحرضته على مقاومته. فجهز سليمان ووزيره الدمرياط[6] جيشا من الانس والجن والوحش والطير ... وركبوا على بساط الريح زاحفين على الملك. فقاتلوه وانتصروا

---

١) الف ليلة وليلة ٣/ ١٢٦ . (٢) وهو شيخ عالم من المغرب يكلفه موسى بن نصير في الحكاية ليأتيه بالقماقم لانه عارف باماكنها . (٣) الف ليلة وليلة ٣/ ١٢٧ .
٤) بمعنى ممنوع مردود عن الاذية والمكفوف الاعمى وقد كف بصره
٥) تراجع ص ١٠٤ من الاطروحة في خبر اصوات الجن من جوف الاصنام في الجاهلية .
٦) وزير سليمان من الجن .

عليه • وعاقبني سليمان ، فصفدني كما تراني •[1] وهكذا سلط الله سليمان على الجن فاكسبهم رفعة بين بني جنسهم • فالطائعون منهم ، مؤمنون يحاربون معه ويحضرون له الوسائل العجيبة التي يحقق بها الخوارق : كبساط الريح مثلا • وسليمان يقدر اعمالهم ويثق بولائهم فيستوزر منهم الدمرياط الذي يعينه على العصاة ويذللها له • اما العصاة فقد قوى سليمان عليهم بقدرة ربه وصفدهم وحبسهم في قماقم • وتراهم مستعدين دوما لايذاء المؤمنين حالما تتاح لهم الظروف• فاذا ما عثر احد المؤمنين على هذه القماقم وفتحها يتصاعد منها دخان اسود لا يلبث ان ينجلي عن مارد هائل "رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة وايد كالمداري ورجلين كالصواري وفم كالمغارة واسنان كالحجارة ومناخير كالابريق[2] • كالعفريت الذي ظهر للصياد من القمقم عندما القى شبكته في البحر • ولكن العناية الالهية تتدخل لتحفظ المؤمن فتوحي اليه مخرجا ينجو به من الذيته• فهؤلاء العصاة الاشرار من الجن مذللون بالقدرة الالهية مقيدون لا يقدرون على نيل من يتدرع بحماية الرحمن بسوء • اما الطائعون المؤمنون من جن سليمان فقد سلطهم على اهل جنسهم الآخرين من مردة وعفاريت وغيلان وغيرهم • وذلك بسر الطلسم المنقوش على خاتمه والجن يعرفون هذا السر ويهابونه غاية الاهابة حتى ان احدهم اذا استعاذ به او اقسم به يضمن الامان لنفسه وبلوغ الارب• "فان دهنش بن شمهورش الطيار ، وهو من كان بلاد الصين الاشرار حين صادف ميمونة ، وهي من الجن المؤمنين ، بنت الدمرياط وزير سليمان ، طلب منها الامان باستعاذة "الاسم الاعظم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان لتوفق

1) الف ليلة وليلة ٣/ ١٢٧ـ ١٢٩ •

٢) تراجع قصة الصياد مع العفريت في الليالي ١/ ١٤ •

به ولا تؤذيه . فلم تمسه بسوء بل انها تعاونت معه في جمع قمر الزمان والست بدور حبا بهما . واعطته كتابا فيه تصريح بالعتق كي لا يمسه احد من ارهاط الجن العلوية والسفلية بسوء .»[1] فاننا قلما نجد خبرا للجن في الليالي الا وله صلة بسليمان او بخاتمه . وقد يكون اسناد اخبارهم لسليمان وسيلة يتقي بها القصاص من العقيدة الاسلامية التي تدفع عنهم شر وثار وتنفي الايمان بداخل معتقديهم الا انها يتعلق باخبارهم مع سليمان الواردة في القرآن[2] فلا حرج اذا على القصاص ان هو استغلها ليبالغ ويتفنن في اخبارهم وخوارقهم ارضاء لسامعيه الذين يرتاحون لهذه الحكايات .

<u>المسخ</u>

يحتوى الكتاب على اخبار متنوعة غريبة عن المسوخ يعرضها المؤلف باسلوب اليقين حتى يحمل القارئ على الاعتقاد بصحة مضمونها ثم لا يلبث ان يفاجئه باختلاف جوهرها عن هيئة تشكلها المعيان . ففي حكاية التاجر مع العفريت[3] يطلعنا على خبر غزالة كانت صبية حسناء ، زوجة احد التجار تعلمت السحر ومسخت ابن زوجها عجلا وامه بقرة غيرة منهما لانه لم يكن لها اولاد . ويخبرنا عن قصة كلبتين كانتا اخوى احد الشيوخ اساءا اليه فمسختهما جنية لتجزيهما على شرهما . وخبر بغلة كانت زوجة احد التجار فمسخته كلبا ليخلو لها الجو مع عشيقها . فثأرت له ابنة اللحام ، وكانت تعرف السحر ، فمسختها بغلة . وخبر عفريت خانته انسية كان قد خطفها ، فقتلها ومسخ صاحبها قردا .[4] ونلاحظ ان اكثر اشكال المسوخ تتخذ

---

١) تراجع قصة قمر الزمان والست بدور من الليالي ٢/ ٢١ .

٢) سورة النمل ١٧ ، ٣٩ . (٣) الف ليلة وليلة ١/ ٨ .

٤) الف ليلة وليلة ١/ ٤٢ .

هيئة حيوانات (١) ولا يقدر على مسخها او تحويلها الى اصلها الطبيعي الا الجن وذلك بواسطة السحر • واخبار المسوخ شاعت قديما عند العرب ، وغيرهم من الشعوب ، حتى انهم انما يعتقدون ان معظم الحيوانات والحشرات وغيرها من مسوخ ويبتدعون لها قصصا في علة تحولها (٢) .

اما المسخ الذى يوقعه الله بالضالين الكافرين فهو اجل شأنا واعظم خطرا اذ لا يقدر انس ولا جن على تحويله • وهو مسخ شامل عام يحل بمدينة باسرها • ففي ذلك ما ورد في حكاية الحمال مع البنات عن " دخول قوم من التجار الى مدينة مسخ جميع اهلها حجارة سوداء لضلالهم عن الحق وعبادتهم النار • وقد سمعوا من قبل صوتا ينذرهم ويدعوهم الى الله فلم يهتدوا فمسخهم الله ولم يبق منهم سالمـــا الا ولي العهد الذى كان مؤمنا بالاسلام سرا خوفا من نقمة ابيه".(٣) ومرد هذه الاخبار ما ورد في الكتب الدينية للعبرة والتذكير.(٤)

هيئات الجن

تعرض لنا الليالي متنوعات غريبة من صور الجن واشكالهم • فتبرزهم لنا اما بصور حيات (٥) سوداء وبيضاء لها رؤوس آدمية ، طول الواحدة منها مئة ذراع ••• او بصور قرود (٦) ، او بصور نمل كل واحدة بقدر كلب (٧) ، او بصور غيلان ضخمـــة ذات رؤوس كرؤوس البقر او الجمال (٨) ولكن منها ما يظهر بصور مأنوسة كما البعض

١) الف ليلة وليلة ٣/ ٤٤، ٤٥، ٤٩ ، (٣) • (٤) تراجع ص ٤٤ الى ٥٥ من الاطروحة •
٢) الف ليلة وليلة ١/ ٤٩، ٥٥ • (٤) تراجع ص ٤٧ من الاطروحة • (٥) الف ليلة وليلة ٣/ ٢١ • (٦) الف ليلة وليلة ٣/ ٤٦ • (٧) الف ليلة وليلة ٣/ ٤٦ •
٨) الف ليلة وليلة ٣/ ٤٤ •

بنات البحر لبلوقيا [١] وكما ظهرت ميمونة بشكل انسية لها اجنحة تطير [٢] .
وبالمثل ما تتميز اشكالهم وفقا لاعمالهم وامزجتهم فالطيبون المؤمنون منهم الذين يؤازرون
الابطال في الحكايات يبرزون لنا بهيئات جميلة مأنوسة ذات تقاطيع منسجمة معتدلة .
وهم رشيقون في حركاتهم مستحبون في كلامهم وافعالهم . اما الاشرار منهم فيصورون
لنا بهيئات قبيحة ، نابية ، ممجة ، مروعة تبلغ التناهي في تشكل الشيطان [٣].
اما الغول فكما عهدناها ، لا تتقيد بصورة معينة فهي تتحول بدقيقة واحدة الى
صور متنوعة ما بين قبح وجمال . فنراها تظهر بصورة جارية جميلة لابن الملك يونان
حتى تفتنه وتستهويه ثم تلبث ان تتحول الى هيئة مروعة ، تنفث النار من جوفها وتكشف
عن سائر سرائرها فيودي بلب من يشاهدها فلما . ولكن المؤمن يقوى عليها اما بذكر
الله فتحترق او تختفي او بالاعتماد على شجاعته فيأسرها ضربة بالسيف تكون القاضية [٤]
ويبدو ان غول الليالي تختلف عن الغول التي عهدناها في الاساطير العربية فلم يذكر في
الحكايات ان لها رجل حمار [٥]

انواع الجن وطبقاتهم [٦]

يترتب الجن في الليالي انواعا وطبقات فمنهم الجن والشياطين والمردة والعفاريت
والغيلان ومنهم الارواح العلوية والطيارة والسفلية والغواصة ومنهم المؤمنون والاشرار .
وينتظمون قبائل ووفودا واجنادا وامما وشعوبا ويتفاوتون عناصر ومراتب . فالطيبون منهم
ارفعهم جبلة وارقاهم منزلة فمنهم الاسياد من ملوك وامراء ووزراء وقواد وعشائر ويحرسون

---

١) الف ليلة وليلة ٣/ ٣٠ . (٢) الف ليلة وليلة في قصة قمر الزمان ٢/ ٧٠ .
٣) الف ليلة وليلة ٣/ ١٠٨ . (٤) الف ليلة وليلة ١/ ٩١، ٣/ ١٤٤ . تراجع ص ١٤ من
الاطروحة . (٥) تراجع ص ١١ من الاطروحة .
٦) الف ليلة وليلة ٢/ ٧١، ٣/ ١٤٧، ٢٦٠، ٤/ ٤٢ .

باعلام مميزة واكثر ما تنسب اسماء الملوك للالوان : كالملك الابيض والملك الاحمر والملك الازرق[1] . واما الاشرار فمنهم الشياطين والعفاريت والمردة يقومون بادوار المكايد والايذاء في الحكايات. وكلهم من ذرية ابليس اللعين زعيمهم الاعلى . وكان الجن في البداية متساوين ، خلقهم الله من عنصر النار من ابوين من جنوده : خليت ومليت . فانجبا سبعة ذكور وسبعة اناث كان من جملتهم ابليس الذى رفعه ربه الى جنته ولكنه عصاه في السجود لآدم فطرده الى الجحيم وتناسلت منه الشياطين . اما الجن الباقون فهم من نسل الخوة الستة ومنهم الجن المؤمنون على رأسهم صخر الجني الصالح . وهو يقوم في الحكايات بدور المساعد للانس والجن ويجمع ابناء جنسه لمحاربة الكفار من الفريقين[2] . اما الملائكة فقد خلقوا من حبة من نور على رأسهم جبريل الذى لا يظهر الا في المواقف الجليلة من الحكايات لانقاذ الاولياء والعباد والابطال المؤمنين[3] وهو لا يأتمر الا لكلمة ربه حين يدعوه لامر جليل . فنلاحظ ، من هذه الحكايات ، ان السلطة على هذه الارواح تتفاوت بين ذويها حسب مراتبهم وفقا لمنظور المؤمنين : فالله تعالى وحده قادر على جميع هذه الارواح يكلف جبريل والملائكة لتنفيذ مشيئته التي كلها خير فلا بد من ان تتعهد لارواح خيرة ايضا . ثم يأتي سليمان الذى خصه الله بالحكم على الجن ينفذون اوامره ومن يعصى يعاقب . ويأتي صخر في الدرجة الثالثة وهو زعيم الخيرين من الجن يقودهم للاعمال الخيرة . اما ابليس فانه يتفرد بالزعامة على جميع الارواح الشريرة من جن وشياطين .

ويقوم الخضر بدور فردى في الحكايات يجد الملهوفين ويهدى الضالين ويرشد الابطال

---

١) الف ليلة وليلة ٣/ ٢٩٠ . (٢) الف ليلة وليلة ٣/ ٣٣ .

٣) الف ليلة وليلة ٣/ ٢٨

الى ابواب الفرج في الضيق [١] .

مواطن الجن

للجن مقامان في الليالي ، مقام اصلي ومقام يشغلونه في الادوار ، وهو المسرح الذي تجرى عليه مغامراتهم فحين تنتهي يعودون الى مواطنهم ، واشهرها بلاد الصين وجزر الواق واق وجبل السحاب [٢] ويسكنون ايضا الصحارى والجبال النائية والخرب والآبار المهجورة ويسبحون في الفضاء ويغوصون تحت طبقات الارض وفي اعماق البحار فاذا جاء دورهم في الحكاية يحضرون بسرعة الى مكان الحادثة ليلعبوه. وقد ينتقل الانس احيانا الى ديارهم ليجعلوها مسرحا لمغامراتهم. ففي قصة حاسب كريم الدين [٣] نشاهد بلوقيا وجانشاه يؤمان مناطقهم. وفي قصة حسن البصري [٤] نرى حسن ينتقل الى جبلهم حيث يكتشف مملكتهم ويقيم في قصورهم. اما في قصة قمر الزمان [٥] فيحضر الجنيان الى منزل الابطال لتحقيق الرواية . ولكن مسارح الانس لهذه الحكايات لا تخلو من العجائب والغرائب ما نشاهده في ديار الجن من مخلوقات عجيبة وكنوز مدهشة وقصور فخمة غنية بالمترفات والخيرات مليئة باسباب التنعم والمسرات [٦] .

علاقة الجن بالانس في الليالي

لا تختلف تصرفات الجن في الحكايات عن تصرفات الانس. واساليب الحكايات التي يتناول فيها القصاص اخبار الانس هي نفسها التي يعالج بها اقاصيص الجن . فهم يشابهون الانس في اهوائهم ونزواتهم وبوادرهم؛ يتوقون

---

(١) الف ليلة وليلة ٣/ ٦٤ ، ١٣٢ ، ٤/ ٢٨٨ . (٢) الف ليلة وليلة ٢/ ٢٨٠ ، ٣/ ٣٠٨ ، ٤/ ٣٨ . (٣) الف ليلة وليلة ٣/ ١٨ . (٤) الف ليلة وليلة ٣/ ٣٠٢ .
(٥) الف ليلة وليلة ٢/ ٦٥ . (٦) الف ليلة وليلة ٣/ ٢١٤ .

ويحبون ، ينقمون ويتصالحون ، يكيدون ويصفحون ... وادوارهم في الحكايات تماثل ادوار الانس فكأنهم مسخرون للابطال من الانس يحققون مآربهم حتى تنتهي الحكاية نهاية سعيدة تسر السامع وتحمله على الامتنان من الجن الذين ساعدوا ابطاله . وقد يحضر الجن لخلق ازمة في الحكاية يقودون الانس الى تحمل عواقبها وحل عقدها بايديهم كما جاء معنا في خبر العفريتين من حكاية قمر الزمان(١) اللذين تخفيا على البطلين وقاداهما الى سلسلة من المغامرات حملاهما فيها اقسى الشدائد . وقد يقود الابطال انفسهم بايديهم الى التورط في مآزق خطرة ولكن سرعان ما يجيء الجن لنجدتهم(٢) فان جانشاه هو الذي قاد نفسه الى ارض الجان عندما لحق الغزالة في الصيد . وحسن البصري حمله انس الى جبل السحاب ليتلقف الاهوال التي قادته اليها . ويكاد السامع ييأس من خلاص الابطال لولا عطف الجن عليهم وانتشالهم باعجوبة من المهالك . فالجن ، كما تصورهم لنا الليالي ، مخلوقات طيبة يريدون الخير للانسان وهم مسخرون لخدمته . والجن الاشرار الذين يحضرون على مسرح الحكاية لتعذيب الانس فلا يفلحون لان الله ذللهم بقدرته للمؤمنين من انس وجن . ففي قصة التاجر مع العفريت(٣) يتمكن البطل من المارد ويعيده بحيلة الى سجنه . وفي قصة قمر الزمان تقوى ميمونة بنت الدمرياط المؤمنة على دهنش العفريت الكافر ، وتمنعه من ايذاء الست بدور التي افتتن بها . لان هؤلاء العفاريت يشكلون خطرا على الانسيات اللواتي يحبونهن . فانهم مشهورون في الحكايات بخطف محبوباتهم من الانسيات وحجبهن عن الاعين والتحكم بهم حتى الاضطهاد(٤) اما سائر علاقات الجن بالانس فهي علاقات

---

١) الف ليلة وليلة ٢/ ٦٥ ـ ١٣٢ . (٢) تطالع قصة حاسب كريم الدين في الليالي ٣/ ١٠١ .
وقصة حسن الصائغ ٣/ ٣١٠ . (٣) الف ليلة وليلة ١/ ٨ .
٤) الف ليلة وليلة ١/ ٣ ، ١/ ٤٤ ، ٤/ ٢٨٨ .

وذيلة طيبة معظمها تتعلق باخبار العشق والغرام . وقد يهوى الجني جنية ولكن لا بد من ان تكون ابنة ملك عظيم من ملوك الجان . واذا عشق الجن انسا يملكه سعادة الدنيا ويطرح امامه كنوز الارض ويتطوع لخدمته متفانيا ويحقق له المعجزات ويضع تحت تصرفه عجائبه كذلك بفضل من كان الذين يخدمهم فيقدم لهم بساط الريح الطائر والفرس الابنوس العجيب الذي يطير في الفضاء بسرعة كالبرق ، ويضع بين يديه دائرة الفلك التي تريه جميع بلدان الدنيا ويلبسه طاقية الاخفاء التي تحجبه عن اعين الانس والجن ويجلب له المكحلة السحرية التي تريه جميع كنوز الارض ، ويأتي له بالسيف الذي يكفي هزه للقضاء على جيش باسره [1] ومعظم ما يعتقده الناس انه من عجائب يجري بواسطة السحرة ، واغلبهم من المجوس والمغاربة ، فانهم مطلعون على اسرار في السحر لا يعرفها غيرهم ، فيتلون العزائم ويحرقون البخور ويقرأون الطلاسم فيسحرون الماء لشفاء المرضى ويدهنون ارجل الانس بدهان غريب يمكنه من السير على وجه الماء ويستعملون خناصر يعرفونها يحولون بها جميع المعادن الرخيصة الى ابريز خالص ... والجن كرماء مضيافون في الليالي يحضرون الاسماط الغنية بشتى انواع المأكولات والاطايب [2] فهذه المعجزات التي يمكن الجن تحقيقها فتغدو هي التي تميزهم عن الآدميين تميزا لانهم ، فيما عداها ، يماثلونهم بجميع اطوارهم .

الجن في الادب الفني والادب الشعبي

ينحصر الادب الفني في فئة خاصة من الادباء تتقيد انتاجها وفقا لمقاييس فنية

---

١) الف ليلة وليلة ٢/ ٢٦٦ ، ٣/ ١٢٨ ، ١٨٨ ، ٢٤٢ .

٢) الف ليلة وليلة ١/ ١٣ ، ١٦ ، ٣/ ٢٤ ، ٧٦ ، ١٦١ .

معينة وتعنى بمواضيع جدية تتناولها في مؤلفاتها التي توجهها لطبقة خاصة من الناس يمكنها تفهمها وتقديرها · فقد تناول الادباء الجن في فنونهم وبحثوا في موضوعهم من نواح خاصة تختلف افكارهم لعلقتها بالفنون الادبية والفكرية التي تستوعي اهتمامهم · وتناولوا الجن من الناحية الدينية واطلعونا على ما شاع عنهم من اساطير ومزاعم في الجاهلية ثم تطرقوا الى ما جاء عنهم في القرآن الكريم ووضع في نفوس المؤمنين وبحثوا فيه واجتهدوا في تفسيره فجاءت مؤلفاتهم تجسيدا لآراء فئة خاصة من اهل الفكر وهم المتكلمون والفلاسفة ، اما في موضوع الادب فقد اهتموا فيما له صلة منه بالشعر والشعراء والادب والادباء · فالهمداني يستقدم الجن في مقامته ليرووا له شعرا لجرير ويشيدوا انهم وحاته · وابن شهيد يجعلهم قليم شعراء وادباء وخطباء ونقاد ورواة ليجيبوه ويباهدوا له بالتفوق في فنونه · وابو العلاء يمنح اليهم ادوارا كوميدية في رسالته ليسخر بالمزاعم التي شاعت عنهم · فنلاحظ ان الجن في الادب الفني يخضعون لنظام فني معين ويقومون بادوار ادبية فيغدا تصور عقلية طبقة خاصة من الناس، وهم الادباء ·

اما في الادب الشعبي الذى هو انتاج عام ، يصور الوان الحياة المتنوعة ، ويصور عقلية طبقات الشعب المتفاوتة ، ويبين لنا مقدار ثقافتهم ونوعها ، فيجد الجن فيه مجالا فسيحا ليقوموا بادوار عديدة متنوعة يواجهون طبقات الناس في تصرفاتهم ويعبرون عن عقليتهم وعقائدهم وارائهم وامانيهم وحرمانهم وثقافتهم ونظامهم وعاداتهم ···

وترد اخبار الجن في الادب الشعبي بلهجة اليقين · فسذاجة العامة لا تؤاخذ على القصاص مبالغاته ولا تقف لتحلل المعقول وغير المعقول منها · فهمها الوحيد التسلية وامتاع النفس العاجزة عن تحقيق امانيها · فما ضر لو طار المخلوق في الفضاء من

الصين الى مصر بدقيقة او اقل ما دام السامعون يتلهفون للقاء تمر الزمان والست بدور اكثر منهما ! وما الخسارة اذا فتح الجن كنوزهم الخارقة امام الذين يكدون نهارهم لكسب الدرهم ! وهل من حيف اذا شهدوا معاركهم الخارقة خدمة لنشر السذاجة والحمق اللذين يسعى لهما سيف في مغامراته والجماهير تصفق عند التقدم لتحقيق ذلك بين ظهرانيها وتتعلق باذيال دعاته!

فالجن في الادب الفني عرضة للشك او اليقين للسخرية او الوقار اما في الادب الشعبي فلا حد لادوارهم وخوارقهم ولا خوف عليها من مراقبة المدققين المحققين . فلهم صلاحية في التصرف واسعة باتساع مخيلة القصاص . واذا ما تعمد القصاص تقليد الخاصة في ايراد النوادر الادبية او الاخبار الدينية عن الجن في الحكايات فانما يوردها اما زخرفة للقصة او تتميما لاجزائها او حبا لاظهار براعته في العلم والادب تشبها بالخاصة . ولكن هذا لا يمكن انتزاعه من الادب الشعبي وضمه الى الادب الفني لان الصبغة الفولكلورية غالبة عليه.

خاتمة

هذا ما استطعت ان اقدمه في هذا الموضوع الشائك • وانا لا ادعي انني بلغت فيه غاية ما كنت ارجو • لكن عذري انما هو في اتساع اطراف الموضوع وتفرق مادته في المصادر وضيق الوقت المحدد لانجازه في هذه الرسالة • ورجائي ، على كل حال ، ان يكون ما وفقت الى اثباته في هذه الصفحات مما يساعد سواي من الباحثين على استئناف معالجته •

جدول المصادر

ابن ابي طالب — علي
نهج البلاغة
شرح ابن ابي الحديد
البابي ، القاهرة
١٣٢٦ هـ

الابشيهي
المستطرف في كل فن مستظرف
بولاق ، مصر
١٨٨٦

ابن انس — مالك
الموطأ
القاهرة ١٢٨٠

ابن بسام
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة
ج ١، ٢ .
نشر لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ١٩٣٩

ابن حزم — ابو محمد علي بن احمد
جمهرة انساب العرب
نشر وتحقيق ليفي بروفنسال
دار المعارف بمصر
١٩٤٨

ابن خلدون — عبد الرحمن
المقدمة
المطبعة الادبية
بيروت ١٨٧٩ .

ابن خلكان
وفيات الأعيان — بولاق ، مصر ١٢٩٩ هـ

ابن سلام ، الجمحي
طبقات فحول الشعراء
شرح محمود شاكر — دار المعارف للطباعة والنشر
مصر ١٩٥٢

ابن دريد –
الاشتقاق
نشر ستنفلد — غوطا ، ديترخ
١٨٥٤

ابن دريد – ابو بكر محمد بن الحسن
جمهرة اللغة — حيدرآباد ١٣٤٥ هـ

ابن سينا – ابو علي
تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات — القاهرة ١٩٠٨
سلمان دنيالي

ابن عبد ربه
العقد الفريد — الكتبي ، مصر ١٩١٣

ابن قتيبة
الشعر والشعراء — نشر السقا ، مطبعة المعاهد
بالجمالية ، مصر ١٩٣٢

ابن قتيبة — ليدن ١٨٥٠
كتاب المعارف

ابن قيس الرقيات — عبيد الله — دار بيروت ودار صادر
الديوان — بيروت ١٩٥٨
تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم

ابن الكلبي — مصر ١٩٤١
كتاب الاصنام
تحقيق احمد زكي باشا

ابن منظور — جمال الدين — دار صادر ودار بيروت للطباعة
لسان العرب — والنشر · بيروت ١٩٥٦

ابن النديم — ليبزج ١٨٧١
الفهرست
تحقيق غوستاف فلوجل

ابن هشام — مصر ١٩٣٦
السيرة النبوية
تحقيق : السقا — الابياري — الشلبي ·

ابو العلاء المعري — بيروت ١٨٩٤
رسائل ابي العلاء
شرح شاهين عطية

ابو العلاء المعري — دار المعارف · مصر ١٩٥٠
رسالة الغفران
تحقيق بنت الشاطيء

ابو العلاء المعري — دمشق ١٩٤٤
رسالة الملائكة
تحقيق الجندي

ابو الفرج الاصفهاني — نشر دار الكتب المصرية ١٩٢٩
الاغانـــــي

ابو الفرج الاصفهاني — بولاق ، مصر ١٨٨٦
الاغانـــــي

الازرقي — محمد بن عبد الله — ليبزج ١٨٥٨
نشر وستنفلد — ف ·

الاعشى — ميمون بن قيس بن جندل والاعشيين الآخريين — عوسن · بيانة · ١٩٢٧
ديوان — الصبح المنير في شعر ابي بصير

الف ليلة وليلة
مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، مصر ؟

الالوسي
بلوغ الارب في معرفة احوال العرب
الطبعة الثانية ، الرحمانية
مصر ١٩٢٤

امرؤ القيس
الديوان
السندوبي
المكتبة التجارية
مصر ١٩٢[illegible]

امية بن ابي الصلت
الديوان
جمع بشير يموت
المكتبة الاهلية
بيروت ١٩٣٤

البخاري
صحيح البخاري
بولاق ، القاهرة
١٣١٤ هـ

البستاني ـ بطرس
دائرة المعارف الحديثة
المجلد السادس ، مادة: "جن"
مطبعة المعارف ، بيروت
١٨٨٢

البستاني ـ عبد الله
معجم لغـــوي ، مادة: "جن"
المطبعة الاميركية ، بيروت
١٩٢٧

البكري ــ محمد توفيق — مصر ١٣٤٦ هـ
اراجيز العـــرب
الطبعة الثانية

البوني ــ الشيخ احمد بن علي — مصر
شمس المعارف الكبرى

البيضاوي ــ ناصر الدين — مصر ١٩٥٥
انوار التنزيل واسرار التأويل

التوراة — جمعية التوراة الاميركية
العهد القديم — ١٩١٥

الثعالبي ــ ابو منصور — القاهرة ١٩٠٨
ثمار القلوب

الجاحظ — الطبعة الثانية ، مصر
البيان والتبيين — ١٩٣١
تحقيق وشرح السندوبي

الجاحظ — الطبعة الاولى ، مصر
كتاب الحيوان — ١٩٤٥
تحقيق هارون

الجوهرى — بولاق ، القاهرة
الصحاح — ١٢٨٢هـ

حسان بن ثابت — مصر ١٩٢٩
الديوان
تحقيق عبد الرحمن البرقوقي

الدميرى — بولاق ١٨٨٦
حياة الحيوان الكبرى وبهامشه
كتاب "عجائب المخلوقات وغرائب
الموجودات" للقزويني

الراغب الاصفهاني — نشر شرقي ، مصر
محاضرات ادباء ومحاورات الشعراء — ١٩٠٨

الراغب الاصفهاني — نشر البابي الحلبي
المفردات في غريب القرآن — مصر ١٣٢٤هـ
تصحيح الغمراوى

الزبيدى — الطبعة الأولى ، مصر
التاج — ١٣٠٦هـ

الزمخشرى — القسطنطينية ١٣٠٠ هـ
شرح لامية العرب

زهير بن ابي سلمى — دار الكتب
الديـــوان — مصـــر ١٩٤٤
تحقيق الشيباني

الزوزني — مصر ١٣٢٨هـ
معلقات العرب

سيف بن ذى يزن — نشر دار المعارف
تأليف : جوهر — برانو — العطار — مصر

السيوطي — جلال الدين — المكتبة الازهرية
المزهر في علوم اللغة وانواعها — القاهرة ١٣٢٥ هـ

الشبلي — بدر الدين — مطبعة السعادة
آكام المرجان في احكام الجان — مصر ١٣٢٦ هـ

الشنقيطي — مصر ١٣٢٨ هـ
المعلقات العشر

الطبرى — المطبعة الحسينية
تاريخ الامم والملوك — مصر ١٣٣٦ هـ

الطبري
تفسير الطبري
تحقيق شاكر
دار المعارف في مصر
١٣٧٤ هـ

عطية الله — احمد
دائرة المعارف الحديثة
مادة : "جن"
مكتبة الانجلو مصرية بالقاهرة
الطبعة الاولى ١٩٥١

عنترة بن شداد
الديوان
عني بتصحيحه امين سعيد
المكتبة التجارية
مصر

الفرزدق
الديوان
تحقيق الصاوي
مصر

القالي — ابو علي
الامالـــــي
دار الكتب المصرية · الطبعة
الثانية ١٩٢٦

القرآن الكريم

القرشي — ابو زيد
جمهرة اشعار العرب
المطبعة الرحمانية بمصر
١٩٢٦

كعب بن زهير
الديوان
شرح السكري
مطبعة دار الكتب المصرية
مصر ١٩٥٠

المرزباني
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء
جمعية نشر الكتب العربية
مصر ١٣٤٣ هـ

المسعودي
مروج الذهب ومعادن الجوهر
نشر الجمعية الآسيوية
باريس ١٨٦١

المقتبس
مجلة — ١٩١٠

الميداني
مجمع الامثال وبهامشه كتاب جمهرة
الامثال لابي هلال العسكري ·
ج ١ و ٢ معا ، المطبعة الخيرية ،
مصر ١٣١٠ هـ

النابغة الذبياني
الديوان
تصحيح الشيخ عبد الرحمن سلام
نشر محمد جمال
المكتبة الأهلية بيروت ١٩٢٩

الهمداني
الاكليـــل
تحقيق الدكتور نبيه امين فارس
برنستون ١٩٤٠

الهمداني
صفة الجزيرة العربية
تحقيق النجدي
مطبعة السعادة ، مصر
١٩٥٣

الهمداني — بديع الزمان
مقامات الهمداني
شرح الشيخ محمد عبده
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت
١٩٢٤

ياقوت
معجم البلدان
نشر صادر ودار بيروت
بيروت ١٩٥٥

جدول المراجع

ابن شهيد الاندلسي
رسالة التوابع والزوابع
تحقيق بطرس البستاني
نشر مكتبة صادر
بيروت ١٩٥١

حتي — فيليب
تاريخ العرب
تأليف : حتي — جرجي — جبور
دار الكشاف ، بيروت
١٩٤٩ — ١٩٥١

شيخو – الاب لويس
شعراء النصرانية
المطبعة الكاثوليكية
بيروت – ١٩٢٦ – ١٩٢٧

حسين – طه
الادب الجاهلي
دار المعارف بمصر
الطبعة الرابعة – ١٩٤٧

زيدان – جرجي
تاريخ آداب اللغة العربية
طبعة جديدة علق عليها شوقي ضيف
دار الهلال
القاهرة ١٩٥٧ – ١٩٥٨

معلوف – شفيق
عبقـــــــــر
الطبعة الثانية ، منشورات العصبة
الاندلسية ، سان باولو – برازيل
١٩٤٩

القاسمي – جمال الدين
مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن
دمشق ١٩١٠

جدول المراجع الأجنبية

Asiatic Mythology
by
J. Hackin
New York, Crowell
1879

Encyclopaedia of Islam
Vol. I,
Alf Laila wa Laila
by
J. Oestrup

Encyclopaedia of Islam
vol. I,
Djinn
by
D.B. Macdonald

Encyclopaedia of Islam
vol. III
Makama
by
C, Brockelmann

Encyclopaedia of Islam
vol. IV,
Saif b. Dhi Yazan
by
R. Parot

History of Syria
by
Ph. Hitti
London. Macmillan 1951

Mythologie Generale
Publiée sous la direction de
Felix Guirand
Librairie Larousse
Paris 1935

فهرست

الفصل الثانــــي

الفصل الثالث

تمهيد

الباب الثانـــــي
الفصل الاول

الفصـــل الثاني

الفصـــل الثالـــث